رفائيل بابو إسحق

تاريخ نصارى العراق

(100 - 2006 م)

تقديم: المطران يوحنا إبراهيم

(متروبوليت حلب)

تاريخ نصارى العراق

(100 – 2006 م)

تاريخ نصارى العراق

(100 – 2006 م)

تاريخ نصارى العراق (100-2006 م)
تأليف: رفائيل بابو اسحق
تقديم: المطران يوحنا إبراهيم (متربوليت حلب)
تصميم الغلاف: زياد مني
إخراج: زياد مني. إخراج إلكتروني: محمد غيث الحاج حسين
الطّبعة الأولى: نيسان (2008 م)؛ الحقوق جميعها محفوظةٌ لشركة قدمس للنشر والتوزيع (ش م م)

التوزيع في العالم: شركةُ قَدْمُس للنشر والتوزيع (ش م م)
ص ب (6435/ 113)؛ شارع الحمرا، بناء رسامني
بيروت، لبنان
هاتف: (+1 961) 054 750، برّاق: 053 750
جوّال: (+3 0 961) 512 620
بريد إلكتروني: ‹daramwaj@inco.com.lb›

التوزيع في سوريّة: قَدْمُس للنشر والتوزيع
شارع ميسلون، دار المهندسين (0905)، الفردوس
ص ب (6177)
دمشق، سوريّة
هاتف: (+11 963) 9836 222 برّاق: 7226 224
جوّال: (+944 0 963) 167 517
بريد إلكتروني ‹cadmus@net.sy›؛
التوزيع في محافظة اللاذقية: مكتبة بالميرا
هاتف: (+41 963) 975 468

التوزيع في الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع
وسط البلد، خلف مطعم القدس؛ ص ب (7772) عمّان 11118، الأردن
هاتف: (+6 962) 8688 463؛ برّاق: 7445 465
بريد إلكتروني: ‹alahlia@nets.jo›

لابتياع نسخ إلكترونية وورقية من إصداراتنا على (الشبكة) انظر: ‹www.arabicebook.com›
إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار.
عدد كلمات الكتاب (61465) كلمة تقريبًا.

رفائيل بابو إسحق

تاريخ نصارى العراق

(100 – 2006 م)

تقديم: المطران يوحنا ابراهيم (متروبوليت حلب)

المحتوى*

* مرفق خريطة العراق (المواضع التاريخية القديمة)

مقدمة الناشر

صدر النص الأصلي من هذا الكتاب في بغداد عام [1948] تحت عنوان ‹تاريخ نصارى العراق: من انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا›. وبالنظر إلى تطورات الأوضاع في العراق عقب الاحتلال الأمريكي الغاشم وما نال مسيحيي ذلك البلد العريق من ملاحقة وطرد وقتل واضطهاد، على يد مجموعات إرهابية متعصبة متطرفة من القتلة، فقد رأينا في دار قدمس ضرورة تسليط الضوء على أوضاع ذلك البلد من خلال إعادة طبع هذا الكتاب المهم. وقد عملنا على تحديث ذلك التاريخ ليغطي أوضاع مسيحيي العراق الحزينة والمؤلمة السائدة هناك في أيامنا هذه حيث تفضل نيافة المطران غريغوريوس صليبا شمعون بكتابة فصل خاص (المسيحيون في العراق: 1940-2006).

وإثراءً للكتاب أخذنا إذنًا من نيافة المطران يوحنا إبراهيم مطران حلب للسريان الأرثوذكس بإضافة ملحق كتبه مار أغناطيوس أفرام الأول بطريرك انطاكية وسائر المشرق ‹لمعة في تاريخ الأمة السريانية في العراق› في ‹المجلة البطركية السريانية، 1936/27/ 3›، حيث تفضل، مشكورًا بتحديثه، إضافة إلى مراجعته على نحو كامل والتحقق من صحة النصوص السريانية، وله منا جزيل شكرنا وامتناننا.

إننا في دار قدمس نأمل من خلال نشر هذا الكتاب إبراز الدور المهم والإيجابي الذي أداه مسيحيو العراق، عربًا وغير عرب، في نهضة العرب من العصور الأولى، وتجذرهم الأصيل في ذلك البلد الذي ما زال يعاني انعدام العدل والأمان والحرية.

مقدمة

ثمة سؤال يطرحه الكثيرون حول جذور المسيحيين في هذا الشرق، هل هم دخلاء أو غرباء أم قادمون من خارج المنطقة ؟ هل جذورهم ممتدة في أعماق الأرض، ولهم حقوق بعد تأدية الواجب على أكمل وجه ؟ والسؤال الأهم هل تاريخهم يبدأ من حيث تسميتهم الجديدة بـــ: **المسيحيين**، أسوة بالتلاميذ الذين عُرفوا بالمسيحيين في أنطاكية أولاً (أعمال الرسل 11: 26).

كل هذه الأسئلة تُطرح من وقت إلى آخر، ويبقى الجواب، أن التاريخ يشهد على أن المسيحيين في هذه البلاد كانوا مواطنين أصيلين، وجذورهم تمتد إلى الشعوب التي ساهمت في بناء الحضارة في هذه المنطقة، وبنت مجداً مكللاً للصرح الثقافي الذي نتغنى به حتى يومنا هذا. وبقيت عطاءاتهم متواصلة عبر الدهور والأجيال، ولا يحتاج العالم إلى شهادة جديدة تُعطى لهم، لتؤكد على أصالتهم وعراقتهم. فالمنطقة بأوابدها، وآثارها، ولغاتها القديمة، وشواهدها التاريخية، ومصادر التاريخ عندها، تثبت على أنهم جزء من هذا النسيج الوطني الذي يمثل الفسيفساء الجميلة التي ترصع به جبين هذا الوطن.

ونصارى العراق مثل المسيحيين في بلاد الشام والجزيرة العربية، كلهم نشأوا وترعرعوا في هذه الأرض الطيبة. وعند ذكر العراق لا ننسى بلاد ما

بين النهرين مهد الحضارة البشرية، هذه البقعة من الأرض الواقعة بين النهرين العظيمين دجلة والفرات، والممتدة من سلاسل جبال طوروس إلى شواطئ الخليج العربي، عرفت أقدم حضارة للبشرية فيها. وكما قال المستشرق الأميركي صاموئيل غرامر: **بدأ التاريخ من سومر**. وسومر منبت السومريين عرفت أقدم نصوص مسمارية وأنشأت آكاد وبابل قبل أن تظهر جيوش الآشوريين. وفي العراق وبعد هذه المرحلة نقرأ عن بلاد آشور في الشمال، وبلاد بابل في الجنوب، والحدود بينهما كانت تمر عبر مدينتي هيت على الفرات، وسامراء على دجلة، هذه الأرض كانت مصدر الخصب لفترة طويلة من الزمن، وعرف البابليون والآشوريون كيف يستثمرون تلك الأرض، وساعدهم وسائل كثيرة منها الجدية في العمل، والإخلاص في العطاء، والشجاعة في الحروب، والوفاء في كل مجالات الحضارة. وبعد أن احتلت اللغة الآرامية مكانة اللغة الأكادية أدركوا مدى أهمية تصدير اللغة إلى كل شعوب المنطقة!

ومن هنا نرى كيف أن اللغة الآرامية انتشرت بشكل ملفت للنظر حتى أصبحت لغة أقدم الشعوب أصلاً ونسباً. يقول صاحب قاموس ‹دليل الراغبين في لغة الآراميين› المطران يعقوب أوجين منّا الكلداني في المقدمة: **لقد تداولتها أعظم الممالك صلبة وبأساً وتهذباً، من الكلدان والآشوريين والسريان الذين كانوا أول من تفضل على البشرية بالعلوم والصنائع، ووضع قواعد العمران، ومنهم من تعلم الكتابة الفرس والعرب والعمران، وعن خطهم نقلت خطوطها اليونان والرومان.**

هذا الكتاب: **تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا**، هو جولة سريعة لتاريخ الشعوب التي عرفه العراق قبل النصرانية. قد لا تكون آراء المؤلف رفائيل بابو اسحق، وهو صاحب مؤلفات أخرى مثل: 1) أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية

(بغداد 1960)، 2) مدارس العراق قبل الإسلام (بغداد 1955). وغيرهما، قد لا تكون آراؤه مقبولة اليوم لأن الدراسات التي صدرت بعد تأليف الكتاب تزودنا بمعلومات كثيرة جديرة بالاهتمام من جهة، وعدم توفر المصادر وقتئذ خاصة في تاريخ الشعوب القديمة التي عرفها العراق مثل: الشمريين، الأكاديين، والأموريين، والآشوريين، والآراميين، والكلدانيين، تركت يومئذ فراغاً عند المؤلف. وربما يكون المؤلف قد صمّم على أن لا يخوض هذا الموضوع بشكل مفصّل ما دام كتابه يتناول تاريخ النصارى في العراق أي الشعوب التي دخلت في النصرانية. وبما أن الكتاب هو من نتاج فكر الخمسينيات، فلا نرى أي أثر للعلاقة المسكونية بين النصارى في العراق، لا بل يستخدم اصطلاحات وتسميات مثل اليعاقبة والنساطرة وهي غير موجودة، خاصة في مؤلفات حديثة ظهرت بعد الستينيات.

أما القسم الأكبر لكتابه، فهو عن النصارى بدءاً من عهد البرثيين ومروراً بالساسانيين، ثم بعد الفتح الإسلامي في عهد الراشدين والأمويين فالعباسيين، وصولاً إلى المغول والتتار وانتهاء بالعثمانيين. فيكون المؤلف قد شمل كل المراحل التاريخية التي مرت على العراق حتى سنة (1940).

وقد شاءت دار قدمس أن تطلب من نيافة المطران مار **غريغوريوس صليبا شمعون** رئيس أساقفة السريان الأرثوذكس في نينوى ليتمم تاريخ النصارى في العراق بين سنتي (1940 و2006).

ففي أقل من عشرين صفحة لخّص نيافته هذه المرحلة الهامة مُشيراً إلى أهم ملامح التغيير في سياسة العراق، خاصة بعد سقوط الملكية ونشوء الجمهورية. وفي هذه الفترة عاش المسيحيون كل حالات الاضطراب التي مرت على العراق، بتماسك تام، وإيمان، بمفهوم الوحدة الوطنية، ولم تؤثر كل الأحداث السياسية على العراق على حضورهم وشهادتهم. ولكن بعد الاحتلال الامريكي على العراق زحفت أعداد كبيرة منهم إلى الدول

المجاورة، وتسنى للكثيرين أن يهاجروا إلى ما وراء البحار تاركين وراءهم بأسف تراث آبائهم لأكثر من عشرين قرناً، وتعتبر هجرة المسيحيين العراقيين كارثة بالنسبة إلى مفهوم العيش المشترك والإخاء الديني في هذا البلد الذي عرف كل معاني الوحدة الوطنية أثناء الاحتلالات، وفي كل مراحل التاريخ قديماً وحديثاً.

وفي حديثه عن مناهل الثقافة يُشير إلى أهم المدارس والمعاهد خاصة كلية بابل الحبرية، التي ستهيء أعداداً كبيرة من خريجي هذه الكلية لخدمة النفوس والوطن. وفي إشارة إلى أهم حدثين في هذه المرحلة.

الحدث الأول: يكتب عن الحقوق الثقافية للناطقين بالسريانية من السريان والآشوريين والكلـدان، الـذي صدر لأول مرة في تاريخ العراق في قانون (1972/9/26)، وبعد صدور القانون انتعشت اللغة السريانية في المدارس.

الحدث الثاني: المهم في العراق مشروع إحياء التراث السرياني الأدبي والحضاري، وكان لا بد أن يرسم لوحة للنتاج الفكري في العراق، وأهم الأقلام التي سجلت هذا التراث في كتب ومقالات، وهذا القسم يحتاج إلى إضافة أسماء أخرى لمعت في سماء الثقافتين العربية والسريانية مثل: المطران اقليميس يوسف داود، الخوري بطرس نصري، الأب د. يوسف حبي، الخوري بولس بيداوي، الخوري بطرس سابا، المطران بطرس عزيز، المطران سليمان الصائغ، البطريرك أفرام رحماني، د. الفوس منكنا، الأب انستاس ماري الكرملي، فؤاد سفر، وعدد آخر من الباحثين والكتّاب والمؤلفين، والمؤرخين، والأحياء أيضاً توجد أسماء جديرةٌ بالذكر.

وفي الملحق مقالة مهمة جداً للبطريرك أفرام الأول برصوم بعنوان: ‹**لمعة في تاريخ الأمة السريانية في العراق**›، نشرت أولاً على صفحات ‹المجلة البطريركية القدسية 1936/3، ص 193–224›، ثم نشرناها في كتاب ‹منارة أنطاكية السريانية›[1]، يزود صاحبها القارئ بمعلومات نادرة عن أبرشيات

السريان في العراق، وكنائسهم، وأديارهم، ومدارسهم، وعلمائهم، وأطبائهم، وأعيانهم، ثم يُعطي لمحة موجزة لتاريخ دير مار متى ومطارنته حتى سنة (1935).

أما مؤلف كتاب ‹تاريخ نصارى العراق› فلم يتوقف عند الشؤون الدينية للنصارى، بل نقرأ صفحات عن النتاج الفكري والعلمي عندهم وحالتهم من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية. وفي حديثه عن نصارى العراق في عهد الساسانيين نراه يتطرق أيضاً إلى الموسيقى الكنسية والمدنية واستعمالهم آلات الطرب في ألحانهم.

ويذكر عن الموسيقى الكنسية ما يعرفه الكثيرون عن نشوء الموسيقى في الكنيسة، وتطورها، وكيفية دخولها في الليتورجيات والطقوس. أما عن الموسيقى المدنية فالمعلومات التي أوردها رغم أنها مقتضبة، ولكنها جديرة بالاهتمام فهو يُشير إلى أن النصارى في الحيرة قد برعوا فيها، واستعملوا في مآدبهم وأعراسهم ومجالسهم، الكنّارات، والطبول، والدفوف، والصنوج، والجلاجل، والأبواق، والنواقيس، واستعاروا من الروم الأرغن، والبربط وهي آلة تشبه العود المزهر، والسنطور، والقانون، والقيثار، ومعلومة أخرى يُشير إليها أن فن الموسيقى كان يُدّرس في مدارس الحيرة، والغناء الحيري طارت شهرته في الآفاق.

وفي الفصل الرابع من الكتاب وهو بعنوان (نصارى العراق في عهد الراشدين والأمويين)، يتطرق إلى مواضيع هامة تحتاج إلى المزيد منها، خاصة في أيامنا هذه، لأنه يريد أن يؤكد أصالة النصارى بين القبائل العربية، لأن الكثيرين يجهلون علاقة النصرانية بالقبائل العربية، خاصة في بلاد ما بين النهرين. حيث نرى أن هجرة القبائل العربية إلى العراق وغيرها من البلدان المجاورة تعود إلى عصور متنوعة في القدم قبل وبعد المسيحية، وحكاية سدّ مأرب المعروفة في أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني للميلاد كانت

سبباً من أسباب هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية إلى بلدان أخرى مثل العراق. والتجّمعات العربية التي حصلت ما قبل الإسلام مثلاً قبائل مضر وبكر وربيعة هي التي ساعدت الفتوحات الإسلامية فيما بعد، لأن الذين دخلوا في النصرانية من القبائل العربية ساهموا في فتح البلدان عندما رحبّوا بالفاتحين وأنزلوهم في البيع والديارات. وهذا موقف تاريخي هام قد يغيب عن بال الكثيرين من الذين لا يعرفون تاريخ المنطقة. فعندما نتحدث اليوم عن الإخاء الديني والوحدة الوطنية والعلاقات المميزة بين المسيحية والإسلام، وكيف يجب أن تُشكل لُبنة في صرح الحضارة العربية إنما هذا يعود إلى بدايات الفتح الإسلامي. وما نراه اليوم من تفاعل جاد وعلاقات جيدة بين المسيحيين والمسلمين، ليس سوء صدى لما كان في الماضي. ومادة الكتاب في هذا الموضوع بالذات تُؤكد على ما ورد في القرآن الكريم من آيات وبيّنات بخصوص علاقة الإسلام مع النصرانية والنصارى تجسدت على أرض الواقع ايام الفتوحات الإسلامية. فعندما يقول القرآن الكريم **﴿لتجدَنّ أقرَبَهُم مودة للذين آمنوا، الذين قالوا إنّا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾** (المائدة 82) قد فرض على المسلمين العرب الفاتحين احترام النصارى في ديارهم، وأوجب على المسيحيين سكان البلاد الأصليين مساعدة المسلمين في فتوحاتهم، وقد عرَفَ العرب أن تراثاً عربياً مسيحياً مميّزاً قد نشأ قبل وبعد الفتح الإسلامي، وهو صفحة مُهمة من صفحات التراث الشرقي. فالانجيل المقدس نُقل من السريانية إلى العربية على أيدي مهرة التراجمة من العرب المسيحيين والأرثوذكسيين من بني عقيل وتنوخ وطي إجابة إلى طلب عُمير بن سعد ابن أبي وقاص الأنصاري أمير الجزيرة حوالي سنة (643 م). والأديرة التي كانت مزروعة في المنطقة قبل وبعد الفتح الإسلامي أصبحت منارات علم في المنطقة، ولهذا نجد في الفصل الخامس من الكتاب وفي باب التسامح التام كيف أن العِلم بكل تنوعه قد سيطر على

مواطن الضعف التي بدت في العصر العباسي لأن النصارى في ذلك الوقت خدموا الخلفاء والشعوب بمساهمتهم الكبيرة في نقل العلوم والمعارف من اليونانية عبرَ السريانية إلى العربية، وأسماء العلماء التي لمعت في تلك الأيام مازالت آثَارها القَلَمية تتحدث حتى اليوم عن طول باعِهم في باب العطاء الفكري وتأثيرهم الكبير في تمازج الحضارات وتفاعلِ الثقافات في أيام العباسيين. فآل بختيشوع وابن ماسويه وحُنين بن أسحق وثابت بن قرة الحراني وغيرُهم عرّفوا العرب على الفكر الهيليني عندما نقلوا علومهم بدقة إلى اللغة العربية. وكان لا بد للمؤلف أن يُشير إلى ناحية مهمة جداً حصلت في أيام العباسيين وهي أن أديرة نصارى العراق ازدهرت ببنائها الشامخ، وحدائقها الغنّاء، وزروعها النضرة، وتصاويرها البديعة، هذا فضلاً عن ازدهارها بالعبادة والتقوى والعلم والحكمة.

أما منزلة اللغة العربية لدى نصارى العراق فهذا عنوان فصل جديد في الكتاب، لا يبين أن النصارى قد خدموا اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية فحسب، وإنما يعود اهتمامهم باللغة العربية حتى إلى العصر الجاهلي فّقس ابن ساعد الأيادي المتوفى سنة (600 م) وشعراء القبائل العربية المَسيحيون من أمثال عُدي بن زيد العبادي، وولديه زيد وعَمر وغيرهم قد أنشدوا الشعر، ورفعوا قبابه واصفين، مادحين، هاجين، مفاخرين، منافرين.

والأمويون افتخروا بالأخطل الشاعر العربي النصراني الذي شبهّه الأئمة القدماء بالنابغة لصحة شعره، وكان يلقب بذي الصليب لأنه كان يُعلق صليباً على صدره. أما في العصر العباسي فحَدِّث ولا حرج، فالعلماء النصارى الذي أتقنوا العربية وكتبوا فيها مثل يحيى بن عدي التكريتي، وأبي بشر متي، وحُنين ابن اسحق، وأبي الفرج عبدالله ابن الطيب، ويحيى بن سعيد الماري وغيَرهم قد ساهموا كثيراً في النهضة العلمية، وطوّروا اللغة العربية إلى ما آلت إليه في أيامنا.

وكما يتحدث المؤلف عن هذه الصفحة المشرقة من تاريخ مساهمة النصارى العرب في تطور العلوم والمعارف خاصة أيام الأمويين والعباسيين، هكذا نراه يسلّط الأضواء على الصفحات المعتمة التي دخل فيها النصارى وبقية المواطنين بعد احتلالات المغول والتتار والعثمانيين. ففي عهد المغول ظن بعضهم أن حالة النصارى ستكون أفضل من كل العهود التي مرت على العراق لأن بعض ملوك المغول كانوا يدينون بالنصرانية. وفي الحقيقة أولئك الملوك أحسنوا إلى رؤساء النصارى، وعفوا رعاياهم من الجزية، ومنحوهم براءةً لذلك، ولكن خلفاء هولاكو ضيّقوا على الذميين تضييقات لا يفي القلم بوصفها. وفي عهدهم أُلزم النصارى بشدّ الزنار في أوساطهم. ولم تكن الأحوال أحسن من ذلك عندما دخل تيمورلانك بغداد كما يقول المؤلف فإن نصارى العراق والجبال النائية خوفاً من القتل والذبح، فهدم الغزاة ديارهم، واستأصلوا كنائسهم، واكتسحوا مساكنهم، وكانت نوائب نصارى الموصل في تلك الغضون فادحة، فأمر علي باشا صاحب هذه المدينة وكانت حقوق الأقليات مهضومة في أيامهم. واختتمت بالمجازر التي قضت على مئات الآلاف من النصارى قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها مباشرة. فهذا الكتاب (تاريخ نصارى العراق) هو شاهد جديد على أن النصرانية في بلادنا ليست دخيلة، والذين يدينون بها ليسوا غرباء، وعندما يسيطر الجهل على العقل يُستغل الدين ليكون أداة للتفرقة بين الإنسان وأخيه الإنسان. فالمشترك بيننا، والذي يجمعنا كمواطنين مسيحيين ومسلمين هو أكثر بكثير من هذا العامل الذي يعتقد بعضهم أنه يُفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان.

وإعادة طباعة هذا الكتاب في هذه الظروف الصعبة التي تمر على العراق بخاصة، والأمة العربية بشكل عام، هو دعوة موجهة إلى كل العراقيين رغم انتماءاتهم المتنوعة ودياناتهم المتعددة ومذاهبهم الكثيرة، ليدركوا أنهم في

الأصل يعودون إلى أرومة واحدة، وكلهم يتوجهون إلى الله الواحد الأحد خالق السموات والأرض في عبادتهم.

عسى أن يكون هذا الكتاب باباً جديداً لإعادة النظر في علاقاتنا مع بعضنا بعضاً.

المطران يوحنا ابراهيم (متروبوليت حلب)

حلب في 20 آب 2007

توطئة: في الشعوب التي هبطت العراق قبل النصرانية

الشمريون، الأكديون، الأموريون، الآشوريون، الآراميون، الكلدانيون، الفرس، السلوقيون، الفرثيون، السريان، النساطرة. أو السريان الشرقيون، اليعاقبة أو السريان الغربيون، الكلدان أو السريان الكاثوليك

كان وادي الرافدين في الأزمنة الغابرة، مهد الحضارة البشرية، ومهبط الشعوب القديمة، فقد ازدهرت في ربوعه دول عديدة تعتز كتب الأخبار بذكرها وتفتخر بحضارتها.

في فجر التاريخ هبط العراق الشمريون ويبدو لأرباب البحث والتحقيق أنهم من سكان المنطقة الجبلية، انحدروا من الشرق فارتادوا بقاع الأهوار والمستنقعات عند مصب الرافدين[1]، ثم ما لبثوا أن ظعنوا في جنوبي سهل شنغار[2].

وقد أقاموا أسس حضارة تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد، فشادوا المدن والدساكر، وجدوا في شؤون الزراعة والري، وتعاطوا فنون التجارة والصناعة والمعارف.

وفي بداءة الألف الثالث قبل الميلاد، تسرب الأكديون من أطراف جزيرة العرب[3]، مجتازين سواحل الأقطار السورية، فحلوا جماعات جماعات في القسم الشمالي من شنغار وتركوا وراءهم قوافل من سوادهم في أنحاء سورية وأرجاء كنعان، (عرفوا بعد ذلك بالأموريين أو الساميين الغربيين لأنهم وافوا من أمورو من بلاد سورية العليا)، فتدرب الأكديون على الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة واقتبسوا أصول حضارة تلك الأمصار، ثم اشتد ساعدهم فنهض زعيم من زعمائهم سرجون الأكدي الأول (منتصف الألف الثالث قبل الميلاد) واستطاعوا بمساعيه أن يمتلكوا على ديار الشمريين الذين لم يستطيعوا إذ ذاك أن يضبطوا أزمة ملكهم إثر الوقائع المتواترة بينهم، فانبسط الأكديون في أطراف البلاد وقويت صولتهم في الآفاق وقهروا كل من ناوأهم من الأمم حتى امتدت مملكتهم من عيلام شرقًا إلى البحر المتوسط غربًا[4].

وهت قوى الأكديين فنشأت في ديارهم سلالات متعددة في مدن مختلفة بيد أن الأموزيين مزقوا شملها وأعادوا توحيد البلاد، فتألبوا يدًا واحدة وطفقوا يتوغلون في المدائن، فحطوا الرحال في سهل شنغار، ثم كثف لفيفهم بمن انضم إليهم من أنسبائهم الساميين، ونفروا في عرض البلاد منحدرين جنوبًا حتى دوخوا تلك الأقاليم بأسرها، فأقاموا دعائم أقدم دولة مستقلة، ومن أشهر ملوكهم المشترع العظيم حمورابي [1792–1750 ق م][5]، فنازل العيلاميين وألقى الحصار على بروجهم فاستفتحها عنوة، ودخلت الأقطار الشمرية كافة في طاعته، فعلا شأن مدينة بابل دار مملكته، ومازالت في تقدم حتى دعيت البلاد باسمها، ثم جمع القوانين الشائعة في عهده ونقحها وهذبها ونسقها ووضعها دستورًا لرعاياه هذا فضلاً عما بذل من القوى في سبيل إحياء الصنائع والفنون والعلوم.

وبينما كان الأكديون يتوغلون في بلاد شمر، احتلت إحدى القبائل السامية آشور، قادمة من البادية وأسست المملكة الآشورية نظير المملكة

الشمرية في الجنوب، وبعد عصور طويلة وتدرب على فنون الحروب، شرعوا يزحفون على مملكة بابل تابعين مجرى نهر دجلة، فدارت بينهم وبينها رحى معارك دامية ودخلوها، ففرقوا الأحزاب وقمعوا كل من عاندهم حتى دانت لهم جميع الأمصار، وامتدت فتوحاتهم غربًا، فحاصروا المدن السورية والبلاد الفينيقية فأخضعوها لسطوتهم ولبثت تؤدي الخراج لهم. وفي أيام ملكهم سرجون الآشوري [722-705 ق م] وأعقابه من تسنموا عرشه، بلغت الإمبراطورية الآشورية ذروة المجد والرفعة، فتواردت إليها الأرزاق والغنائم وكثرت فيها المعاقل والحصون وتعددت الهياكل والأبنية الضخمة، حتى صارت أعظم مملكة شاهدها العالم بعد الخليقة، و لم تكن قوة في الأرض تجرؤ على مناوأتها[6]، ثم اعتراها الوهن فأخذت تتراجع وتتقهقر، فزحف عليها الكلدانيون وغيرهم، واستفتحوا مدائنها قهرًا ودكوا أسوارها دكًا، فأصبحت سنة [612 ق م] أثرًا بعد عين.

وفي فاتحة المئة الخامسة عشر قبل الميلاد، تعاظم تسرب الأقوام السامية من أعالي جزيرة العرب[7]، وتدفقت موجاتهم في أنحاء شنعار الغربية منهم الآراميون[8] الذين نزلوا في قلب سورية وتغلغلوا في أرجائها، ثم ساحوا وخيموا في أعالي ضفاف الخابور ومجاري الفرات، وفي أواخر المئة الثانية عشرة ق م، أقاموا ممالك أعظمها مملكة دمشق وحماة، شادوا فيها المدن الواسعة والأسوار الحصينة والقصور الأنيقة، وقد برع أبناء ارم في فنون التجارة واقتبسوا من أهل فنيقية الحروف الأبجدية، وتعلموا من سكان مصر الكتابة بالحبر والقلم، فانتشرت كتابتهم وتغلبت على الكتابة المسمارية السائدة إذ ذاك في آشور وبابل وتعلمتها الأقطار التي تاجروا فيها، فأضحوا ذوي نفوذ أدبي اقتصادي، أو رجال تجارة وأدب، أما ممالكهم فاعتراها الوهن، فدخلت في حوزة الكلدانيين بعدما كان قد سطا عليها الآشوريون في مطاوي المئة الثامنة ق م[9].

أما الكلدانيون، أقارب الآراميين، فكانوا من البداة الساميين من سكان بابل وساحل خليج فارس، فأعادوا على مسرح وادي الرافدين الرواية التي رواها قبلهم أنسباؤهم الأكديون والأموريون والآشوريون، فانتشروا في عرض البلاد وطولها وجندوا بناء مدينة بابل واتخذوها مباءة لمملكتهم، ثم غالوا في الفتوح وزحفوا بجنودهم الكثيفة على آشور وما زالوا غانمين ظافرين حتى أقاموا الإمبراطورية الكلدانية: الإمبراطورية السامية الأخيرة، فكانوا أمة قوية قديمة[10]، ومن أعظم ملوكهم بختنصر. [604-561 ق م]، وقد بلغت مملكته من الشهرة والرفعة في المشرق ما بلغت مملكةُ الرومان في المغرب في عهد القياصرة العظام، وجرى في مدينة بابل من الأعمال العظيمة والإنشاءات الجسيمة ما لم يجري في غيرها من المدن، فتحاشدت إليها الجبايات والأرزاق، وامتدت إليها أسباب التجارات من كل أوب، واتسع فيها نطاق الثروة والغنى حتى لقبت بمدينة الذهب وفخر الممالك وبهجة عظمة الكلدانيين[11]، وفي الوقت نفسه بلغ شعبها أعظم مبلغ من الرفاه والنعمة، وتناهت حالها في الفنون والآداب والمعارف ولاسيما في علم الفلك.

تقدمت المملكة الكلدانية وما برحت تتقدم في معارج الجاه إلى أن تفرغ أهلها للملذات والملاهي فلم يستطيعوا أن يصدوا هجمات جيش قورش ملك الفرس ففتح أبواب عاصمتهم سنة [539 ق م]، وهكذا زالت السيادة من الشعوب السامية وانتقلت إلى الشعوب الآرية[12].

* * *

قضي الأمر واحتل الفرس وادي الرافدين، وفي عهد ملكهم داريوس (دارا) [520–485 ق م]، اتسعت رقعة مملكتهم اتساعًا حتى أصبحت أعظم إمبراطورية ظهرت في الشرق الأدنى القديم، يمتد من نهر السند شرقًا حتى سواحل بحر إيجة غربًا، ومن المحيط الهندي جنوبًا حتى بحر قزوين شمالاً، وبعد

أن توج دارا ملكًا على بابل ومصر، وقبض زمام أحكامها، قسم بقية المملكة إلى عشرين ولاية، أقام لكل منها عاملاً يدعى (مرزبانًا)، وسن لها أنظمة عادلة توافق مشاربها وساس الشعوب والأمم التي دانت لسلطانه بالحكمة والسداد، ومنح كل ولاية استقلالاً في إدارة شؤونها الداخلية، ما دامت تؤدي الأتاوات في أوقاتها، وترسل رجالها للقيام بالخدمة العسكرية، ثم جد كل الجد في تنظيم طرق المواصلات وجباية الضرائب، وبنى أسطولاً بحريًا وشجع الحركة العلمية، بيد أن الحروب الطوال مع اليونان أنهكت قوى الإمبراطورية، فدب الضعف في جسمها ولم تقدر أن تقاوم الإسكندر المقدوني [336–323 ق م] فقضى عليها عام [330 ق م].

وبعد أن اتخذ الإسكندر بابل عاصمة لسرير ملكه الشرقي، أخذ يفكر في إنجاز فتوحه، لكي يتم له تأسيس إمبراطورية، تضم تحت جناحيها كل العالم المعروف في عهده، إلا أن المنية عاجلته قبل تعزيز ما نوى وهو لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره، فاقتسم قواده مملكته الواسعة إذ لم يكن له وارث، فتجزأت إلى ثلاث دول، كانت نصيب قائده سلوقوس نيكاتور [311–282 ق م] آسية الصغرى وسورية والعراق وبلاد فارس.

وطد سلوقوس أموره وبنى في العراق مدينته المسماة باسمه سلوقية (Seleacia) على ضفاف دجلة، ووهب كل مدينة استقلالاً إداريًا على النمط اليوناني القديم، أعني أن كل مدينة كانت تعد جمهورية مستقلة بنفسها، يتولى إدارة الحكم فيها جماعة من سكانها، وكانت هذه المدن المستقلة مبثوثة في جميع أرجاء المملكة تخضع للملك وتؤدي الجزية، بيد أن الاضطرابات الداخلية طفقت تتسرب في البلاد، فهب الفرثيون[13] وشادوا أسس مملكتهم على أنقاض مملكة السلوقيين.

استولى الفرثيون على العراق، وفي عهدهم انتشرت فيه النصرانية في غضون المئة الأولى للميلاد، فترك سكانه المتنصرون اسمهم القديم، واسموا

نفوسهم (سريانًا) تمييزًا لهم من الوثنيين، وقد استحسنوا هذه التسمية لأن النصرانية وافتهم من سورية، وكلمة (سوريبا) الآرامية معناها (نصراني)، وإلى يومنا لا تزال كلمة (سورايا) لدى المتكلمين باللغة الآرامية العامية مترادفة لكلمة (نصراني) لأي جنس أو أمة كان[14].

وفي المئة الخامسة للميلاد، ظهرت في الشرق تعاليم نسطور وأوطاخي[15]، وانتشرت في البلاد الشرقية ولاقت سوقًا رائجة، فالمسيحيون الذين تبعوا مذهب نسطور دعوا (نساطرة أو سريانًا شرقيين)، والذين انضووا إلى لواء أوطاخي* سموا (يعاقبة أو سريانًا غربيين)[16].

هذا وفي مطاوي المئة الرابعة عشرة للميلاد، هبط هذه الديار المبشرون الغربيون، فتبعت جماعات من النساطرة واليعاقبة الكنيسة الكاثوليكية، فأسمى إذ ذاك النساطرة نفوسهم (كلدانًا) واليعاقبة (سريانًا) وهم لا يزالون إلى اليوم يعرفون بهذا الاسم.

* هذا الرأي كان سائدًا في القرن الأول للمسيحية، ولكن ثبت خطأ الرأي القائل إن السريان (الغربيين) قدموا مذهب أوطاخي، ومنذ السنوات الاولى بعد مجمع إفسس (341) حرم السريان أوطاخي وبدعته (الناشر).

1] نصارى العراق في عهد الفرثيين

1/ 1] الحكم الفرثي

ظهرت النصرانية في العراق إذ ذاك في عهد الفرثيين[1]، وقد شاد دعائم مملكتهم قائدهم ارشاك الأول [250–248 ق م]، فطفقت حدودها تمتد حتى ضمت بين جناحيها معظم مدن الأفغان وجميع أطراف المملكة الإيرانية، وجزءًا وافيًا من أقطار روسية، هذا فضلاً على بلاد ماري والعراق وبابل وآشور، وأما عاصمتها فكانت مدينة طيسفون[2].

لم يُكَوِّن الفرثيون من بلادهم وحدة سياسية، بل قسموها إلى إمارات وبلدان مستقلة، يحكمها أمراء أو ملوك، وقد منحوا بعضهم استقلالاً إداريًا وسياسيًا، واكتفوا بالجزية التي كانوا يتقاضونها منهم، بينما فرضوا على غيرهم أن يبعثوا الجيوش لترافقهم في حملاتهم وحروبهم، ولهذا كانت أيام

حكمهم مفعمة باضطرابات داخلية وخارجية، أصبحت من جرائها رقعة ملكهم ساحات معارك دامية، دارت رحاها بين ملوكهم وبين الأقوام الجبلية البعيدة المجاورة بحر قزوين، وبينهم وبين الرومان، وهكذا تمادت الملاحم الطاحنة على المملكة الفرثية، فدارت الدوائر عليها، فسقطت سنة [226 ق م] وقامت[3] على أنقاضها الدولة الساسانية التي سادت أقطارنا العراقية إلى ظهور الإسلام.

وكان دين المجوسية في تلك الآونة، سائدًا في أنحاء العراق يتحكم سدته في رقاب الناس ويتصرفون في معتقداتهم وهم يعلمونهم أن لهذا العالم قانونًا يسير عليه، وأن هناك نزاعًا لا يهدأ بين القوى المختلفة، بين النور والظلمة أي بين آلهة الخير وآلهة الشر، وأن أعمال الإنسان الصالحة تساعد آلهة الخير على منازلة آلهة الشر، وكانوا يتخذون النار رمزًا لآلهة الخير يشعلونها في معابدهم وينفخونها بأمدادهم حتى تقوى على آلهة الشر، أما زعيمهم موبذان موبذ (قاضي القضاة)، فكان يقيم في طيسفون عاصمة المملكة، يتوج الملك ويشاطره نفوذه[4].

تلك كانت حالة وادي الرافدين الاجتماعية والسياسية والدينية، يوم توغلت النصرانية في ربوعه.

[2/1] انتشار النصرانية

إن الأنباء التي وافتنا عن نصارى بلادنا الأولين ضئيلة جدًا، إذ لم يتصد المؤرخون إلى تدوينها إلا في القرون المتوسطة، غير أنهم يؤيدون أن مار[5] أدي أحد تلاميذ المسيح الإثنين والسبعين[6]، وتلميذه مار ماري، بشرا في نصيبين والجزيرة والموصل وأرض بابل والسواد وبلاد العرب وأرض المشرق[7]، في المئة الأولى للميلاد وأوردوا على قولهم النصوص الصريحة[8].

قال جاثليق[9] المدائن[10] طيمثاوس الأول [المتوفى سنة 823 م] ما معناه: «كانت الديانة المسيحية منتشرة لدينا بعد صعود ربنا إلى السماء بنحو من عشرين عامًا»[11].

وكتب المسعودي في سفره التنبيه والإشراف: «والعباد[12] تذكر أول البطاركة[13] السريانيين الذين نزلوا كرسي المشرق على قديم الأيام بعد صعود المسيح إلى السماء بنحو ثلاثين سنة بعد توما أحد الاثني عشر أدي السليح[14] قبل حدوث الخلاف بين النصارى وهو أدي بر[15] ماري (كذا) من السبعين وهو نصر أهل المدائن ودير قنى[16] وكسكر[17]، وغيرها من السواد وبنى بيعتين أحدهما بالمدائن دار مملكة فارس يومئذ وجعلها كرسيًا لمن يأتي بعده من البطاركة ورسم ألا تتم البطركة لمن ينصب لها إلا في هذه البيعة وأخرى بدير قنى وقبره بها[18]».

شاعت النصرانية في العراق، في مطاوي المئة الأولى والثانية من حياتها، فدان بها جموع غفيرة من الشعوب القديمة المبثوثة في أصقاعه[19]، وقد لاقت من أعدائها ما يلاقي كل دين جديد، لدى انتشاره، ولاسيما في تلك القرون المتسكعة في ظلمات الجهل والتعصب، راقبها المجوس بعين الحسد فوقفوا حائلاً دون تقدمها، وضيق كهانهم الخناق على رؤسائها فحرضوا ملوكهم على اضطهادها

لم تستقر أحوال نصارى أقطارنا في عهد الملك الفرثي كسرى، فقد أشعل سنة [89 م] نار أول اضطهاد عليهم، ثم نكل بهم تنكيلاً مريعًا، بل أباد منهم خلقًا كثيرًا، بيد أنهم نالوا الراحة في أواخر حكمه، فاستطاعوا أن يقوموا بأمور دينهم وفروض عقائدهم بكل حرية[20].

هذا وكان ملوك الروم يطمحون إلى العراق، يرمون الإستيلاء عليه، فبلغت جحافلهم الجرارة نهر دجلة واجتاحت مدنه، وكانوا أثناء زحفهم

يثيرون الاضطهادات على النصارى، كما كانوا يثيروها على نصارى مملكتهم، فالإمبراطور تريانوس بعدما استفتح المدائن عنوة سنة [115 م]، أضرم عليهم لهيب الاضطهاد وأذاقهم أنواع الخسف والهوان، فأهلك منهم جمًا غفيرًا، ثم اقتص خطواته السواد الأعظم من القياصرة من توغلوا في هذه البلاد[21].

3/1] الآداب الدينية والاجتماعية

تمتع نصارى وادي الرافدين بالحرية في عهد الجاثليق إبراهيم الكسكري [المتوفى سنة 120 م]، وفي رئاسة عبد المسيح أسقف[22] إربيل [المتوفى سنة 216 م]، وفي أيام الجاثليق أحاد أبوي[23] [المتوفى سنة 220 م]، وقد عاشوا عيشة خالية من الأبهة يرممون ما تهدم من معابدهم ومساكنهم ومدارسهم، يهذبون أبناءهم تهذيبًا علميًا دينيًا طبقًا لوصايا الرسل، ويجتمعون في بيعهم، أو في دور رؤسائهم وأشرافهم يتلون الكتاب المقدس وينشدون المزامير[25]، وأحيانًا كانوا يضطرون إلى إرسال الهدايا السنية إلى رجال الدولة، ليبعدوا عنهم أذى المجوس، الذين كانوا ينهبون بيوتهم ويخطفون أولادهم ليعلموهم المجوسية[26].

وكانوا يومئذ قد نبذوا أعمال المجوسية المستهجنة، وراعوا الآداب الدينية في حياتهم اليومية، وقد ذكر ذلك ططيانس الحديابي[27] [المتوفى سنة 180 م] في خطابه إلى اليونانيين، يثني فيه على آداب المسيحيين والمسيحيات[28]، وحبر برديصان [المتوفى سنة 222 م] في صفحات سفره القدر الموسوم ب‹شرائع البلدان› ما مفاده: «ماذا نقول عن طائفتنا النصرانية الجديدة، التي أسسها المسيح في كل صقع وقطر، فإننا نعرف بالمسيحيين حيثما حللنا وأينما رحلنا، وأن إخواننا من في بلاد الفرثيين لا يتزوجون امرأتين، ومن في

فارس لا يقترنون ببناهم، ومن في مادي لا يهربون من موتاهم، ولا يدفنونهم وهم أحياء، ولا يلقونهم للكلاب لتفترسهم، ومن في حطارا[29] لا يرجمون اللصوص، وأما الذين في الرها[30] فلا يقتلون زوجاهم ولا أخواهم الزانيات، بل يتجنبوهن مسلمين أمرهن لدينونة الله[31]».

وتجنب المسيحيون العراقيون الأولون خرافات المجوسية، فأقروا بخلود النفس وأشاروا إلى ثواها أو عقاها يوم الحشر[32]، وتعمقوا في تفاسير الكتب المقدسة ووقفوا على تعاليمها[33]، وفي سنة [197 م] اجتمع الأساقفة وعينوا يوم الفصح وغيره من الأعياد[34].

لقد شاهد نصارى العراق تقلبات الدولة الفرثية، فعاشوا بين الضيق والرخاء، والحرب والأمن، وإذا حدث خلاف بينهم تلافى الأمر رؤساؤهم قبل استفحاله، فساسوا شؤونهم، واعتنوا بمصالحهم الروحية والاجتماعية، يطيعون جاثليق المدائن، ويتخذونه رئيس أساقفتهم، وقد أضحى كرسيه على تمادي الزمن في مقدمة كراسي المشرق، تخضع له كل كنائس السريان الشرقيين، التي بنيت في بلاد الجزيرة وفارس والعرب وتركستان والهند والصين[35].

4/1] الشؤون الاقتصادية والعلمية

احترف نصارى وادي الرافدين الحرف المختلفة، ليقوموا بأود عيشهم فتعاطوا الأعمال الحرة، واشتغلوا نظير آبائهم الآشوريين والكلدانيين، بفلاحة الأرض وتربية الحيوانات الداجنة، وتفننوا مثل جدودهم الآراميين في التجارة والآداب، فربحوا الأموال الطائلة، وفي الوقت نفسه زاولوا صناعة التعليم وأتقنوا هندسة البناء، وتمهروا في فنون التصوير والصياغة والحياكة والنجارة والحدادة[36]، وسنرى كل ذلك في الفصول الآتية.

وبنيت المدارس المسيحية الأولى في الكنائس، وأول كنيسة عراقية شيدت في المدائن هي كنيسة كوخي العظيمة التي أقام دعائمها مار ماري، وبنى أخرى في دير قنى[37]، ثم شاد الأساقفة كافة في كل مدينة أو قرية، كنيسة أو كنائس في داخلها مدرسة يتعلم رعاياهم بين جدرانها أصول الكتابة والقراءة وسائر العلوم المعروفة في تلك الأزمنة، وعلى الأخص الآداب الدينية والمعارف اللاهوتية.

بنى النصارى في مطاوي القرون الثلاثة الأولى للميلاد كنائس عديدة[38] في حدياب وإربيل وكرخ سلوخ[39] وفرات ميشان[40] وغيرها، كما بنوا في جوارها مدارس[41]، غير أن أحوال الزمان وأهوال الاضطهادات حالت دون تعيين مواقعها وبلوغ أسمائها إلينا، ولاسيما في العصور المتأخرة، حينما تناوبت ديارنا دول متعددة وانتابتها غارات شديدة، ذهبت بمعالمها وقضت على آثار مجدها، وقد ظهر في غضون القرن الثاني والثالث علماء عديدون، فلا ريب أنهم تثقفوا في معاهد البيع وتهذبوا في غرف المعابد، وقد اهتم شحلوفا جاثليق المدائن [المتوفى سنة 244 م] وغيره بالمدارس اهتمامًا لا مزيد عليه[42].

هذا وتفقه نصارى العراق في مطاوي هذه الآونة، في أساليب لغتهم الآرامية الإنشائية، وكانت لغة سكان ما بين النهرين وأقطار الشام، وتغلغلت في بلاد فارس، وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها، ثم امتدت إلى وادي النيل وآسية الصغرى وشمالي جزيرة العرب حتى حدود الحجاز، وبقيت دهورًا طوالاً اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد في بابل وآشور وفارس ومصر وفلسطين[43].

ومن أشهر علماء النصارى العراقيين الذين ظهروا في تلك الأزمنة، ططيانس الحديابي المعروف بالآشوري [المتوفى سنة 180 م]، ولد في ولاية آشور عام [110 م] وقرأ على مشاهير عصره آداب اللغة الآرامية واليونانية،

فوضع مؤلفات يونانية كثيرة، لم يصلنا منها سوى خطابه الذي وجهه إلى اليونان، وبين فضائل النصرانية، أي صلاح المسيحيين وصدقهم، وحشمة المسيحيـــات وعفافهن، وندد بالوثنيـــة تنديدًا شديدًا، وعذلها عذلاً أليمًا، بيد أنه ادعى بإلهين إله مطلق وإله خالق، وأنكر جسد المسيح، وفي نحو سنة [173 م] حبر بالآرامية كتابه المشهور الذي أسماه ‹دياطسرون› بلفظ يوناني مركب معناه (من خلال الأربعة)، وقد جمع فيه الأناجيل الأربعة في مجلد واحد يتضمن خمسة وخمسين فصلاً سبكها سبكًا متقنًا محكمًا، وكان لسهولته وجودة أسلوبه وترتيبه التاريخي، يقرأ في إقليم الفرات، وفي كنائس الرها، حتى أبطل استعماله أسقفها مار رابولا [المتوفى سنة 435 م] حرصًا على سلامة الكتاب المنزل[44].

2] نصارى العراق في عهد الساسانيين

2/ 1] الحكم الساساني

هوت مملكة الفرثيين عام [226 م] وانتقلت بلادها إلى مملكة الساسانيين كاسرة وقد أسسها أردشير بن بابك [226-241 م]، واتسعت رقعة ملكه أيام خلفائه فشملت أقطار إيران والبختيارية والولايات الصغرى في أواسط آسية إلى حدود الصين والهند، كما بسطت سلطانها على العراق والجزيرة[1]، وأقاموا مقامهم في كل بلدة واليًا يدبر شؤونها بعدما اتخذوا مدينة طيسفون عاصمة لهم.

توغل الساسانيون في البلاد والحروب الطاحنة إذ ذاك متواصلة بينهم وبين الرومان، وقد رأينا في الفصل السابق[2]، أن هؤلاء أثاروا على النصارى أيام زحفهم إلى وادي الرافدين أمر الاضطهادات، فأوقد نارها ثانية الملك دافيوس فأمر سنة [250 م] ولاته بتقتيلهم فأبادوا منهم جماعات، وأما الملك ديوقلتيانوس فراقبهم وأراق عام [302 م] دماء مئات منهم[3].

اضطهد ملوك الروم النصارى، كما كانوا يضطهدونهم في بلادهم، بينما ملوك الفرس في أوائل عهدهم لم يتعرضوا لهم، فعاشوا معهم في وفاق ووئام دائبين مواظبين على أعمالهم الدينية والدنيوية، إلا أنهم أضرموا مثلهم نيران الاضطهادات عليهم وقتما وافتهم الأنباء بتنصر الملك قسطنطين الروماني سنة [312 م]، ظانين أنهم متحزبون لنصارى المغرب ميالون إلى قياصرتهم[4].

2/2] الاضطهاد الأربعيني

إن أول الملوك الساسانيين الذين اضطهدوا نصارى العراق، سابور الثاني الملقب بذي الأكتاف [309–379 م]، وقد أثار حينًا بعد حين أربعة اضطهادات[5] قاسوا في خلالها أنواع الظلم والقتل والقساوة، وكان الاضطهاد الرابع الأخير أطولها وأقساها وقد دام زهاء أربعين سنة فدعاه المؤرخون الاضطهاد الأربعيني [339–379 م]، لقد جار سابور على النصارى، ووضع السيف فيهم فمزق شملهم واستأصل شافة معاهدهم الدينية والعلمية، وأباد منهم عددًا عديدًا، وقال المؤرخ ماري بن سليمان: «وقتل سابور من المؤمنين بالدير الأحمر وباجرمي[6] وغيرهما نحو مئة وستين ألف رجل وفي بلدان الفرات نحو ثلاثين ألف رجل»[7].

وقال المسعودي: «إن سابور ملك فارس قتل منهم نحوًا من مئتي ألف»[8].

2/ 3] ازدهار النصرانية

مات الملك سابور الثاني فتحسنت أحوال النصارى، ولاسيما في أيام سابور الثالث [383–388 م]، وبهرام الرابع [388–399 م]، وفي فاتحة المئة الخامسة عم السلام واستتب النظام بين المسيحيين على أثر الصالح الذي تم بين الروم وبين الملك يزدجرد الأول [399–420 م] بمساعي مار ماروثا أسقف ميافارقين[9] (المتوفى في أوائل القرن الخامس)، ومار إسحق جاثليق المدائن [المتوفى سنة 410 م]، فاستأنف المسيحيون أعمالهم وأعادوا انتخاب رؤسائهم، وأسسوا مجامعهم ورفعوا دعائم كنائسهم، ووسعوا غرف مدارسهم، وجددوا بناء ديرتهم[10].

ازداد عدد نصارى العراق إذ ذاك، وبلغت فتوحاتهم الدينية أوج مجدها[11] وانضوى إلى لوائها جمهور من المجوس ذوي المناصب العالية في الدولة[12]، ثم ازدحمت مكاتب معابدهم بالمصنفات واكتظت حلقات مدارسهم بالطلاب، هذا فضلاً على الهمم التي بذلها الرهبان والأساقفة، في تثقيف الشعب العلمي والأدبي، فدربوا رعيتهم على الفضائل العالية والأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة، وشرحوا لهم أسرار الديانة وأصولها وآدابها وشرائعها وكتبها المقدسة، غير أن يزدجرد في أواخر أيامه سنة [420 م] أمر باضطهاد النصارى واقتفى أثره ابنه بهرام الخامس جور [420–438 م]، ويزدجرد الثاني [438–457 م]، ولم تخمد نيران هذه الاضطهادات إلا بعد وفاة الملك هرمزد الثالث فيروز [457–484 م][13].

ثارت على نصارى ديارنا الاضطهادات الهائلة، وحلت بهم الضربات الأليمة، ورغمًا عن ذلك فلم تستطع أن تزعزع إيمانهم، ولا أن تتغلب على اعتقاداتهم، بل زادتهم نشاطًا وقوة[14]، فكان رؤساؤهم يقيمون المجامع ليتباحثوا في سياسة الكنيسة، وينظموا حياة أبنائهم الاجتماعية والعلمية،

ويوحدوا أعيادهم وصومهم وصلواقمم الطقسية[15]، وأقر مجمع سلوقية الثاني المنعقد عام [410 م] أن يجتمع الأساقفة والمطارين في كل سنتين مرة واحدة لدى الجاثليق في سلوقية لإصلاح أمور البيعة والطائفية، وأن تكون الصلوات الطقسية موحدة نظير صلوات بيعة المدائن، وأن يكون لكل كرسي أسقف واحد لا غير، وأن تعيد جميع الكنائس معًا عيد الميلاد والدنح[16] والقيامة[17].

4/2] تقدم العلوم

ازدهرت النصرانية فتقدمت العلوم، ونبغ في تلك الأزمنة جمهور من العلماء المسيحيين العراقيين، وخدموا الآداب على اختلاف أنواعها، وجدوا في نشرها بحنكة وإخلاص وتفان، منهم: شحلوفا أسقف إربيل [المتوفى نحو سنة 253 م]، وكان من أنحاء بيت أرماني[18] فنشأ وتهذب في مدينة كسكر، وانبعثت فيها أنوار علمه، فأضحى من أولي العرفان وجهابذة زمانه الأماثل، وزار المدائن لشؤون النصارى، وقد درس وعلم وشاد عدة مدارس في أطراف البلاد، تقاطر إليها الطلاب من كل فج وصوب، فخرجوا منها ونشروا العلم والحكمة في الآفاق، ولم يصلنا من مؤلفاته شيء يذكر[19].

وعاش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، عبد يشوع أسقف كسكر، ويعرف عند اليونان باسم مار أرخلاوس، اشتهر بحسن الأخلاق ولين الجانب، وكان في أيامه من أكابر أئمة العلم، جادل المبتدع ماني[20] ودحض تعاليمه، وأعاد كيده في نحره بالبراهين الساطعة والبينات اللامعة، ولم يبلغنا من مصنفاته سوى هذه المجادلات التي نقلت منذ المئة الرابعة من الآرامية إلى اليونانية واللاتينية[21].

ومن العراقيين الذين عرفوا بالآداب الدينية، جاثليق المدائن بربعشمين[22]، كان من باجرمي، وترعرع على التقوى والصلاح، وتمهر في العلوم

اللاهوتية، فأصبح من مشاهير عصره، وقد قام بمصالح رعيته أحسن قيام، وسلك معها مسلك الجد والصدق والأمانة، حتى نال إكليل الشهداء بعدما أذيق أشد العذاب بأمر الملك سابور الثاني عام [347 م][23].

وفي أواخر القرن الرابع أيام بهرام الرابع [388–399 م]، التمس الراهب العراقي عبدا (وهو عبد يشوع القناني)[24]، من جاثليق المدائن تومرصا[25] [383–399 م]، أن يشيد الديرة في أنحاء العرب[26]، فلبى طلبه، ثم حسر عن ساعد الجد، فبنى باسم مار ماري ديرًا كبيرًا في دير قنى[27] مسقط رأسه، وألحق به مدرسة جامعة عظم شأنها حتى أصبح فيها ستون مدرسًا[28]، وخرج منها أساقفة وجثالقة وعلماء عديدون أشهرهم الجاثليق مار احي [المتوفى سنة 415 م]، والجاثليق مار يابالاها [المتوفى سنة 420 م].

تهذب مار احي في مدرسة أستاذه مار عبدا وفوض إليه تدبير تلاميذها، ثم أقامه رئيسًا على ديره، وقد أحبه الملك يزدجرد، ومال إليه، فأنفذه سفيرًا إلى فارس ليحسم الخلاف الذي كان قائمًا بينه وبين بيهور بن سابور أخيه، فقام بما عهد إليه أحسن قيام، وانتهز مار احي الفرصة في أثناء سفره إلى بلاد فارس، فبحث عن شهدائها الذين نالوا إكليل الاستشهاد في الاضطهاد الأربعيني [339–379 م]، فوضع سفرًا جليلاً سطر فيه أخبارهم[29].

أما الجاثليق يابالاها فكان من مشاهير زمانه متفقهًا في العلوم، فقد تقلد رئاسة دير مار ماري، وصار جاثليقًا بأمر الملك يزدجرد، وقد أرسله إلى ملك القسطنطينية تيودوسيوس الثاني [408–450 م]، لتوثيق روابط الصلح بين الدولتين، ومن أعماله أنه جدد بناء بيعة المدائن الكبرى، وابتنى ديرًا في دسكرة[30]، وديرًا آخر على ضفة نهر دجلة فقصده رهبان كثيرون من عدة أنحاء، حتى بلغوا أكثر من أربعمئة راهب، وكانوا يتكلمون لغات مختلفة، فنظمهم أربعًا وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الصلوات ليلاً ونهارًا، فيتلون الأناشيد الدينية بلغاتهم أي بالآرامية واليونانية والقبطية[31].

5/2] انتشار تعاليم نسطور وأوطاخي

وبينما كان نصارى العراق يعيشون حينًا في سلام، وأحيانًا بين ألم الاضطهاد، ظهرت تعاليم نسطور وأوطاخي، وانتشرت منذ أواخر القرن الخامس الميلادي[32]، فانقسم سكان الشرق النصارى إلى قسمين: قسم عدل إلى النسطورية، وأغلبهم من أهالي شرقي الموصل إلى خليج فارس، دعوا نساطرة أو سريانًا شرقيين، وقسم تبع مبادئ أوطاخي، ومعظمهم من أهل غربي الموصل إلى جهات الرها وحدود حلب وحمص وحماة، وسموا يعاقبة أو سريانًا غربيين، وذهب فريق من العلماء إلى أن اسم السريان الغربيين كان يطلق على نصارى بلاد الشام فقط[33].

6/2] بين الضيق والرفاه

رأينـــا[34] أن ملوك الفرس كانوا يشكون في أمانة النصارى، الذين في حكمهم ظانين أنهم متحالفون مع الروم ميالون إليهم، غير أن هذا الشك قد زال عندما تبعوا تعاليم نسطور وأوطاخي، فأحسنوا إليهم ليقيموا فواصل مذهبية بين نصارى فارس والروم[35]، فالملك قباذ الأول بن فيروز [488 – 531 م] بالغ في معاضدتهم ومؤازرتهم، ولاسيما عندما ساعدوه[36] في أثناء هروبه لدى الهياطلة[37].

تنفس نصارى العراق إذ ذاك الصعداء، وشمروا عن ساعد الجد، وأخذوا يزاولون أعمالهم اليومية، يكتنفهم الأمن ويخدمهم النجاح، فعاد الفلاح المسيحي إلى حقله، والعامل إلى صناعته، والتاجر إلى تجارته، ثم شادوا كنائس وأديرة، وفتحوا مدارس منظمة واسعة الأرجاء رحبة الردة، قام بأعباء رئاستها مدرسون أفاضل وخرج منها علماء أماثل خدموا البلاد وأذاعوا العلم في أنحائها.

مات قباذ الأول، وتبوأ منصة الملك ابنه كسرى الأول الملقب بأبو شروان [531–578 م]، فلاطف في أوائل عهده النصارى وساعدهم كثيرًا، غير أنه اضطهدهم عام [541 م]، لكن هذا الاضطهاد لم يشتد ولم يدم نظير اضطهادات سابور وخلفائه، لأن النصارى كانوا قد كثروا وانتشروا في أطراف البلاد، وأن عددًا منهم كانوا مقربين لدى الملك، فخاف أن يقع في المملكة مالا تحمد عقباه، فانحصرت الاعتداءات في الأماكن التي قل فيها النصارى، وأما في عهد ابنه هرمزد الرابع [579–590 م]، فقد عاش المسيحيون في سلام لأنه كان يحبهم[38].

ثم تربع على عرش الساسانيين كسرى الثاني أبرويز [590–628 م]، ولما استتب له الملك خاف النصارى أذاه، فترك المدائن الجاثليق يشوعياب الأرزني[39] الأول [582–595 م] وفر ملتجئًا إلى الحيرة لدى الملك المنتصر النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس [585–613 م][40]، بيد أنه لم يضطهدهم بل أحسن إليهم وأمر بإكرامهم وتجديد بناء كنائسهم، فقد أنفذ الطبيب مار آبا الكسكري سفيرًا إلى موريقى لأمور خطيرة، وولى يزدين الصراف على أقطار باجرمي، وأقام يوحنا الكسكري أمينًا لخزانته[41]، هذا فضلاً على أنه كان متزوجًا بامرأتين مسيحيتين: مريم بنت ملك الروم موريقى، وشيرين الآرامية من أرض ميشان (البصرة)، فشاد للأولى كنيستين وللثانية كنيسة كبيرة، وقصرًا فخمًا في بلاشبار وهو قصر شيرين اليوم[42].

بقي كسرى أبرويز يكرم النصارى إلى أن قتل موريقى عام [602 م]، فأخذ يبغضهم[43]، وفي أواخر حياته أساء إليهم وتجبر وتكبر وعبث بالرعية، فضاعف الجزية واستحوذ على أموالهم[44]، حتى خلفه ابنه شيرويه سنة [628 م] من مريم، فصالح هرقل ملك الروم على إعادة البلاد التي كان قد استولى آباؤه عليها، وكان شيرويه رقيق القلب، كريم الخصال، فأحسن إلى شعبه

وسامحهم في تأدية الضرائب، وأكرم النصارى الإكرام كله، بيد أنه لم يملك سوى ستة أشهر[45].

[7/2] ظهور الإسلام

وفي سنة [632 م]وبعد فتن أهلية دامية جلس على سرير الأكاسرة يزدجرد الثالث [632–651 م]، وفي تلك الأثناء اشتد ساعد الإسلام، واتحد سكان جزيرة العرب بعد التفرق، وترابطوا بعد التقاطع وخضع جميعهم لزعيم واحد يجمع كلمتهم ويتدبر أمورهم، فانصرفت هممهم إلى الفتح والتبسط في الآفاق، وأنفذ الخليفة أبو بكر الصديق [10–13 هـ/ 632–634 م]، خالد بن الوليد المخزومي إلى أرض العراق، فزحف إلى الحيرة وفتحها صلحًا[46]، ورحب به النصارى وانزلوا جنوده في كنائسهم وديرهم[47]، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب [13–23 هـ/ 634–644 م] تولى القيادة العامة سعد بن وقاص، فخيم في القادسية[48] ثم اشتعلت نار الحرب بينه وبين القائد الفارسي رستم، فدارت الدوائر على الفرس، وفي عام [16 هـ/ 637 م]سارت الجنود العربية إلى المدائن وفتحوا أبوابها، وفي سنة [19 هـ/ 640 م]زحفوا إلى فارس فاشتبك القتال بينهم وبين الفرس فاستظهروا عليهم، وهكذا انقرضت الدولة الساسانية واستولى المسلمون على أملاكها وسكانها وعلى قسم عظيم من مملكة الروم.

[8/2] العلم ودوره

استمرت مملكة الساسانيين أكثر من أربعة قرون [226–651 م]، وقد عاش النصارى في مطاويها تارة بين حرب وظلم وشقاء وتارة بين سلم وعدل وهناء، وأجمع المؤرخون ولاسيما الشرقيون، على أن هذه الآونة

كانت ميدانًا فسيح الجوانب تبارى فيه أعظم أدباء النصرانية، فوسعوا نطاق المعارف وتنافسوا في التصنيف، ثم أقاموا مدارس طارت شهرتها في المعمورة، وتصدر للتدريس فيها نخبة من علية الأساتذة، وقرأ عليهم جمهور غفير من العلماء والفلاسفة الذين كشفوا عن مكنونات الحكمة واستطلعوا أسرارها، وتفقهوا في العلوم اللاهوتية، وتعمقوا في تفسير الكتب المقدسة وتبسطوا في الطب والكيمياء والرياضيات.

ولا عجب في ذلك، فقد كان في العراق زهاء خمسين مدرسة مسيحية منظمة، تعلم في صفوفها العلوم الآرامية واليونانية، ومنذ المئة الخامسة أخذ نصارى بلادنا، يدرسون فلسفة أرسطو وينقلون مصنفاته إلى لسانهم، فكانوا أيان تطمئن خواطرهم من مظالم الحكام وفوضى الفاتحين، ينصرفوا إلى الاشتغال بالعلوم وفنونه[49]، هذا فضلاً على أن هرمزد بهرام الأول [272 -273 م]، انشأ مستعمرات من أسرى الحرب الرومانيين، وكان بينهم من تثقف بالثقافة اليونانية، ومنهم من كان يفوق الفرس بالفن والهندسة والطب، فاستخدموهم في شؤونهم المهمة[50]، ومن هؤلاء الأسرى من نزلوا الحيرة[51].

إن دولة العلم كانت يومئذ لدى نصارى الرافدين، رفيعة العماد فسيحة الظلال، حافلة بمئات من الرهبان والدارسين والباحثين والعلماء، وبعدد من الأطباء والشعراء والأدباء والمهندسين، وقد أتقنوا العلوم، وبرعوا في الصناعات ونبغ الكثيرون منهم في فن البناء والنحت والتصوير والتجارة.

وأما صناعة التعليم فقد اشتهر بها النصارى، فقسموا بادئ بدء معاهدهم العلمية إلى أولية فابتدائية فعالية، وشادوا منذ أوائل القرن الرابع الميلادي أربع كليات أو جامعات لاهوتية، منظمة واسعة الأرجاء، ممتدة من سورية إلى بلاد العجم، أي في مدينة الرها ونصيبين والمدائن والأهواز، فأصبحت هذه المدن كعبة الأدب ومحط رواد العلم وهم يشدون الرحال إليها من كل حدب وصوب ليرتشفوا من مناهلها الآداب العذبة[52]، وما عدا هذه المراكز

العلمية، فقد كان في كل مدينة وقرية مدرسة، وذكر توما المرجي والمستشرق لابور، أن دور التثقيف انتشرت في المدن كافة، وفي القرى وفي أغلب الأديار[53].

ولا حاجة إلى ذكر أسماء معلمي العراق النصارى الذين نبغوا حينذاك، لأن جميع رؤساء دينهم ورهبانهم كانوا مدرسين ومرشدين، وقد تربعوا على منابر التدريس، يهذبون الناس ويثقفونهم ويعلمونهم العلوم الدينية والدنيوية، في معابدهم ومكتباتهم ومناسكهم، فإبراهيم النتفري[54] (أواسط القرن السادس الميلادي) شاد عدة مدارس في حدياب ووضع رسائل عديدة بليغة[55]، وبولس المدرس أسس غيرها وعلم في مدرسة إربيل أكثر من ثلاثين عامًا، وسار سنة [532 م] إلى بيزنطة، على أثر دعوة من الملك يوستنيانوس، ليلقي محاضرات فلسفية أو شروحًا في الكتاب المقدس، على بعض وزرائه[56]، هذا عدا مدرسة بيت شاهاق في كورة نينوى، وقد حوت صفوفها نيفًا وثلاثمئة تلميذ[57]، ومدرسة بلد[58]، والرستاق في مرج الموصل[59]، وكرخ سلوخ (كركوك) ومدارس المدائن[60] وكسكر[61] والحيرة[62].

9/2] الكنائس والديارات

شاعت النصرانية في العراق، فشاد أهلها الأغنياء الكنائس والأديار والقصور، ولا ريب فقد تولى بناءها مهندسون مسيحيون، بذلوا أقصى سعيهم في إتقان صناعتها، وبقاياها إلى اليوم تشهد على عظم شأنها، فكانت الكنائس غالبًا هياكل واسعة عالية القباب، ذات أسواق متعددة، جامعة بين متانة البناء وحسن الشكل، وقد وصف شعراء العرب قللها ومحاريبها وصلبانها وتماثيلها ونقوشها، ومن أجمل الكنائس وأوسعها في تلك الأزمنة كنيسة الباعوثة في الحيرة[63]، قال أبو الفداء:

«وكانت (الحيرة) منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة»[64].

وبيعة خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة، قال ياقوت: «بناها لأمه وكانت نصرانية»، ثم بيعة عدي بن الدميك اللخمي في الكوفة[65]، وكنيسة مار دانيال في بابل التي هدمت في الاضطهاد الأربعيني [339–379 م][66]، والكنيســـة الفخمة التي شادها في تكريت[67] المفريان[68] ماروثا [المتوفى سنة 639 م][69] وغيرها، وقد بالغ نصارى العراق في تنميقها وعنوا كثيرًا بزخارفها واهتموا أكثر بتصاويرها[70].

ومن القصور العديدة التي بناها النصارى ديارات الأساقف[71] والقصر الأبيض الذي أقام دعائمه جابر بن شمعون أسقف الحيرة أحد بني الأوس بن قلام، وقد أتاه الملك النعمان وعدي بن زيد، وطلب منه النعمان مالاً يستعين به على أمره عند كسرى، فأضافهما ثلاثة أيام وأعطاهما ثمانين ألف درهم[72].

وأما الديارات فكانت كحصون محصنة، مبثوثة في أنحاء البلاد وفي داخلها، بيع بديعة شيدت بين الحدائق والرياض، وفي قمم الجبال والروابي المطلة على الأودية النضرة، والسهول الفسيحة، وفي مواضع منقطعة عن الناس[73]، وقد سعى البناؤون إلى إتقان هندستها، ولا بدع في ذلك لأن الملوك وأعيان الدول وأهل الثراء أقاموا أسسها، فالنعمان بن المنذر أبو قابوس [585–613 م]بنى دير اللج في الحيرة[74]، وهند بنت الحارث بن عمرو بن جحر[75] شادت دير هند الكبرى في الحيرة[76]، وهكذا نقول عن دير الأعور بظاهر الكوفة، وقد بناه رجل من إياد يقال له الأعور، من بني حذاقة بن زهر بن إياد[77]، ودير الجرعة في الحيرة وهو دير عبد المسيح بن بقيلة[78]، ودير حنظلة في الحيرة، وينسب إلى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربي بن نمارة بن لخم[79]، هذا عدا دير الدهدار بنواحي البصرة،

قال ياقوت: «إنه دير قديم أزلي كثير الرهبان معظم عند النصارى وبناؤه من قبل الإسلام»[80]، وقلاية العمر،[81] أو عمر نصر وكان من منتزهات آل المنذر في الحيرة[82]، ودير مار سرجس وهو بين الكوفة والقادسية[83]، ودير السوسي في نواحي سرمن راى[84]، ودير العذارى وهو بين أرض الموصل وبين أرض باجرمي، قال الخالدي: «وشاهدته وبه نسوة عذارى»[85]، ودير مار متى في شرقي الموصل، على جبل شامخ يقال له جبل متى[86]، ودير الجب في شرقي الموصل[87]، ودير القيارة وهو على أربعة فراسخ من الموصل، إلى الجانب الغربي من أعمال الحديثة[88]، وقد روى مؤرخو العرب هذه الديارات وذكروا أخبارها وكتبوا عن حفلاتها[89].

كان نصارى بلادنا يتفاخرون ببناء المعابد والمناسك وأنفقوا الأموال الطائلة في سبيل تجميلها وهندستها، قال الحموي:

«وكان أهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع، وربها أهل المنذر بالحيرة، وغسان بالشام، وبنو الحارث بن كعب بنجران، وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران، ويجعلون في حيطانها الفسافس، وفي سقوفها الذهب والصور، وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك إلى أن جاء الإسلام»، وقال عن دير قنى: «هو دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء وفيه مئة قلاية لرهبانه وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من ألف دينار إلى مئتي دينار، وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار وتباع علة البستان منها من مئتي دينار إلى خمسين دينارًا وفي وسطه نهر جار»[90].

وقد عثر الآثاريون والسياح في الآونة الأخيرة، على كنائس قديمة، وجدوها مطمورة في أرض العراق، يرتقي عهد بعضها إلى القرون الثلاثة قبل الإسلام، وقد صور على جدرانها صور تنبئ عن براعة مصوريها، والآنسة الإنكليزية بِل وضعت كتابًا وصفت فيه كنائس ما بين النهرين، ونشرت بين

دفتيه صور أكثرها، قد شادها النصارى في القرن الرابع والخامس والسادس للميلاد[91].

ووقف الحفارون في طيسفون (سلمان بك) سنة [1928 م]، وفي الحيرة عام [1931 م]، على بقايا كنائس عديدة، شيدت جدرالها باللبن وعمدها بالآجر، وقد طلي داخلها كلها بجص أبيض، وأما سقف معظمها فمعقود، ووجدوا بين أنقاضها صلبانًا ونقوشًا وقناديل مختلفة الشكل، ملونة بألوان جذابة تعرب عن تقدم الصناعات المسيحية العراقية القديمة[92].

هذا وكانت مكتبات تلك البيع والأديار، مكتظة بالأسفار النفيسة والمصاحف الثمينة، وقد حبر أكثرها الرهبان بخط جميل رائق، تخاله سبائك من الفضة، أو سلاسل من العقيان، وأحصى منها الأب شابو المستشرق الفرنسي، نيفًا وثلاثة آلاف في سبع خزائن من مكتبات أوربة[93]، واشتهرت هذه المخطوطات، ولاسيما مخطوطات الكتب المقدسة بنقوشها المحبرة وزخارفها الملونة، التي تتباهى بها المتاحف والمكاتب شرقًا وغربًا، إذ نمق المصورون في صحائفها أحلى الصور، وأودع الخطاطون في أوراقها أبدع الأقلام[94].

[10/2] الموسيقى الكنسية والمدنية

واشتهر نصارى وادي الرافدين بالموسيقى الكنسية، واستعملوا آلات الطرب في ألحانهم، وقد وضع أدباؤهم أناشيد بيعية وسطروا أدعية خشوعية، ونظموا موشحات تقوية، محكمة الوزن مضبوطة القياس، هذا فضلاً عما وشت به أقلامهم من الليتورجيات أو النافورات[95] والحسايات[96]، وذهب أغلبهم في ذلك كل مذهب، وأفاضوا في معانيها كل الإفاضة، ولا يزال معظمها مدونًا في كتب طقوسهم، وتتلى صباح مساء في كنائسهم، بأنغام

شجية تهفو إليها الأسماع لعذوبتها وتلهو بها القلوب لانسجامها، وقد تكاملت طقوس النساطرة التي تسلموها من رسلهم وملافنهم، في أوائل المئة الخامسة إلى أواخر المئة السابعة، على أيدي الجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحزي [المتوفى سنة 660 م]، والراهب الموسيقي عنا نيشوع (القرن السابع)[97]، وبوشر جمع طقوس اليعاقبة، في صدر القرن السابع حتى أواسط القرن الثاني عشر، وممن عني بها الربان[98] سبروي [المتوفى سنة 630 م] وولداه راميشوع وجبرائيل والراهب داود بن بولس [المتوفى نحو سنة 780م]، ودنحا الثالث الحراني مفريان الشرق [المتوفى سنة 932 م]، وباسيليوس الرابع بن قباذ التكريتي [المتوفى سنة 1069 م][99]، ونقحت هذه الطقوس عند الكلدان والسريان بعدما تبعوا الكنيسة الكاثوليكية، قال الأبشيهي: «لأهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة»[100].

أما الموسيقى المدنية، فقد برعوا فيها ولاسيما أهل الحيرة النصارى، فاستعملوا في مآدبهم وأعراسهم ومجالسهم الكنارات والطبول والدفوف والصنوج والجلاجل والأبواق والنواقيس، واستعاروا من الروم الأرغن والبربط[101] والسنطور والقانون والقيثار، وأخذوا من الموسيقيين الحجازيين المزهر والمعزف والقصبة.

وكان فن الموسيقى يدرس في مدارس الحيرة، فقد أرسل بهرام الخامس جور [420–438 م] إليها وبرع في العلوم العربية والموسيقى، وتعلم في الحيرة النادر بن الحارث الموسيقى وأجاد الضرب على العود[102]، أما الغناء الحيري فقد طارت شهرته في الآفاق والقيان اللواتي يتقن غناء الحيرة يبعن إلى الملوك والأمراء، وكان لجبلة بن الأيهم الغساني عشر قيان «خمس منهن يغنين بالعيدان بالرومية، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة»[103]، وكتب أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني عن المغنين الحيريين المسيحيين الذين ظهروا في

صدر الإسلام، وعرفوا بأغانيهم الرخيمة وضربهم على الأوتار أخصهم برصوما المزمر وعون العبادي الحيري، وحنين بن بلوع الحيري الشاعر المغني وغيرهم[104].

2/ 11] الشؤون الاقتصادية والاجتماعية

وكان نصارى العراق يتعاطون البيع والشراء، فيفدون إلى الأسواق المنتشرة إذ ذاك في جهات الجزيرة العربية للمقايضات وضروب المبايعات، وهم يبيعون محصولات أوطانهم ويتاجرون بالبز والعطر والألطاف، ماعدا الجوهر والحجارة الكريمة كالجزع والياقوت واللالئ[105].

واشتهر أهل الحيرة بالتجارة فكانت لطيمتهم[106] تخرج من العراق ويرسلونها إلى اليمن[107]، وكتب الأصبهاني عن سوقهم التي كان يجتمع فيها الناس كل سنة، وقد قصدها الحكم بن أبي العاص يحمل عطرًا وهو يريد بيعه، ووافاها حاتم الطائي[108]، وكانت تقام في بقة (من أرباض الحيرة) سوق وهنالك اجتمع في إحدى السنين مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء اللغة الآرامية[109]، هذا فضلاً على أن التجارة مع الفرس كانت بيد الحيريين، وكانوا هم الصلة بينهم وبين عرب الجزيرة، يحملون إليهم البضائع الفارسية ويبيعونها في أسواقهم[110].

ومن الصيارفة والمثرين المسيحيين العراقيين الذين جاء ذكرهم في الأخبار، عيسى بن براء الصراف[111]، وكان أبو زيد حنين بن إسحق من أبناء من يتعاطون الصيرفة[112]، ونزل الملك النعمان وعدي بن زيد العبادي ضيفين على جابر بن شمعون أسقف الحيرة مستقرضين منه مالاً، فأكرم مثواهما مدة ثلاثة أيام يذبح لهما ويسقيهما الخمر، فلما كان اليوم الرابع قال

لهما: ماذا تريدان: فقال عدي تقرضنا أربعين ألف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى، فقال لكم عندي ثمانون ألفًا ثم أعطاهما إياها[113].

واشتغل نصارى وادي الرافدين بالتجارة والحدادة والصياغة والحياكة، فألموا بأطراف هذه الصناعات، وأتقنوا أحكامها وتفننوا في أساليبها وتوسعوا في ضروب زخارفها، فقد نحت نجاروهم الرماح والقسي والسهام لسلاحهم، والهوادج لظعائنهم، والعمد والأوتاد لخيمهم، هذا فضلاً عما نجروا من المنابر والمقاصير لكنائسهم وأديارهم، وكانت الحدادة رائجة بينهم، فبرعوا في صناعة الأبواب الحديدية والسيوف والدروع والخوذ والجواشن ونصل الرماح، وعالجوا صياغة الحلى الذهبية والفضية وهم يرصعونها بالجوهر، وأما الحياكة فقد كانت شائعة بين ظهرانيهم، فنسجوا القز والكتان والصوف، وحاكوا البرود المصبغة والحلل المخططة، وكان القماش أحيانًا موشى بالقصب أو مطرزًا بخيوط الذهب[114]، وارتدوا الساج والطيلسان، وقد ورد ذكرهما فيما فرضه خالد بن الوليد على النصارى العباديين، وزعيمهم إذ ذاك عبد المسيح بن بقيلة من أهل الحيرة[115]، وكان النعمان في أثناء ركوبه إلى دير اللج يرتدي ثيابه الملكية ومعه أهل بيته خاصة من أهل المنذر من ينادمه، عليهم حلل الديباج المذهبة وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أواسطهم الزنانير المفضضة بالجوهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان من التبر، فإذا قضوا صلاتهم انصرفوا إلى مستشرفة على النجف[116].

هذا وكان نصارى العراق يعقدون مجالس الأنس في أعراسهم، ويحيون الليالي بالملاهي والغناء في أثناء أفراحهم، ويولمون الولائم استبشارًا بمواليدهم أو زائريهم، وهم يزينون تلك الحفلات بالأثاث النفيس والرياش الثمين والأواني الفضية والذهبية والمآكل اللذيذة[117]، وكانوا يحلفون بالله والمسيح والقربان[118] والمعمودية ويكرمون الصليب ويلثمونه ويعلقونه في أعناقهم ويمسحون أيديهم به[119].

أما المرأة فكانت تراعي أصول الحشمة والحياء، وتميل إلى التزين بالأحجار الكريمة واللالئ الغالية[120]، وكان تعدد الزوجات ممنوعًا لدى النصارى، جاء في ‹تاريخ كلدو وأثور›: بطل العشاق من الكنائس بهمة الجاثليق مار آبا [المتوفى سنة 552 م]، غير أن الشرور الناجمة منه لا تزال باقية، فإن كثيرًا من المسيحيين قد ضعف إيمانهم، فاقتدوا بالمجوس والوثنيين، وتزوجوا نظيرهم امرأتين أو امرأة الأب أو عمتهم أو خالتهم أو ابنتهم أو امرأة أخيهم وهلم جرًا، فأصدر مار آبا منشورًا عنوانه «تدبير الأفعال الصالحة» حرم فيه هذه الأعمال[121].

وأتى في كتاب التاريخ السعردي: «كان هذا جبرائيل رئيس أطباء الملك، ويعرف بجبرائيل السنجاري، وقد اتخذ امرأة على امرأته، فحرمه مر سبر يشوع وشفع الملك [كسرى الثاني أبرويز 590 –628 م] في حله من حرمه فلم يشفعه»[122].

2/ 12] الأطباء

كان لنصارى أقطارنا، أطباء كثيرون ومدارس طبية ومستشفيات عديدة،[123] فتقلد زمامها أساتذة أفاضل، ودرس فيها أطباء نطس من أقطاب العلم والعرفان، وتتلمذ لهم قوم، رفعوا شأن الطب وبرعوا فيه، ومن الأطباء العراقيين الذين بلغتنا أسماؤهم قبل الإسلام، سراييون من أهل باجرمي وخرج ولداه طبيبين فاضلين وهما يوحنا وداود، وقد صنفوا كتبًا وكناشات[124] في فن صناعتهم ونالوا بالحذق والمهارة على مقام[125]، وكان من رجال الدين أطباء في بلاد فارس، ومنهم كثيرون انتشروا في الحيرة[126]، وكانت في الدير الذي بناه يابالاها على شاطئ دجلة، فرقتان من الرهبان تلازمان خدمة المرضى والغرباء[127].

ومن الأطباء المشهورين قاميشوع الباهدري[128]، وقد وضع رسالة في الطب، وجبرائيل السنجاري، وآبا الكسكري، فأكرم كسرى الثاني أبرويز [590 –628 م] جبرائيل وقربه منه، لأنه كان رئيس أطبائه وعالج أسرته خير معالجة، كما أنه أكرم آبا لأنه قام بخدمته أحسن قيام، وفي الوقت نفسه كان عالمًا متضلعًا من الفلسفة والفلك والطب[129].

2/ 13] الشعراء والأدباء

ومن أشهر شعراء النصارى العراقيين، الذين عرفوا في مطاوي هذه الأزمان، نرسي [المتوفى سنة 507 م]، ولد في معلثايا[130]، وهو من فحول الشعراء، وقد برع منذ صغره في كل علم وفن، فدعي إلى نصيبين وأعاد تأسيس كليتها الطائرة الصيت[131]، وأدار دفتها زهاء عشرين عامًا فقرأ عليه أدباء أفاضل بثوا العلوم والآداب في أنحاء البلاد، ووضع مؤلفات كثيرة، لم يبق منها سوى شروح إضافية في الكتب المقدسة، تنطق بتقدمه في صناعة الكتابة، وخمس وستين وثلاثمئة قصيدة في أثني عشر مجلدًا، خلدت شهرته في العالم أجمع، لرشاقة ألفاظها ورقة تعابيرها وروعة تشابيهها، فأطلق العنان لقريحته الفياضة في معانيها الفلسفية، وذهب كل مذهب في أساليبها الشعرية، فجاءت تحفة لا نظير لها في الفصاحة والبلاغة ومتانة السبك والخيال الرائع، وقد دعاه أدباء الآرامية: لسان الشرق وشاعر النصرانية[132].

ومن أبرز الأدباء الذين ظهروا في تلك الغضون، مار فيلكسين أسقف منبج [المتوفى نحو سنة 523 م]، ولد في تحل[133]، وبعد ما تلقى العلوم في دير قرتمين في طور عبدين، انتقل إلى مدرسة الرها ثم إلى مدرسة دير تلعدا[134]، فخرج من وجوه علماء عصره متبحرًا في العلوم ومتضلعًا من الآداب، وبارعًا في الآرامية واليونانية، وقد ألف مجاميع ودواوين تشهد ببعد غوره في

مسائل الفلسفة، وتبسطه في أصول كل علم، وإحاطته بفروع كل فن، فصنف في علم اللاهوت مؤلفين، بحث فيهما عن أسرار الدين، وكشف عن حقائقه وغاص على دقائقه، وشرح أسفار العهد القديم والجديد، شرح خبير بمحاسنها عليم بصحيحها، بصير بجيدها، ووضع مقالات جدلية متينة الحجة حاضرة الدليل، وحبر اثنتين وعشرين رسالة جامعية، ضمنها فوائد لاهوتية وتاريخية ونسكية، وألف خطبًا دينية تدل على رجاحة العقل وسمو الفكر، وأنفس مؤلفاته وأشهرها كتاب ‹السيرة النسكية› طبعه المسيو بودج سنة [1894 م]، وقد سرد فيه فضائل الرهبان من عبادة وزهد وتوبة، فجاءت عباراته فصيحة ومقاصده صحيحة[135].

ونبغ في أواخر المئة السادسة وأوائل المئة السابعة، حنانا الحديابي وتلميذه سهدونا الهلموني، وعرفا بتعاليمهما الكاثوليكية، وناضل حنانا فيها نضالاً عنيفًا، وأثنى المؤرخون على مصنفاته الثناء كله، بيد أنه لم يصلنا منها سوى قصائد دينية قليلة، وتفاسير في الكتب المنزلة، وأما سهدونا فقد ولد في قرية هلمون من صقع بالهدرا، ومنذ حداثته جد في الدرس والمطالعة، فأصبح من مشاهير أئمة زمانه في المعارف والعلوم، ثم أقيم أسقفًا على ماخور أريون من ولاية باجرمي، فكان لين الجانب غزير الفضل وافر الأدب، وسطر كتبًا ورسائل أنيقة الوشي مهذبة العبارة، تتجلى الفصاحة في كل فقرة من فقرها، وأشهر هذه الكتب سفره الموسوم باسم ‹كمال السيرة› طبعه بيجان سنة [1902 م]، وضمنه خطبًا ومواعظ في العيشة النسكية، وقد جمعت بين المتانة والرقة والعذوبة ما يسبي العقول ويسحر الألباب، وأما رسائله في تعداد مناقب الرهبان فتعد كنز حكمة للقاصي والداني[136].

ومن الرهبان العراقيين المشهورين يومئذ إبراهيم الكبير الكسكري [المتوفى سنة 588 م]، تضلع من علم الكتاب المقدس، وقصد الحيرة ثم مصر، وتعلم هناك أنظمة الرهبان الزهاد، فرجع قافلاً إلى نصيبين وبنى ديرًا فخمًا في جبل

الأزل، ومن مصنفاته سفره في قوانين الحياة النسكية طبعه المستشرق شابو في روما سنة [1898 م]، ومن معاصريه داديشوع [المتوفى سنة 604 م]، كان مسقط رأسه بيت أرماني، ودرس في مدرسة نصيبين، ثم توجه إلى إربيل ومن هناك إلى جبل حدياب، وقد وضع قوانين لرهبانه[137].

هذا واشتهر في تلك الأثناء ماعدا هؤلاء الأدباء، جمهور غفير من العلماء والأدباء والشعراء، نالوا شهرة واسعة في نشر المعارف، ويضيق بنا نطاق هذه الفصول، إذا أحببنا ذكرهم واحدًا فواحدًا، وقبل أن نكتب عن نصارى العراق في عهد الدولة العربية، يحق علينا أن نتكلم عن اللغة الآرامية وأقلامها وآدابها ولاسيما شعرها.

3] تاريخ اللغة الآرامية

3/ 1] اللغة الآرامية

اللغة الآرامية إحدى اللغات السامية[1]، وأما اللغة السامية الأولى، فقد اضمحلت بتطور لهجات الشعوب الناطقة بها، حتى أضحت هذه اللغات كلها مغايرة لأصلها، بيد أن في هذه اللهجات مفردات ورثتها عن اللغة الأولى، واشتركت أغلب الأمم السامية في استعمالها بفروق قليلة لا تتجاوز الظواهر، فالساميون عند تفرقهم كانوا يتكلمون لغة واحدة، ثم تغيرت تلك اللغة وتفرعت منها عدة فروع، انطبع كل منها بطابع المكان والبيئة على مقتضى ناموس الإرتقاء.

إن كل طائفة من اللغات، مهما تبدلت هيئاتها وتعددت فروعها في الظاهر، فالأصل متحقق في كل واحد من تلك الفروع، مستصحب في جميعها على السواء، وما اعتور ذلك الأصل من التباين وتفرق اللهجة، إنما

عرض بسبب تفرق المنتحلين له وطول انقطاع بينهم[2]، فقد تباعدت ألفاظ اللغات السامية، وهي لأصل واحد مشترك، وتشعبت تراكيبها وتمايزت لهجاتها، وهي لا تزال أجزاء سلسلة واحدة[3].

ويؤيد ذلك ما ورد في التوراة[4] عن إبراهيم الخليل، فإنه قد نزح عن أور الكلدان واحتاز سورية وفينيقية وغيرهما من الأقطار، وخالط أهلها وهو يفهم لسانهم، وبنو إسرائيل، قضوا في تيههم أعوامًا وتوغلوا في بلاد عديدة، وامتزجوا بشعوب كثيرة، وهم يفهمون لغاتهم ولهجاتهم[5].

والآراميون بعدما تغلغلوا في أطراف البلاد، وانتشرت لغتهم انتشارًا عظيمًا، ولاسيما عندما انصرفوا إلى المتاجر، وقبضوا أزمة الوظائف في عهد الدولة الآشورية، فأصبح الناس في بلاد بابل، يتعلمونها لسهولتها وبساطتها، وطفقوا يستعملونها في شؤونهم ويختزلون بها كتاباتهم المسمارية[6]، فاضطر كل كاتب إلى إتقان الكتابتين معًا، ثم شاعت وذاعت في آسية الصغرى وسورية وفلسطين وبلاد العرب الشمالية، وبلغت أوج اتساعها من أيام سبي بابل [586 ق م] إلى ظهور الإسلام، فقد كلم بها الكلدانيون الملك بختنصر [604–561 ق م]، وخاطب بها ربشاقة رسول سنحاريب ملك آشور [705–681 ق م] وزراء الملك حزقيا، وكتب بها سكان السامرة عريضة إلى ارتحشيشت ملك الفرس[7].

وإننا لا نجرؤ أن نعين العهد الذي ظهرت فيه الكتابة الآرامية، ويؤيد المؤرخون أن الملوك الآشوريين، قلدوا الآراميين مناصب الكتابة في دواوين مملكتهم، فكانوا كتبتهم ومسجلي وقائعهم وحافظي أخبارهم، فلا ريب أن زمنًا مديدًا سبق هذا العهد، تدرجت فيه الكتابة شيئًا فشيئًا حتى بلغت أشدها، فبرزت بتلك الصورة الحية الراقية، ومن آثارها رقم عديدة وقف عليها المنقبون في أنحاء البلاد، ومن أقدمها رقيم كلمو في أيام شلمناصر الثاني [859–829 ق م]، ورقيم بنمو [740 ق م]، ورقيم ملك حماة، ورقيم هدد

يرجع تاريخهما إلى أوائل المئة الثامنة ق م، هذا عدا ما وجد من الكتابات الآرامية في شبه جزيرة سينا، وعلى أحداث الملوك الأباجرة[8] في مدينة الرها وغيرها من المدارج البردية والكتابات الآرامية[9]، ومن أقدم الآثار النصرانية الكتابية رسالة أبجر الخامس[10].

لقد كانت الآرامية لغة سكان ما بين النهرين وأقطار الشام، وتغلغلت في بلاد فارس، وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها، ثم امتدت إلى وادي النيل وآسية الصغرى وشمالي جزيرة العرب، حتى حدود الحجاز، وبقيت دهورًا طوالاً اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد، في بابل وآشور وفارس ومصر وفلسطين.

لقد بقيت اللغة الآرامية من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي، اللغة السامية الوحيدة، إن استثنينا اللغة العربية، ترجمانًا للأعراب عن آراء الساميين والتعبير عن أفكارهم في غضون أثني عشر قرنًا، وبقيت بعد استيلاء الفرس على بابل، لغة رسمية، وكان ملوكهم يصدرون مراسيمهم بها[11]، وتعلم اليهود هذه اللغة في منفاهم في أرض بابل، وكتبوا بها كتاباتهم الدينية والأدبية، وكانت إحدى اللغات الثلاث في بلاط الأكاسرة[12].

* * *

لا مرية أن لهجة اللغة الآرامية خضعت لتطورات كثيرة شأن كل لهجات العالم، ونشأ منها لغة واحدة في الأدب، بمفرداتها وقواعدها وتراكيبها وأساليبها، ونجهل زمن هذه التطورات، ولكن المحققين يؤيدون بأن اللغة الآرامية الرهاوية كانت ثابتة بكتابتها الإملائية وبإسلوبها الإنشائي، كما أيدت الآثار والكتابات الحجرية[13].

ظلت اللغة الآرامية زاهرة زاهية حتى أواخر القرن السابع الميلادي، وامتدت إلى القرن الثامن، ثم تقدمت في القرن الثاني عشر والثالث عشر[14]، بيد أنه في أوائل القرن الثامن، أخذ يتقلص ظلها لدى تمازجها باللغة العربية، ثم دب الضعف في جسمها، وغادرت على تعاقب الزمن أكثر المدن، واعتصمت بالقرى والجبال، فلابستها الألفاظ الغريبة مما نراه في اللغة العامية الدارجة المعروفة بالسورث[15].

ويتكلم بها الآن بعض الشعوب القاطنة في العراق وكردستان وسورية وبلاد العجم، وأما اللغة الآرامية الفصحى فلم تجد مأوى يحدب عليها، غير الكنائس وغرف المدارس الطائفية، ولولا أنها لغة طقسية لخمس طوائف شرقية لاضمحلت من الوجود.

واللغة الآرامية الكتابية الفصحى الشائعة اليوم على لهجتين أو لغتين: اللغة الآرامية الشرقية (الكلدانية) وهي لغة طقس الكلدان الكاثوليك والنساطرة، واللغة الآرامية الغربية (السريانية) وهي لغة طقس السريان الكاثوليك واليعاقبة والموارنة، والفصل الأعظم المميز لكل منهما اختلافهما باللفظ، فإن الكلدان والنساطرة يلفظون الزقاف[16] بالفتح ويشددون الحرف المتحرك إذا سبقه متحرك آخر، وأما غيرهم فيلفظون الزقاف بالضم المرفوع وينفون كل تشديد، وتمتاز إحداهما عن الأخرى بفرق زهيد في صورة الحروف، وأما القواعد فهي واحدة مع اختلاف طفيف لا أهمية له[17].

إن اللغة الآرامية أقرب إلى العربية والعبرانية وذلك أن فيها أسماء مؤنثة بدون علامة التأنيث، وأسماء يجوز فيها التذكير والتأنيث، وتزاد النون في أفعالها بعد واو الجمع وياء الواحدة، زيادة مطردة في المضارع، ويدل على التأنيث في ماضي الغائبة بالتاء، وتفتتح مزيدات أفعالها بالهمزة دون الهاء فيهما، ويأتي فيها المصدر ميميًا، وتبنى الصفة مما فوق الثلاثي بناء مطردًا

بزيادة ميم موضع حرف المضارعة مكسورًا ما قبل آخرها للفاعل ومفتوحًا للمفعول إلى غير ذلك.

فهي في هذه كلها أدنى إلى العربية[18]، والحروف في هذه اللغة هي عين الحروف العبرانية بأعدادها ومقاطعها، وإذا سكنت النون فيها تدغم فيما بعدها، أو تحذف وتشبع حركة ما قبلها، ولا تثنية فيها إلا في أسماء محفوظة لا تتجاوز فيما نقلوا أربعة، وليس فيها من الصيغ المختصة بالجمع إلا الجمعان السالمان، وكل لفظة بدأت في العربية بالواو فهي فيها بالياء، والسين والشين متعاقبتان بين ألفاظها وألفاظ العربية إلا في النادر، فهي في هذا كلها أقرب إلى العبرانية، وفيما بقي من أحكامها، فهي تارة تطابق اللغتين جميعًا، وتارة تخالفهما جميعًا، وكذلك حالها في الأوضاع والمعان،ي فهي على الجملة بين بين[19].

2/3] القلم الآرامي

اقتبس الآراميون الحروف الأبجدية من الفنيقيين وهم أمة شامية،[20] وكانت لغتهم آرامية محضة أو أدنى إليها من سائر اللغات السامية[21]، بيد أن العلماء لم يقفوا على القلم الأول الذي استنبطوه ولا على حروفه واحدًا واحدًا، ولا مراء أن القلم القديم تغير شيئًا فشيئًا، وتولد منه أقلام عديدة متشابهة، تختلف باختلاف أزمانها وأماكنها، والمعروف الآن من هذه الأقلام القلم السامري[22] والتدمري والنبطي[23] ومن الأخير نشأ القلم الحميري العربي، الذي منه تولد القلم الكوفي، ومن هذا نتج القلم النسخي[24].

إن أقدم الأقلام الآرامية ذكرًا، قلم أهل الجهات الشرقية من أقطار بابل، وهو قلم مقطع الحروف مربعها على الأغلب، قد تعلمه اليهود الذين جلاهم بختنصر [604-561 م] من سكان بابل وحفظوه إلى يومنا ويسمى الآن الخط

الآشوري المربع، وتعلم هذا الخط نفسه أو أصله اليونان، ومما يؤيد ذلك أن حروف اللغة اليونانية مرتبة ترتيب الحروف الآرامية أصلاً، وأن أسماءها في كلتيهما واحدة، إلا أنهم وضعوا في أواخرها ألف الإطلاق وغيروا بعضها تغيرًا يسيرًا، هذا فضلاً على أن صور الحروف اليونانية في أوائلها، تشبه كثيرًا الحروف الآرامية القديمة، التي بقي أثرها في القلم التدمري والقلم الآشوري المربع[25].

هذا وإن كان الفرس يكتبون بالقلم الآرامي، فملكهم دارا أقام أعمدة على حدود بلاد اليونان، مسطورة باليونانية والآرامية، وهكذا الأرمن كانوا يكتبون بهذا القلم، إلى القرن الخامس للميلاد ثم اخترعوا قلمهم الأرمني[26].

إن القلم الآرامي القديم قد تغير، لكثرة استعماله من قرن إلى قرن، ومن مكان إلى مكان، كما حدث لأقلام سائر الأمم، فأصبح في غضون القرن السابع قبل الميلاد في بابل؛ على الهيئة التي نراها الآن عند اليهود، ثم لم يزل هذا القلم يتغير حتى تولد منه في مطاوي المئة الأولى للميلاد القلم الإسطرنجيلي أو المربع وهو من الأقلام القديمة المشهورة اليوم لدى أدباء الآرامية، ويقرب من القلم الآشوري المربع والتدمري، وبقوا دهورًا لا يكتبون إلا به، ثم على تعاقب الزمن، تولد منه قلم آخر أسهل وألين عريكة يحق لنا أن نسميه القلم المتوسط، فخصص حينئذ النساخ القلم الإسطرنجيلي لتسطير الإنجيل، ثم لكتابة الكتاب المقدس على العموم والمصاحف الثمينة والكتابات الرسمية ومبادئ الفصول وعناويها[27]، وخصصوا القلم المتوسط لبقية المصنفات.

وفي أثناء المئة الحادية عشرة للميلاد تغير الخط المتوسط شيئًا فشيئًا، وتولد منه ثلاثة أقلام، اختص أحدها بالنساطرة وهو المعروف اليوم بالخط الكلداني، وأنه أقربها من القلم الإسطرنجيلي، واختص الثاني باليعاقبة وهو

الخط السرياني، وأما الخط الثالث فاختص بالملكيين وقد استعملوه قبل أن يتخذوا الخط العربي بدله[28].

بقي أدباء الآرامية يكتبون بالخط الآرامي بدون علامات، على الرغم من كثرة تطوراته، وكانت أول علامة اصطلحوا عليها، نقطة يرسمونها فوق الريش لتتميز عن الدلث[29]، وتؤيد المصادر التاريخية أن السريان الشرقيين والغربيين لم يستعملوا علامات للحركات قبل المئة الثامنة للميلاد[30].

3/3] آداب اللغة الآرامية

لقد أصبح من الثابت أن كل علم أو فن يبتدئ ناقصًا، ثم يترقى ويكمل على تمادي السنين جريًا على سنن التقدم، والآداب الآرامية التي تلقيناها كاملة محكمة قبل الميلاد، فلا شك أنها قد نمت وتدرجت وتكاملت رويدًا رويدًا على اختلاف العصور، وتقلب الحدثان، إلى أن تهذبت أساليبها وتشعبت مناحيها، أو ربما تلك النهضة سبقتها نهضات أدبية، اقتبست منها آدابها، وورثت ثروة جهدها، فظهرت بأسلوبها الرائع الناصع الذي يتجلى في سفر حيقار[31]، وقصائد وفا[32]، ورسالة مارا برسرابيون[33]، وأضرابهم من العلماء والمؤلفين ومازالت مثالاً لأدباء الآرامية طوال العصور إلى اليوم.

قال جماعة من علماء الغرب، أن آداب اللغة الآرامية، نشأت وتدرجت وتكاملت في القرن الثاني الميلادي، عند نصارى ما بين النهرين، ثم انتشرت في الأصقاع الشرقية انتشار الدين المسيحي، غير أن هذا القول زعم باطل ورأي فائل، لأنه حينما ظهرت النصرانية، كانت اللغة الآرامية قد بلغت كمالها بقواعدها وأساليب إنشائها ويتكلم بها الخواص والعوام، ومن المحال أن تكون هذه اللغة الكاملة في بدء التاريخ المسيحي، قد تثقفت وتهذبت واصطبغت بالصبغة الفنية الرائعة في مدة وجيزة.

ثم لو طالعنا مصنفات أشهر أدباء الآرامية القدامى والأحداث، فلا نرى فيها اختلافًا بين مفردات اللغة ولا في تراكيب جملها، بل لم يطرأ عليها تبديل منذ استقرارها، فما بقي من نثر الحكيم حيقار ونظم الشاعر وفا، يطابق كل المطابقة حالتها القديمة، فإنشاء حيقار هو إنشاء وفا ومارا برسرابيون وهو إنشاء ططيانس[34] [المتوفى سنة 180 م] وبرديصان[35] [المتوفى سنة 222 م] وأفرهاط الحكيم الفارسي[36] [المتوفى سنة 346 م] وغيرهم من أدباء الآرامية النصارى، فإن حيقار وضع سفره في بابل في القرن السابع ق م، ووفا نظم أبياته بزمن بعيد قبل الميلاد، ومار برسرابين حبر الرسالة لابنه في أواخر المئة الأولى أو أوائل المئة الثانية بعد الميلاد، وططيانس برع في الآداب الآرامية عند الوثنيين بعدما بلغ عنفوان شبابه، وبرديصان قرأ العلوم على الوثنيين كما ذكر في كتابه <شرائع البلدان>، أما أفرهاط فقد صنف مؤلفه في القرن الرابع للميلاد[37].

لا ننكر أن اللغة الآرامية تأثرت من اللغة اليونانية، كما تأثرت بعض التأثر من اللغة العبرية والفارسية والعربية[38]، بيد أن هذه التأثيرات لم تتجاوز أوضاع اللغة وضروب إنشائها، وفي القرن الخامس قضى رابولا أسقف الرها [المتوفى سنة 475 م] قضاء مبرمًا على البرديصانيين وأتباع ططيانس الذين ابتغوا أن يوحدوا الآداب الوثنية والآداب النصرانية، فشتت شملهم وأوصد أبواب مدارسهم واستأصل شأفة معاهدهم العلمية[39].

اتسعت الآداب الآرامية اتساعًا عظيمًا، في أغراضها وألفاظها ومعانيها وأساليبها، مع ترسل في فنون الكلام وضروب البلاغة، فأصبحت سمة آداب القرون الأولى للميلاد، الصدق في الأقوال، والوضوح في الآراء، والابتعاد عن التكلف، والغلو والإكثار من الحكم السديدة، والتبحر في أسرار الفلسفة الدينية، فضلاً على انسجام العبارة وسلاستها ومتانة الأساليب وسهولتها، وعلى تمادي الأيام راجت في سوقها الألفاظ الجديدة لحاجتها

إليها، ثم حلى أدباء الآرامية كلامهم بروائع الاستعارات وظرائف التشبيهات ونوادر المواعظ، وتغلبت على ذلك كله أنواع البديع وبراعة الإنشاء وجزالة الألفاظ.

لقد اهتم نصارى العراق إذ ذاك بآداب لسانهم، وسعوا وراء العلم، وجدوا وسهروا الليالي واجتهدوا، ونبغ منهم كتبة أفاضل ومنشؤن جهابذة وعلماء أعلام وفلاسفة أجلاء، فكانت مدينة حران كعبة الأدب الآرامي، ومدينة الرها مهد المعاهد الأدبية[40]، وبلاد العراق مباءة علومه ومعارفه.

هذا وتقدمت صناعة التأليف لدى أدباء الآرامية، تقدمًا عجيبًا، حتى أن عدد المصنفين الذين ظهروا منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن الثالث عشر، جاوز الأربعمئة، وأسفار هؤلاء أربت على العشرين والثلاثين والأربعين، في كل فن وعلم[41]، لا بل جاوز المؤلف الواحد عندهم العشرة والعشرين مجلدًا، فمصنفات يعقوب أسقف نصيبين[42] [المتوفى سنة 338 م]، ومار فيلكسين أسقف منبج[43] [المتوفى نحو سنة 523 م]، ومار يعقوب الرهاوي[44] [المتوفى سنة 708 م]، ومار موسى بن كيفا[45] [المتوفى سنة 903 م]، وابن العبري[46] [المتوفى سنة 1286 م]، وغيرهم فاقت الثلاثين والأربعين مجلدًا، وقصائد الملفان مار أفرام[47] [المتوفى سنة 373 م] لا تحصى، ومنظومات نرسي[48] [المتوفى سنة 502 م]، ويعقوب السروجي[49] [المتوفى سنة 521 م][50]، ما عدا كتبهما تعد بالمئات، ولباباي الكبير[51] [المتوفى سنة 627 م] أربعة وثمانون كتابًا، ولجبرائيل أسقف هرمزد أرداشير[52] (أواخر القرن السادس الميلادي) ثلاثمئة رسالة، وليوسف الأهوازي المعروف بحزايا أي الناظر [المتوفى 580 م]، ألف وتسعمئة رسالة، فقد وضع زهاء عشرين سفرًا في التاريخ، ومثلها في علم اللاهوت والفلسفة والطبيعيات، وأكثر من هذه وتلك في تفسير الكتاب المقدس[53].

لم تصل إلينا هذه المؤلفات، لأن أكثرها قد اغتالتها يد الضياع، وعبثت بها كوارث الحروب والغزوات، بل إن تعصب الفرق المسيحية في دينهم، حملهم على أن يجعلوا كل رسالة وصلت من جدودهم فريسة النيران، كما حذا حذوهم المتأخرون أيام انضوائهم إلى الكنيسة الكاثوليكية. فحبهم المفرط للكثلكة ساقهم إلى أن يتلفوا أسفارًا نفيسة عديدة لاشتمالها على تعاليم نسطور وأوطاخي.

إن أدباء الآرامية تبسطوا في العلوم المختلفة واستنفذوا أسرارها وغوامضها فخلدوا من الآثار ما يبقى على توالي الأحقاب، فقد ألفوا الكتب اللغوية، ووضعوا المصنفات التاريخية والجغرافية والفلكية، وتنافسوا في تحبير الأسفار الطبيعية والطبية والفلسفية واللاهوتية.

كان أدباء الآرامية تلاميذ اليونان، لأنهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم كما تعلمها الرومان قبلهم، ثم اقتبسها الفرس منهم، وهكذا أتقنها المسلمون بعدهم[54].

4/3] الشعر الآرامي

الشعر من أقدم الفنون الجميلة عهدًا، فقد نما وترعرع وبلغ أوج الكمال على تراخي الأيام والأعوام، أما تاريخ ظهور الشعر الآرامي فمتعذر تعينه، لأن النصارى أتلفوا كل أثر ديني غير مسيحي، والمظنون أنه كان وافرًا، فكل الأقوام القديمة تمسكوا بعباداتهم. ومن عادة كهانهم أن يرتلوا المزامير والأناشيد في معابدهم، وكانت أكثر هذه المزامير شعرية لتفعل في النفوس مفعولها، فلا نشك في أن الآراميين ومن تكلم بلسانهم، نظموا نظير هذه الأناشيد الدينية، وأنشدوا غيرها في الأعراس والمآتم، أو في الغزل والمدح والهجاء والحماسة والحكم، وقد ارتأى بعض المعاصرين أن الشعر الآرامي

ظهر في أوائل القرن الثاني للميلاد، وأن برديصان [المتوفى سنة 222 م] أول من وضع مقاطعه، غير أن العلامة الراهب أنطون التكريتي (أواسط القرن التاسع الميلادي) في كتابه ‹معرفة الفصاحة› أيد خلاف ذلك. فالشاعر وفا نبغ قبل المسيح بزمن بعيد، وحبك قصائد حكمية حماسية غزلية[55].

كان الشعر الآرامي في أول أمره، تقاطيع قسمت إلى أدوار يشتمل كل دور منها على أبيات معلومة، ولكل بيت عدد من المقاطع يلزمها الشاعر بحسب الأنغام وفنون الغناء من دون التقفية غالبًا. ثم اصطبغت هذه الأدوار بالصفات الفنية وتكيفت بالأغراض التي يتطلبها الزمن حتى برزت بتلك الصورة الحية الرائعة في عهد برديصان وتلاميذه في أوائل القرن الثاني للميلاد. فهذه النهضة الأخيرة ولا مراء، قد سبقتها نهضات عديدة، اختلفت باختلاف الأيام والأحوال السياسية والأدبية، واستمدت منها قوتها وجنت ثمار تفكيرها.

وفي القرن الثالث الميلادي استطارت شعلة الشعر الآرامي إلى أنحاء البلاد، واتسعت رقعته. فانبرى الشعراء ينظمون القصائد وهم يميزون بين الميامر (القصائد) والمداريش (المناظرات) والسوغيثات (الأغاني). فكان لكل منها أدوارها الخاصة، تختلف طولاً وعددًا في المقاطع والأوزان[56]. فمن الأبيات ذات خمسة مقاطع، ومنها ذات سبع مقاطع، ومنها ذات اثني عشر مقطعًا. وما لبثوا أن أبدعوا فيها، وكسوها من زخرف البيان أبهى حلة حتى أصبحت معدنًا للمعاني البليغة، ومنهلاً للحكم الغالية. ولما بزغت شمس القرن الرابع الميلادي، تنبهت الفطن ونشطت الهمم، فارتقت في غضونه الآداب أي ارتقاء، وشاع الشعر أي شيوع. فقد تلألأ في سمائه كواكب من الأعلام الأماثل الذين اشتهروا بالعلم، ونبغوا في الشعر، وفازوا بالسهم المعلى في التصنيف والتأليف. بيد أن كوكب ذلك القرن الزاهر، إمام الشعر الآرامي الملفان مار أفرام [المتوفى سنة 373 م] فإنه ابتكر الوزن الشعري السباعي،

وأبدع في أسلوبه أي إبداع. فتشاهده يتدفق فيه تدفقًا كأنه الودق الركام، ويحبكه حبكًا كأنه الدرر المرصوف، واصفًا أغمض العقائد المسيحية، وصف أعظم اللاهوتيين مؤيدًا أدق الحقائق الدينية بلا تكلف ولا مشقة. والحق يقال إن من يطالع شعر هذه العلامة لرأى من بنات الأفكار وسحر البيان وسلاسة التعبير، ما يشده العقول ويذهل البلغاء الفحول. فقد لقب بملفان الملافنة، وأفرام الكبير وعمود الكنيسة وكنارة الروح. وروى بعض المؤرخين أنه نظم اثني عشر ألف قصيدة أكثرها من عيون الشعر الآرامي[57].

ومن الشعراء الذين اقتفوا أثر زعيمهم مار أفرام، وتصرفوا نظيره في فنون الشعر بالاي بن آبا[58] (أواخر القرن الرابع الميلادي) صاحب الوزن الشعر الخماسي، ونرسي [المتوفى سنة 507 م]، وقد ابتدع الوزن الشعري المركب من اثني عشر مقطعًا، ومار يعقوب السروجي [المتوفى سنة 521 م] وغيرهم[59].

لقد بلغ الشعر الآرامي بعد القرن الثالث ذروة الكمال، ومن خصائصه التلاعب بالألفاظ والإغراق في الاختراع والتفنن في الاستنباط واصطباغ معظمه بالمعاني الدينية، هذا فضلاً على التصرف في فنون الفصاحة مع متانة الأسلوب، ولطف التخيل وشدة الأسر. وسنقف في الفصول الآتية، على تراجم أشهر الشعراء العراقيين الذين نبغوا في عهد الدولة العباسية، من هذبوا الشعر ورفعوا لواءه في الآفاق، واكتسبوا بقصائدهم ودواوينهم، صيتًا ذائعًا يبقى مدى الدهور.

4] نصارى العراق في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين

4/ 1] النصرانية بين القبائل العربية

انتشرت النصرانية في اليمن وحضرموت وعمان وفي غيرها من البلاد العربية، منذ القرون الأولى للميلاد[1]، وعاش من دان بها بين مواطنيهم في وئام وسلام. فكان أبناء القبائل العربية يختلفون إلى صوامع وديارات الرهبان، وإلى كنائس وبيع الكهنة ليتعلموا القراءة والكتابة. وممن ووافتنا أسماؤهم أبو نصر البراق بن روحان، وورقة بن نوفل، والمرقش الأكبر وهو ابن عمرو الشيباني، وأخوه حرملة[2] وغيرهم. فكانوا يواظبون على الدرس، ويترددون إلى المعلمين الذين في الجهات المجاورة لمساكن مضاربهم[3].

قال الفيروزأبادي: العباد قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة[4]. وقال اليعقوبي في تاريخه: وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل بن أسد، ومن بني تميم امرؤ القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة بنو تغلب، ومن اليمن طيء ومدحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم، وتزندق حجر بن عمرو الكندي[5]. وقال ابن قتيبة: كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة[6]. وتكلمت الأخبار عن انتشار النصرانية في غيرها من القبائل العربية منها بكر وإياد وكندة وضبيعة والأوس وحمير ويشكر وجذام . .[7]. وكانت هذه القبائل كلها منتشرة في الجزيرة والشام والعراق، وممتزجة أخلاقًا ومدنية بالنصارى. وقد ساندها القومية الواحدة، أعني القومية السامية، وأما القبائل المتنقلة المتنصرة، فلم تترك وشأنها، بل كان يتدبر شؤونها أسقف أو أكثر يدعون (أساقفة المضارب)، وهم يرافقونها أينما حلت أو رحلت ويقومون بالفروض الدينية تحت الخيم[8].

2/4] الهجرات العربية إلى العراق

لم تنقطع في يوم من الأيام الهجرة من جزيرة العرب إلى الأقطار العراقية منذ عصور متوغلة في القدم. غير أن أنباء هذه الهجرات حتى مطاوي المئة الأولى للميلاد، مكتومة في صدر الزمان. وقد ذكر الطبري أن تجار العرب كانوا يفدون إلى بابل في عهد بختنصر [604–561 ق م] وهم يحملون البضائع والسلع، ثم يختارون منها الحب والثمار والثياب وغيرها[9].

إن أهم الهجرات العربية إلى وادي الرافدين، حدثت بعد بثق سد مأرب[10] في أواخر القرن الأول، أو أوائل القرن الثاني للميلاد. فقد نزل مالك بن فهم بقبائله أطراف الحيرة والأنبار، وأسس بعدئذ سلالة التنوخيين في تلك الديار،

التي اتخذت الحيرة عاصمة لملكها في عهد جذيمة الأبرش [208 –268 م].

وورد عن تبع وهو أسعد أبو كرب [200–236 م]، أنه انحدر إلى العراق، ومر بالحيرة وخلف قومًا من الأزد وجذام وقضاعة فبقوا فيها. ثم انضم بعد ذلك لفيف من طيء وكلب وسكون وبلحرث بن كعب وإياد[12]، هذا فضلاً على القبائل والبطون والأفخاذ من العرب، الذين كانوا مبثوثين في بقاع وادي الرافدين، وقد خافهم الفرثيون والساسانيون، فعملوا على تمزيق سوادهم وتفريق كلمتهم، بل أبادوا منهم خلقًا جمًا وأفنوا قبائل عديدة[13].

قال ياقوت: فصار في الحيرة من جميع القبائل من مذحج وحمير وطيء وكلب وتميم، ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة إلى طف الفرات وغربيه . . فكره من تنوخ المقام بالعراق، وأن يدينوا لاردشير، فلحقوا بالشام وانضموا إلى من هناك من قضاعة . . فأهل الحيرة ثلاثة أصناف: فثلث تنوخ، وهم كانوا أصحاب المظال وبيوت الشعر، يترلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والأنبار فما فوقها، والثلث الثاني العباد، وهم الذين سكنوا الحيرة، وابتنوا فيها وهم قبائل شتى تعبدوا لملوكها وأقاموا هناك، وثلث الأحلاف وهم الذين لحقوا بالحيرة ونزلوا فيها[14].

4/ 3] الفتوحات الإسلامية العراقية

ظهر الإسلام واتحد العرب، وخضعوا لزعيم واحد لم شعثهم وجمع كلمتهم. ولما صار الأمر إلى الخلفاء، انساحت جحافلهم الجرارة في أرجاء المعمورة، فأوتوا نصرًا مبينًا وفتحًا جليلاً، غب معارك خاضوا غمراتها خوض الأبطال الشداد. ففتحوا العراق وفارس والشام ومصر إفريقية الشمالية وإرمينية والقوقاز وجزيرة قبرص في البحر الأبيض. ثم اجتاحوا السند وبخارى وخوارزم وسمرقند إلى كاشغر أدنى مدن الصين. كما بلغت جيوشهم أوربة،

من مضيق طارق فاستولت على الأندلس. لقد اتسعت رقعة ملك العرب من ضفاف الكنج الهندي إلى شواطئ اللوار الفرنسي.

وكان المسلمون إذا أرادوا أن يفتحوا بلدًا، وجب عليهم أن يدعوا أهله إلى الدخول في الإسلام، فإن أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء، وإن لم يُسلّموا، دعوهم إلى أن يسلموا بلادهم للمسلمين، ويبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية[15]. فإن قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهـــم، وكانــوا في ذمة المسلمين يحموهم ويدافعون عنهم، ولهذا يسمون (أهل الذمة). وإن لم يقبلوا الإسلام، ولا الدخول تحت حكمه ودفع الجزية، أعلنت عليهم الحرب وقوتلوا. وفي أثناء القتال يحل للمسلمين أن يقتلوا المحاربين أو من يعين على الحرب[16].

دخل العرب الفاتحون العراق، فرحب بهم النصارى ترحيبًا لا مزيد عليه، وأنزلوا جنودهم في البيع والديارات[17]. ولا عجب في ذلك إذ لم تكن للنصارى مطامع سياسية، وعرفوا أن عددًا عديدًا من الجنود المسلمين كانوا من القبائل المتنصرة. وفي الوقت نفسه علموا أن المسلمين أنفسهم يؤمنون بيوم الحشر، ويعتقدون بالثواب والعقاب ويودون النصارى ورؤساء دينهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[18].

ومما لا ريب فيه أن سكان العراق، ولاسيما الحيريين، كانوا يترعون إلى أبناء عنصرهم. واتخذ الفاتحون مدينة الحيرة قاعدة لحركاتهم، وتركوا فيها عيالات أهل الأيام، وأرسلوا إليهم دقيقًا وغنمًا وبقرًا. وجاء أن أنس بن هلال النمري قدم ممدًّا للمثنى في أناس من النمر نصارى وجلاب جلبوا خيلاً، وقدم ابن مردى الفهر التغلبي في أناس من بني تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلاً، وهو عبد الله بن كليب بن خالد، وقالوا حين رأوا نزول العرب

بالعجم نقاتل مع قومنا. وكذلك قالت فتية من بني تغلب في يوم البويب، لما جلبوا خيلاً للعرب. والذي قتل مهران غلام من التغلبيين نصراني[19].

وبقيت النصرانية بين قبائل عرب العراق زمنًا بعد الفتح، في الحيرة والكوفة والأنبار وما جاورها من الأصقاع. واشتهر في الكوفة الأسقف جرجس [المتوفى سنة 725 م] فقد أقيم لبني طيء وعقيل وتنوخ، وعرف بأسقف العرب، أو أسقف عرب الجزيرة المؤمنين، وكان كرسي أبرشيته[20] في عاقولاء، وهو من علماء عصره، ومن الأحبار المتضلعين من الفلسفة، فوضع شروحًا في بعض الأسفار المقدسة وأسرار الكنيسة، ونظم قصائد، وحبر رسائل، وترجم كتاب الأورغانون لأرسطو[21]. وذكر عن مار آبا الثاني [المتوفى سنة 752 م]، أنه رحل إلى الكوفة والحيرة ليتفقد أبناء طائفته[22].

وورد في ‹الأخبار الطوال› أن عبد الرحمن بن ملجم، خرج ذات يوم إلى السوق في الكوفة متقلدًا سيفه، فمرت به جنازة يشيعها أشراف العرب ومعها القسيسون يتلون الإنجيل، فقال: ويحكم ما هذا؟. فقالوا: هذا أبجر بن جابر العجلي مات نصرانيًا، وابنه حجار بن أبجر سيد بكر بن وائل، فاتبعها أشراف الناس لسؤدد ابنه واتبعها النصارى لدينه[23]. وفي قصائد الأخطل وأخبار قومه، مع زفر بن الحارث وقبائله القيسية، أدلة وافية تؤيد بقاء النصرانية بين عرب العراق زمنًا مديدًا بعد الإسلام في عهد بني أمية[24].

[4/4] المسلمون ورؤساء النصرانية

إن النصارى ولاسيما رؤساؤهم، عضدوا المسلمين في الفتوحات العراقية، وأرسلوا المدد إلى جيوشهم الباسلة. قال مؤلف التاريخ السعردي الجاثليق يشوعياب جذلايا، أي: الجدالي[25] [المتوفى سنة 647 م]: وكان يشوعيب الجاثليق قد أنفذ هدايا إلى النبي عليه السلام، وفي جملتها ألف أستار فضة مع

جبرائيل أسقف ميشان، وكان فاضلاً عالمًا، وكاتبه وسأله الإحسان إلى النصارى[26]. وأتى في كتاب ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق›: وبره صاحب الشريعة عليه السلام كان فيه عدة الإبل وثياب عدنية»[27]. ويقال إنه مثل بين يدي عمر بن الخطاب، وكلمه عن شؤون النصارى، فكتب له ولطائفته عهدًا وذمامًا. وسطر المؤرخ توما المرجي [المتوفى سنة 850 م] في كتابه ‹الرؤساء› أن الجاثليق الجدالي بعث رسالة إلى أحد أساقفة الفرس يقول فيها: العرب الذين وهبهم الله الملك، يحترمون الديانة المسيحية، ويودون القسوس والرهبان، ويكرمون أولياء الله، ويحسنون إلى الكنائس والأديار[28]. والمفريان ماروثا [المتوفى سنة 639 م] فتح لجيوش المسلمين قلعة تكريت، فنجا أهل المدينة من كل أذى ونائبة[29]. ومار امه الأرزني[30] [المتوفى سنة 650 م] قد حمل الميرة والأرزاق إلى جنود المسلمين يوم نزولهم إلى الموصل، وساعدهم رئيسهم عبد الله بن المعتم على الفتح. قال المؤرخ ماري بي سليمان ما نصه: وكتب له علي بن أبي طالب عليه السلام كتابًا بالوصاة عليه بالنصارى ورعاية ذمتهم، وكان يظهره لكل من يتولى من رؤساء الجيوش وأمرائهم فيمتثلونه[31].

لاقى الجثالقة والأساقفة ورعاياهم عند الخلفاء والأمراء وعمال البلاد من الثقة والحظوة والكرامة والحفاوة ما لم يلاقه غيرهم من الشعوب. فقد كتبوا لهم المناشير والرسائل بحماية ديارهم وأموالهم وصيانة حقوقهم في الأصقاع كافة. فالجاثليق يشوعياب الثالث، المعروف بالحزي [المتوفى سنة 660 م]، نال عهدًا من الخلفاء بأن لا يتعرض له أحد في كرسيه ومركزه، وأجيز له أن يحضر كل يوم جمعة، ليسأل حوائجه وما تصلح معه أمور النصارى[32]. والجاثليق مار فثيون [المتوفى سنة 741 م]، حظي بمنزلة كبرى عند خالد بن عبد الله القسري عامل العراق. وكان إذا دخل إليه بالكوفة، يجلسه على كرسي، ويخلع عليه ويسأله الدعاء، ووافقه على شيء يسير يؤديه عن الخراج

بالمدائن، وكتب له كتابًا، وتقدم إلى طارق خليفته بصيانته[33]. وهكذا نقول عن الحفاوة العالية التي كان يلاقيها الجاثليق مار آبا الثاني [المتوفى سنة 752 م] من لدن عامل الكوفة يوسف بن عمر[34]، وعن منزلة من كانوا يتعاطون الكتابة في دواوين الحكومة، إذ كانت حسابات الدولة قبل عهد عبد الملك بن مروان [65-86 هـ/ 684-705 م] تمسك بالفارسية أو اليونانية أو الآرامية[35].

ونجد بين الآثار القديمة، وفي كتب الأخبار، نسخ عهود أعطيت للنصارى توصية بهم منها: «نسخة عهد وسجل من محمد بن عبد الله عليه السلام، لأهل نجران وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض». وسجل آخر للسيد بن الحارث بن كعب، وأهل ملته ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية، في شرق الأرض وغربها قريبها وبعيدها، ومن ذلك معاهدة خالد بن الوليد التي أرسلها إلى أهل الحيرة، وهذا مطلعها: هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديًا وعمرًا ابني عدي وعمرو بن عبد المسيح، وإياس بن قبيصة وحيري بن أكال. ومنها عهد عمر بن الخطاب لنصارى المدائن، وقد سطر في أوله: هذا كتاب عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، لأهل المدائن، ونهر سير والجاثليق بها وقساتها وشمامستها، جعله عهدًا مرعيًا، وسجلاً منشورًا، وسنة ماضية فيهم وذمة محفوظة لهم . . ومما جاء فيه: ولا يغير لكم أسقف من أساقفتكم، ولا رئيس من رؤسائكم، ولا يهدم بيت من بيوت صلواتكم، ولا بيعة من بيعكم، ولا يدخل شيء من بنائكم إلى بناء المساجد ولا منازل المسلمين، ولا يعرض لعابر سبيل منكم في أقطار الأرض، ولا تكلفوا الخروج مع المسلمين إلى عدوهم لملاقاة الحرب، ولا يجبر أحد ممن كان على ملة النصارى على الإسلام كرهًا[36].

ووافى في ‹معجم ما استعجم› عن هند الصغرى بنت النعمان[37] ما يأتي: دخلت على خالد بن الوليد لما افتتح الحيرة، فقال لها: اسلمي حتى أزوجك

رجلاً شريفًا من المسلمين، قالت: أما الدين فلا رغبة لي عن ديني، ولا أبتغي به بدلاً، وأما التزوييج فلو كانت في بقية لما رغبت فيه، فكيف وأنا عجوز هامة اليوم أو غد. فقال لها: سليني حاجة، فقالت: هؤلاء النصارى الذين في أيديكم تحفظوهم، فقال: هذا فرض علينا وقد وصانا به نبينا. فقالت: ما لي حاجة غير هذه، أنا ساكنة في دير بنيته ملاصق هذه الأعظم البالي من أهلي حتى ألحق بهم[38].

5/4] الجزية

تمتع نصارى وادي الرافدين في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين بعيش طيب، لا يريدون منهم سوى ضريبة الأعناق، أو الجزية[39]. وكان عمر بن الخطاب قد قسم أهل الذمة ثلاثة أصناف: العلية والأوساط والسواد، ويتقاضى من كل نفر من علية القوم جزية قدرها [48] درهمًا، ومن الأوساط [28] درهمًا، ومن السواد [12] درهمًا في السنة[40]. وورد في كتاب ‹الحوادث الجامعة›: لا يجوز أن ينقص أحد من أهل هذه الطبقات الثلاث عن هذه المقادير، اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه جعل أهل السواد ثلاث طبقات، على ما تقدم شرحه، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم. فإنه لما بعث معاذًا إلى اليمن قاضيًا، أمره أن يأخذ من كل حالم دينارًا، وفي رواية: ومن الغني أربعة دنانير، ومن المتوسط دينارين[41].

دفع نصارى العراق الجزية أيام الخلفاء الراشدين، كما دفعوها أيام الخلفاء الأمويين، ولا غرابة في ذلك، لأن نبيهم ورسلهم يأمروهم بأن يطيعوا الملوك والولاة، وأن يدفعوا الجزية والخراج[42]، «فأكرم المسلمون النصارى أكثر من سائر الأديان»[43]، وعاملهم العمال أحسن معاملة، وقد اكتنفتهم الحماية، وظللهم التسامح[44]، وبقيت مدارسهم مفتوحة كما كانت. ولم

يكن الخلفاء والأمراء يتدخلون في شؤونهم، إلا عندما يحتدم النزاع الديني بينهم، فيلجأ بعضهم إلى الولاة يستنصرهم[45].

قال الكاتب المشهور يوحنا برفنكاني (أواخر القرن السابع الميلادي) ما مفاده: ازدهرت العدالة في أيام معاوية [41-60 هـ/ 662-680 م] وعم السلام في كل البلاد الخاضعة لحكمه، وتمتع الناس بحرية مطلقة. فإن المسلمين قاموا بحق النصارى والرهبان، فكانوا يطالبونهم بالجزية، ويطلقون لهم الحرية التامة في أمور دينهم[46]. وكتب المستشرق الفرنسي دوفال في سفره (تاريخ الرها) ما معناه: إن عمر بن الخطاب [13-23 هـ/ 634-644 م]، وعثمان بن عفان [23-35 هـ/ 644-656 م]، وعلي بن أبي طالب [35-40 هـ/ 656-661 م]، أحسنوا إلى النصارى، وقربوهم منهم، وولوا بعضهم على البلاد التي كان معظم سكانها مسيحيين، واكتفوا بطلب الجزية منهم[47]. وقال صاحب التاريخ السعردي: فطالبوا أهل الذمة بالجزية، فأدوها وأحسنوا إليها، وتقررت الأمور بفضل الله تعالى، وطابت قلوب النصارى في مملكتهم الله ونصرها[48].

6/4] العلم ورجاله

لم تكن العلوم في أوائل الدولة الأموية، رائجة نظير القرون السابقة، لكثرة الغزوات، وزهد الأدباء في التأليف، غير أن هذا الفتور لم يدم طويلاً. وما عتم علماء النصارى أن عادوا إلى التدريس والتعليم والتحبير والتصنيف، فشمروا عن ساعد الجد، ونزلوا في ميدان المعارف جنبًا إلى جنب مع إخوانهم العرب، وذلك سعيًا إلى تعظيم الوطن، وإعلاء منار النهضة العلمية والاجتماعية والفنية، فكانوا يزينون الدولة بما عندهم من الأدب والصناعة[49].

جد النصارى العراقيون في نشر العلوم على اختلاف أنواعها، وبنوا زهاء خمسين مدرسة من أرقى المدارس في تلك الآونة، ثم ألحقوا بها المكتبات

الواسعة، فكانوا نقلة الثقافة اليونانية إلى الإمبراطورية الفارسية أيام الساسانيين. وأخذت هذه البذرة اليونانية في الازدهار حتى أيام العباسيين[50]، وأما المكاتب فقد أقاموها في كل مدينة وقرية، في داخل الكنائس والديرة أو في جوارها. وجاء عن خالد بن الوليد، أنه في مسيره من عين التمر[51] وجد في بيعة قرية من قراها، اسمها النقيرة، صبيانًا يتعلمون الكتابة، وكان فيهم حمران مولى عثمان بن عفان[52].

وعرف من المنشئين العراقيين في تلك الأزمنة الراهب عنانيشوع الحديابي وقد وضع مصنفات مطرزة الفصول فريدة في فنها وأحسنها سفره المعروف ب‹فردوس الآباء› (طبعه بيجان، 1897 م)[53].

واشتهر الجاثليق يشوعياب الجدالي [المتوفى سنة 647 م]، فكان يسكن المدائن حينما فتح العرب أبوابها. فأبدى تبصرًا في الأمور، وساس رعيته بروية، على الرغم من تقلب المملكة الساسانية في أيامه. واهتم بترقية العلوم وفتح المدارس المغلقة، وخدم الآداب ووضع كتبًا عديدة منقحة العبارة، تدل على تضلعه من العلوم اللاهوتية[54].

وتبع الجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحزي [المتوفى سنة 660 م]، فدرس في نصيبين وترهب في دير بيث عابي[55]. ورافق وهو أسقف نينوى، الجاثليق الجدالي في أثناء سفره إلى هرقل ملك الروم، لعقد الصلح بينه وبين الفرس أيام الملكة بوران أخت شيرويه، وكان هرقل يومئذ في حلب، فأكرم مثواهما وقضى حاجتهما وخلع عليهما. وقد جاوزت مؤلفاته العشرين مجلدًا لخصت فيها مسائل الدين أبلغ تلخيص. ومن أعظم مآثره ترتيبه الصلوات القانونية التي لا يزال يتلوها الكلدان والنساطرة في كنائسهم[56].

وظهر الشاعر إسحق النينوي (أواخر المئة السابعة للميلاد)، وقد نقلت أكثر مصنفاته إلى اللغة العربية، وطبع بيجان ديوانه المعروف باسمه[57]. وعرف

وقتئذ يوحنا الملقب بذي دالياثا، فكان أصله من بالهدرا، وصنف كتبًا عديدة في الطريقة الرهبانية، وثماني وأربعين رسالة في مواضيع روحية[58].

وممن جدوا في نشر العلوم في البلاد العراقية الجاثليق مار فثيون [المتوفى سنة 741 م]، فكان من أهل باجرمي، وأقام مدارس في كل مكان ولاسيما في المدائن. قال ماري بن سليمان: نصب في كرسيه اسكولا[59]، فتشبه به الأساقفة في عمارة البيع والاسكولات[60].

ومنهم باباي من مدينة جبيلة[61] (أوائل المئة الثامنة للميلاد)، وقد أرصد أيام حياته كلها لبناء المدارس وتنظيمها. وتعظيمًا لمآثره دعا أدباء الآرامية عصره باسمه (عصر الأستاذ باباي جبلتايا)، فبنى في حدياب وحدها أكثر من ستين مدرسة متفاوتة الصغر والكبر، ودر عليها الأموال الطائلة وأنبط لها عيون خيرات لا تعرف النضوب. وكان في كل ستة أشهر يتعهد بعض هذه المدارس ويتفقد أحوالها ليطمئن على سيرها، وأقام في جوار بغداد[62] قبل أن تكون عاصمة المملكة العربية، مدرسة كليليشوع أو مدرسة الجاثليق[63]. قال توما المرجي: برز باباي وأقبل على العمل، وزاد في عدد المدارس، في كل مدينة وقرية، وقام لإدارتها مدرسين لأكثرهم قدم راسخة في العلوم[64].

5] نصارى العراق في عهد الخلفاء العباسيين

5/ 1] اتحاد النصارى والمسلمين

انتقلت الخلافة إلى بني العباس، فازداد حب النصارى للمسلمين الذين غالوا في ملاطفتهم ووثقوا بهم ثقة بلغت أقصاها. فمنحهم أبو العباس السفاح [132-136 هـ/ 750-754 م] ومن عقبه من الخلفاء توًا الحرية في أحكامهم البيعية، وخولوا رؤساءهم النفوذ الواسع على أبناء قومهم، ولاسيما بعدما نزل بغداد أبو جعفر المنصور [سنة 149هـ/ 766 م][1].

ارتفع شأن بغداد فأصبحت على تراخي الأيام أم المدائن وكعبة الأدب، ومحط رحال العلماء على اختلاف مذاهبهم وتباين نحلهم، كما كانت قلب الإسلام النابض، وعين العراق ومركز الثقافة، ومثابة الدعوة الإمامية

القرشية[2]. فأم العلماء دار السلام من كل صقع وقطر ليعيشوا في ظل الخلفاء، بل إن أكثرهم استوطنوا لتوافر أسباب المعاش فيها. و لم يمر ردح من الزمن، حتى راجت في أنحائها أسواق العلوم، وكثر عدد الأدباء والأطباء والفقهاء والشعراء، فكان من جراء ذلك امتزاج الثقافات وتبادل في الآراء.

توالى الخلفاء على عاصمة الرشيد، فبلغت ذروة المجد والحضارة[3]، فعم الأمن واتسعت أبواب الرزق، وأخذ القوم يتمتعون بما فاض لديهم من النعم، وهم يرتعون في بحبوحة العيش، ويتأنقون في أنواع الترف، فنال من ذلك الذميون ولاسيما النصارى ما ناله المسلمون. فالخلفاء محمد المهدي [158–169 هـ/ 757–785 م]، وموسى الهادي [196–170 هـ/ 785–786 م]، وهارون الرشيد [170–193 هـ/ 86 –809 م]، وغيرهم ساعدوا نصارى العراق، ووهبوا رؤساء دينهم سلطة واسعة. فالجاثليق الجديد بعد تنصيبه يسير بحفاوة إلى دار الخليفة، وهناك يحظى بالإذن الشريف، أو بكتاب العهد الحاوي على حقوقه[4]، ثم تلقى عليه ثياب الجاثليق الثمينة، وبعد ذلك ينحدر إلى المدائن مدينة كرسيه[5]، تصحبه ثلة من الجنود، وجماعة من المطارنة والأساقفة وعظماء الدولة، فيزور ضريح مار ماري في ديره[6]. وغب هذه المراسيم يعود قافلاً إلى كرسيه في عاصمة الرشيد[7]. أما كتاب العهد أو المنشور العالي أو البراءة الإمامية، فكان يشتمل على الحقوق والامتيازات التي تمنحها السلطة المدنية الجاثليق، وتخوله الحق في مراجعة السلطات في الشؤون المتعلقة بالطائفة المسيحية. فالجاثليق طيمثاوس الأول [780–823 م] حظي بالمثول لدى الخلفاء الخمسة الذين عاش في عهدهم، ولقي من لدنهم كل لطف. وبعد انتقال دار الخلافة إلى بغداد، سكن كنيسة دار الروم[8]، وكان الخليفة موسى الهادي [169–170 هـ/ 785–686 م] يستدعيه ويحاوره في مسائل الدين، وهو يجيبه بأجوبة قاطعة[9].

كان الجاثليق وشعبه يتلقون هذه الحقوق والامتيازات، بصدور رحبة وينزلوها منزلتها في قلوبهم، فقاموا بحق الوفاء خير قيام، فخدموا المسلمين بإخلاص، وسعوا جنبًا إلى جنب لتعزيز دعائم الوطن وإعلاء مناره، فشادوا المدارس وعلموا أبناء الوزراء، ودرسوا سادة الدولة، ثم وسعوا نطاق المعارف، وبثوا الحضارة والعمران في البلاد[10].

2/5] بعد فتنة الأمين والمأمون

توفي الخليفة هارون الرشيد [193 هـ/ 809 م]، وبويع بالخلافة ابنه الأمين[193-198 هـ/ 809-813 م]، وكان أخوه المأمون [198-218 هـ/ 813-833 م] إذ ذاك واليًا على بلاد خراسان من قبل أبيه، وكانت أمه فارسية، فحرض وزير الأمين الفضل بن الربيع، على خلع المأمون لأن أخواله عجم، فاستجاب وخطب بولاية العهد لابنه موسى. وأما المأمون فحثه الفضل بن سهل وأخوه الحسن على الإباء فعزله الأمين من ولايته. ثم أرسل إليه جيشاً كبيراً فاشتد القتال، وانهزمت عساكر الأمين ونودي بخلافة المأمون، ثم زحفت كتائبه بقيادة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين إلى بغداد، وطوقها بضعة أشهر قاسى الأمين في خلالها الشدائد، فتفرق عنه أصحابه وحوصر في قصره مع أمه وأولاده. فلما أعياه الحصار طلب الأمان، فأسر ثم قتل وحمل رأسه إلى أخيه المأمون والي خراسان[11].

إن فتنة الأمين والمأمون سببت الفوضى في البلاد، ونشرت الاضطرابات في كل ناحية، ولاسيما في دار السلام مقر الخلافة. فتهدمت الدور والمنازل وكثر القتل والسلب وساءت الأحوال[12]. فلحق بالنصارى الضيق والأذى إذ أحرقت أكثر أديرتهم، ودمرت أغلب كنائسهم، وأغلقت أعظم مدارسهم. ولكن بعدما استتب الأمر للمأمون، هدأت الخواطر واطمأنت

النفوس إليه، فأطلق لرعاياه الحرية الواسعة في الفكر والقول[13]، وأكرم العلماء والأطباء والفلاسفة، واهتم باستحضار الكتب العلمية، وأنشأ ديواناً لتعريبها، لأنه كان يتبحر في علوم الفلسفة، ويحسن إلى أربابها، ويعقد مجالس المناظرة للبحث فيها[14]. وقد منح العلماء حريتهم في إبداء الرأي، فأقبل عليه الفلاسفة والنقلة المسيحيون إقبالا، ولم يدعوا كتابًا في الحكمة إلا عربوه، ولاسيما مؤلفات اللغة اليونانية، لأنهم كانوا قد تعلموها وأتقنوها غاية الإتقان، من القرن الرابع للميلاد، وأدخلوا تدريسها في مدارسهم. فلخصوا وهذبوا وزادوا وبوبوا وأصلحوا وألفوا، وهكذا امتزجت فلسفة اليونان بفلسفة الإسلام[15].

ومن رؤساء النصارى الذين نالوا الجاه والكرامة واللطف لدى الخليفة المأمون طيمثاوس الأول [المتوفى سنة 823 م]، والجاثليق يشوع برنون [المتوفى سنة 828 م]، والجاثليق جيورجيس الثاني [المتوفى سنة 834 م]، والبطريرك ديونيسيوس الأول التلمحري [المتوفى سنة 845 م][16].

جاء في كتاب ‹مختصر تاريخ العرب›: ومنذ سقوط الجمهورية الإسلامية، وتأسيس الحكومة الأوتوقراطية كان الوزراء هم المستشارون الوحيدون للخلفاء. غير أن المأمون أنشأ مجلسًا استشاريًا للدولة، يتألف من ممثلي جميع الطوائف. وأصبح هذا الديوان يضم المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والزرادشتيين على السواء. وكانت حرية الاعتقاد والعبادة مضمونة للجميع، وأضحت مضرب الأمثال في التساهل حتى بلغ عدد الكنائس التي شيدت في عهده [11000] كنيسة، علاوة على مئات الهياكل اليهودية ومعابد النار[17].

3/5] طغيان الجيش التركي

توفي المأمون فيلسوف الخلفاء وعقبه أخوه المعتصم بالله [218–227 هـ/ 833–842 م]، فبنى مدينة سامراء، وأقام فيها قصورًا شامخة، ومباني سامقة

وقلاعًا منيعة، ونزلها [سنة221 هـ/ 836 م]. ثم جاء الخلفاء العباسيون وكل منهم يشيد له قصرًا صرحًا[18]، حتى غدت غادة مدن العراق، وأخذ يقصدها القاصي والداني من أهل النزهة والأنس، وبقيت نصف قرن عرشًا لهم، وذلك من سنة [221 هـ/ 836 م] إلى سنة [262 هـ/ 876 م]. وقد عظم يومئذ نفوذ الجيش التركي حتى أصبح خطرًا على كيان الدولة، ومثارًا للفتن والدسائس، ففرضت على الذميين الضرائب الفادحة لنفقاتهم الباهظة، وإسرافهم في الصرف. ثم ازداد سلطانهم في عهد الخليفة الواثق بالله [227–232 هـ/ 842–847 م]، وتسنم أمراؤهم المناصب العالية. وبعد موته اتفق رجال الدولة على مبايعة أخيه المتوكل على الله [232–247 هـ/ 847–861 م]، ثم عقبه ابنه المنتصر بالله [247–248 هـ/ 861–862 م].

إن النصارى في ربوع الرافدين، منذ قيام الدولة العربية، حتى أواخر عهد الخليفة المأمون، عاشوا في ظل الحماية والتسامح وحسن المعاملة. بيد أنه بعد وفاته أخذت حالهم تتقلب وتتغير بتغير الحكام والولاة والعمال. فإذا راعى هؤلاء العدل والحق، قضى المسيحيون أيامهم في راحة وسلام، وإلا عاشوا في ضنك وشقاء. ولا يبعد عن البال أن الخلافات وما كان يعقبها من الاعتداءات الموقتة، لم تكن إلا نتيجة من نتائج أخلاق بعض الحكام المحليين، وسوء إدارتهم، فكانت إرادتهم في بعض الأوقات العامل الوحيد في تدبير شؤون البلاد[19].

ازداد طغيان الجيش التركي في تلك الأثناء، واستفحل شره، فطفق جنوده يتداخلون في أمور الدولة، ويتطاولون على الخلفاء والوزراء، وينبهون الرعية، ولا ينقطعون عن المؤامرات والدسائس. فاستصفوا أموال النصارى الأغنياء، وصادروا متاعهم. فقد وثبوا على عيسى بن فرخنشاه، أحد كتاب ديوان الخليفة المعتز [252–255 هـ/ 866–869 م]، وتناولوه بالضرب وأخذوا دوابه[20]. وغضبوا على بختيشوع بن يحيى المتطبب، واستحوذوا على مقتناه،

وضربوا إبراهيم بن الجنيد حتى أقر بسبعين ألف دينار فأخذوها منه، وصادروا أموال أبي علي بن زرعة الوافرة، وأوقعوه في محن حتى أصيب بالفالج[21]. ثم بدأ العمال المحليون يشاركونهم في ظلم الناس، فانتشرت الاضطرابات الداخلية في البلاد حتى لقي النصارى في غضونها الأمرَّين، ولاسيما في عهد الجاثليق يوحنا بن نازوك [المتوفى سنة 1022 م]، فقد أغلقت المدارس ونهبت الديارات وسلبت الكنائس[22].

وفي سنة [423 هـــ/ 1031 م]، شبت نار فتنة في بغداد، فعاث السفلة في أزقتها فسادًا، وسلبوا في أثنائها دار الروم والقلاية. وفي أيام الجاثليق يوحنا الخامس بن ترجل [المتوفى سنة 1057 م] وردت عساكر خراسان، ونهبت الجانب الشرقي من بغداد بأسره، وعلى الأخص دار الروم، فاضطر إذذاك الجاثليق إلى أن ينحدر إلى دار الخليفة، ثم إلى دير قنى ومكث فيه مدة من الزمن، ثم عاد إلى دار السلام[23]. وهكذا كانت تتوالى على النصارى وغيرهم المحن والكوارث، تارة من سلطان الإقليم وأخرى من العمال المحليين، ولاسيما في أخريات الدولة العباسية، أيام كثرت الانقلابات الداخلية وفشت الفتن بين الأهلين، وقوي شأن اللصوص والعيارين[24].

ومما جاء عن سوء معاملة الذميين عند تأدية الضرائب: في غرة المحرم [627 هـــ/ 1229 م] جلس محي الدين أبو عبد الله بن فضلان في ديوان الجوالي[25] واستوفى الجزية من أهل الذمة، فكان أحدهم يقف بين يديه إلى أن توزن جزيته، ويكتب له رور وهو صاغر، فلقوا من ذلك شدة. وكان أبو علي ابن المسيحي رئيس الطب له اختصاص، ودخول إلى دار الخليفة، فأظهر المرض واعتذر وسأل أن تؤخذ جزيته من يد ولده، فلم تقبل منه، فحضر وأداها[26]. وفي أوائل القرن الثالث عشر للميلاد طولب المفريان أغناطيوس الثالث [المتوفى سنة 1222 م] بعشرين ألف دينار، فألقي مع وجوه شعبه التكريتيين في السجن ليكونوا رهائن، أو يسلموا الغرامة فأدوها أقساطًا[27].

5/4] التسامح التام

كانت الدولة الإسلامية في العصر العباسي أكثر الأمم تسامحًا مع النصارى، على الرغم ما كان يصيبهم بعض الأحيان من الاعتداء. وقد أصاب نظير هذا الاعتداء المسلمين نفوسهم كما أصاب غيرهم[28]. وكان أول مظهر لهذا الاعتداء في أيام الخليفة المتوكل على الله [232–247 هـ/ 847–861 م] أيام استولى الجيش التركي على أمور الدولة. ثم ازداد نفوذه حتى أصبحت البلاد محكومة بالخفاء اسمًا وبسلطته فعلاً. فاختلفت المناصب الحكومية، وفسد النظام جباية الخراج وسائر الضرائب، وانقسم الجيش إلى فرق مختلفة كل فرقة تتعصب لجنسها، هذا فضلاً على تدخل الحكام المحليين وانتشار الرشوة وإنفاق الأموال على صنوف الترف.

استشرى فساد الجيش التركي في البلاد، بيد أن نصارى العراق ورؤساءهم كانوا يحترمون الخلفاء ويتخذونهم قضاة في سياسة شؤونهم، ولاسيما في أثناء انتخاب الجثالقة. فإذا حدث نزاع أو خصام بينهم التجئوا إليهم[29]، فساعدوهم وأخذوا بيدهم. فالخليفة المعتضد بالله بن الموفق [279–289 هـ/ 892–902 م] بعد ما قطع دابر المشاغبات القائمة إذ ذاك بينهم، خرج أمره بتنصيب الجاثليق يوحنا بن عيسى، المعروف بالأعرج، [المتوفى سنة 905 م][30] وأنعم عليه بثوب ديباج وعكاز. واقتدى به غيره من الخلفاء[31]. وكان بعض الخلفاء العباسيين، لمعرفتهم بما استقر في نفوس بعض العمال من حب الظلم والعسف والضراوة على إرهاق أهل الذمة، يشددون في اختيار أهل العفة والنزاهة منهم، ويوصونهم بالقسط في جباية الجزية، وألا يأخذوها من النساء والولدان والعجزة والمرضى والفقراء والرهبان، كما جاء في العهد الذي كتبه أبو إسحق الصابئ من الخليفة الطائع لله [363– 381 هـ/ 974– 911 م] إلى فخر الدولة بن بويه في جمادى الأولى سنة [366 هـ/ 976 م]؛ قال: وأمره بأن يتخير عماله على الأعشار والخراج والضياع

والجهبذة والصدقات والجوالي من أهل الظلف والنزاهة، وأن يوزعوا إلى جباة جماجم أهل الذمة، أن يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة، بحسب منازلهم في الأحوال، وذات أيديهم في الأموال، وعلى الطبقات المطبقة فيها، والحدود المحدودة المعهودة لها، وأن لا يأخذوها من النساء، ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال، ولا من ذي سن عالية، ولا ذي علة بادية ولا فقير معدم، ولا مترهب متبتل[32].

وفي أوائل القرن الثالث الهجري كان ما يجبى من الجزية من أهل بغداد مئة وثلاثين ألف درهم، وفي أوائل القرن الرابع، ستة عشر ألف دينار. والعددان يدلان على من كان يدفع إذ ذاك الجزية من غير المسلمين فكانوا زهاء خمسة عشر ألفًا، وعدد النصارى في بغداد وحدها زهاء خمسين ألفًا[33].

راعى المسلمون حقوق النصارى العراقيين فاستخدموها في دواوينهم، وولوهم على مدهم وقراهم وخزائنهم المالية، هذا عدا من أدنوا منهم من الصيادلة والأطباء والمهندسين[34]. وفي الوقت نفسه أكرم النصارى المسلمين وخضعوا لرؤسائهم، وقاموا بأعباء وظائفهم، فعالج أطباؤهم الخلفاء والأمراء أحسن معالجة، وشاد مهندسوهم مبانيهم وقصورهم، يزينونها بنقوش جميلة بديعة. فالمنقبون الألمان في سامراء وجدوا بين أنقاضها صورًا وتماثيل أشخاص ملونة، ورسومًا هندسية متنوعة، وصلبانًا عديدة، موقعة باسم شماس نسطوري بارع بفن التصوير[35]. قال المستشرق الفرنسي لابور ما تعريبه: إن جمًا غفيرًا من المسيحيين، تسنموا أعلى المناصب والمراتب إبان الدولة العباسية، وقرأ عليهم ساداتها ووزراؤها فلسفة اليونان، وعلم الفلك والطبيعيات والطب، وعربوا مصنفات أرسطو وبقراط وجالينوس وغيرهم من الفلاسفة اليونانيين[36].

لقد عاش المسلمون ونصارى بلادنا، في وئام وإخاء تامين، لا يكدر صفاءهما تباين ولا تفاوت في المناصب والمراتب. ففي القرن الثالث الهجري

ولي في بعض الأحيان ديوان الجيش نصراني[37]، وكان لعضد الدولة البويهي في بغداد، وزير نصراني اسمه نصر بن هرون، وقد أذن له في عمارة البيع والديرة وإطلاق الأموال لفقراء النصارى[38]. بل إن عادات مسيحية تسربت إلى المسلمين في العصر العباسي، واشترك بعضهم في أعياد النصارى. فيوم الشعانين أو (يوم السباسب)[39] عرف في ذلك العصر وما بعده، وأنشد فيه الشعراء قصائد كثيرة[40].

عدل الخلفاء العباسيون بين نصارى العراق، وعفوهم عن المال الذي يتركه النصراني من غير وارث ورده إلى أهل ملته[41]، وأكرموا جثالقتهم، ولقبوهم بأجمل الألقاب، ومنحوهم البراءات[42]، وقلدوا أطباءهم أعلى المناصب، ووهبوهم الحرية في أعمالهم وأشغالهم ومكاسبهم، وكان أغلبهم أطباء قصور الخلفاء في بغداد[43]. واتخذ بعض الخلفاء جواري من المسيحيات مراعين شعائرهن الدينية، وقد تكون الجارية نصرانية تلبس الصليب والزنار وترتدي رداءها القومي، وتتكلم بلغتها، ولا تحسن العربية. وكان للمهدي جارية نصرانية تعلق في صدرها صليبًا من ذهب[44].

وكان لنصارى العراق النفوذ في دواوين الحكومة، والجاه الواسع بين الأعيان، والمتوجهين والأموال الطائلة، والأرباح الكثيرة بين أصحاب الحرف، والملاكين والتجار[45]. قال الجاحظ: إن النصارى اتخذوا البراذين الشهرية، والخيل العتاق واتخذوا الجوقات، وضربوا بالصوالجة، وتحدقوا المديني ولبسوا الملحم والمطبقة، واتخذوا الشاكرية، وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي[46].

قال المستشرق الإنكليزي استرنج ما خلاصته: يبدو للباحث أن النصارى في حكم الخلفاء، كانوا يتمتعون بتسامح تام، ويملكون ديرة عديدة، فيها كنائس حسنة البناء. فكان في محلة الروم دير كبير شيد في عهد الخليفة محمد المهدي [158–196 هـ/ 775–785 م] وفي الكرخ على الجانب الغربي من

دجلة العذارى، ودير درتا ودير القباب، وفي شمالي المدينة دير شموني باسم مؤسسته المدفونة فيه، وفي غربها ديران، أحدهما دير مديان، الواقع على ضفة نهر كرخايا، وكان يعرف بدير سرجيوس، وثانيهما دير الثعالب، وفي شرقيها ما عدا دير الروم، خمسة أديرة، منها ديران خارج باب الشماسية، وهما دير مالس ودير سمالو، نسبة إلى إحدى مدن الحدود الأرمنية، التي افتتحها هارون الرشيد في حملة سنة [163هـ–780 م]. وفي شمال هذا الموضع دير سابور، وعلى مسافة أربعة فراسخ عن بغداد دير مار جرجس، وتحت المحلات الجنوبية التي تحت قصور الخلفاء، الدير القديم أو دير الزندورد. ويبدو أن معظم هذه المباني قد تهدم نحو سنة [623هـ/ 1226 م]، كما أن رهبان هذه الديارات قضوا نحبهم، أو تفرقوا أو تشتتوا. غير أن أغلب البساتين بقي يانعًا، يقصده أهالي بغداد في أيام الأعياد. وبعد الحصار المغولي لم يبق أثر لأي دير فقد زال عن آخره[47].

5/5] ازدهار المدارس

وفي تلك الآونة تقدمت العلوم لدى النصارى العراقيين، وازدهرت مدارسهم ازدهارًا لا مثيل له. فكانت في دير مار فثيون مدرسة واسعة، وقد تقلد زمام رئاستها ردحًا من الزمن الأديبان الطائرا الصيت، علي وأخوه عيسى إبنا داود، قال المؤرخ ماري بن سليمان: ولما بنى المنصور مدينته (في الكرخ) ونزلها الناس، هدم سبريشوع جاثليق النصارى [المتوفى سنة 839 م] تلك الأبنية (أبنية دير مار فثيون)، لأجل من تغلب عليها، ولم يتعرض للهيكل والمذبح، وجدد بناء بيت الأشهاد والأروقة، ونصب اسكولا (مدرسة)، وجمع المتعلمين. وكان علي وعيسى ابنا داود يقومان بأمرهم، وأقام الجاثليق فيه، ورسم أن يدفع من دخله إلى رهبان عمر صرصر وهو المعروف بعمر (دير) صليبا، وهم النقلة من هذا الدير أربعة دنانير في كل شهر[48]. وقال ابن

رسته: و لم يكن ببغداد إلا دير على موضع مصب الصراة إلى دجلة الذي يقال له: قرن الصراة، وهو الدير الذي يسمى: الدير العتيق، قائم بحاله إلى هذا الوقت، نزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية[49].

وكانت للنصارى في الكرخ مدرسة أخرى نشأ فيها أبو محفوظ معروف بن الفيرزان المعروف بالكرخي[50]. وذكر ابن القفطي أن الطبيب المنطقي البغدادي، المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان، قرأ الطب على علماء زمانه من نصارى الكرخ[51]. وذكر ابن العبري أن الطبيب البغدادي يحيى بن عيسى بن جزلة درس الطب لدى نصارى الكرخ الذين كانوا في أيامه[52].

وكانت في محلة دار الروم[53]، ودرب القراطيس[54] وبيعة الكرخ المعروفة ببيعة سرجونا[55] ودرب دينار وسوق الثلاثاء[56]، وغيرها مكاتب واسعة الأرجاء، تضم بين جدرانها مئات من الطلاب. غير أن أكبر مدارس هذه الأنحاء، مدرسة مار ماري، المبنية بعيدًا عن بغداد في دير قنى، وقد نبغ فيها أعظم مشاهير علماء النصارى[57].

هذه بعض المدارس المسيحية، وتلك نهضة بغداد الأدبية في أيام الخلفاء العباسيين. أما في بقية المدن، ففي الموصل استفاضت شهرة مدرسة دير مار جبرائيل المعروف بالدير الأعلى، الواقع على نهر دجلة، في جوار الطابية العليا (باشطابية)[58]، ومدرسة دير ميخائيل الواقع في شمالي الموصل، على مسافة ساعة وثلاثين دقيقة، وقد بلغ عدد رهبانه أكثر من ألف راهب، ودُرس في صفوفه الفلسفة واللاهوت وسائر العلوم، ومدرسة النبي يونس (يونان) في نينوى، ومدرسة مار إيليا الحيري في غربي الموصل[59]. قال المؤرخ توما المرجي: كان في مدينة الحدباء ونواحيها، في أوائل القرن التاسع الميلادي، ستون مدرسة[60]. وقال المستشرق الفرنسي لابور: ما من أمة على وجه المسكونة جارت الأمة المسيحية في بناء المدارس والمعاهد العلمية، فإنها ما

فتئت زهاء أحد عشر قرنًا تنشر ألوية التمدن والتربية بين سكان آسيا القديمة والشرق الأقصى[61].

6/5] تقدم العلوم الطبية

ومن مزايا هذا العصر انتشار صناعة الطب في البلاد. فقد ظهر أطباء نصارى ماهرون، ساسوا المستشفيات، وعلموا فيها أصول المعالجة، وشخصوا الأمراض، ودققوا الأدوية، وعربوا الكتب الطبية العديدة على اختلاف أنواعها. فلم يبق ضرب من علوم الطب إلا نقلوه إلى العربية. وانكبوا على شرحها وتبويبها وتنظيمها، فخرجت من بين أيديهم كاملة مرصعة بدرر ملاحظاتهم، ومطرزة بفرائد اختباراتهم. وقد حثهم الخلفاء على هذه الأعمال الجليلة وجعلوهم أقرب الخاصة بهم، ونالوا من لدنهم الكرامة والحظوة والثقة أكثر من سائر العلماء والأدباء. بل كانوا يعودونهم في منازلهم في أثناء مرضهم، ويجلسون إلى موائد طعامهم ويحضرون أحيانًا الصلاة عليهم بالشمع والبخور في جنازتهم[62]. ولما قدم بختيشوع الأكبر على المنصور من السوس، ودخل عليه في قصره بباب الذهب ببغداد قال: شراب، فقيل له: إن الشراب لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين، فقال: لا آكل طعامًا ليس معه شراب، فأخبر المنصور بذلك، فقال: دعوه[63]. «ولما مات (سلمويه) امتنع المعتصم عن الأكل في ذلك اليوم، (لأنه كان طبيبه)، وأمر بإحضار جنازته إلى الدار، وأن يصلى عليها بالشمع والبخور على رأي النصارى، ففعل ذلك وهو يراهم[64].

ومن أطباء نصارى العراق، الذين فازو بالمنزلة العالية في تلك الأيام، يوحنا (يحيى) بن ماسويه [المتوفى سنة 875 م]، الذي ولد في خوز إحدى قرى نينوى، وكان محبًا للعلم مولعًا بالطب، ثم تضلع من فنون المعالجة،

وبرع في أصول الآداب على يد يشوع برنون، الملفان في اسكول المدائن[65]. فعلت منزلته وعظم شأنه، وقلده الخليفة الرشيد إدارة أكبر مدرسة في عاصمته، كما ولاّه تعريب الكتب الطبية القديمة. وكان معظمًا جليل القدر، يعقد مجلسًا للنظر في العلوم، فيحضره جمع كثير ويجادل فيه ويناضل بأحسن عبارة وأدق معنى، وخدم من الملوك العباسيين، ما عدا الرشيد، المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وأغدقوا عليه الهبات الواسعة، والأموال الطائلة اعترافًا بأمانته وخبرته وفضله. وهو أول من كتب في أمراض العين[66]، وعرب عددًا كبيرًا من المؤلفات الطبية، ووضع عدة مصنفات جليلة أشهرها كتاب ‹في أسباب السويداء وكيفية علاجها›، وكتاب ‹في الحمى› وهو خلاصة مذاهب الطب لدى أطباء الإسلام والنصارى، وكتاب ‹الجذام›، و‹كتاب الجراحة›[67].

ومنهم الطبيب سابور بن سهل [المتوفى سنة 868 م]، الذي كان من خوز، وقد تخرج في المعارف، وتبحر في علوم الطب والمعالجة، فأقيم رئيسًا على أطباء جنديسابور[68]، وأنفس مصنفاته ‹الأقراباذين› وكان المعمول عليه في البيمارستانات[69] ودكاكين الصيادلة[70].

غير أن الدرر اللامعة في قلادة العصر العباسي، آل بختيشوع، فقد نبع منهم أفاضل كانوا من أمهر أطباء زمانهم، وخدموا الخلفاء العباسيين زهاء قرنين، فغمروهم بالعطايا السنية والهدايا الجزيلة وقربوهم منهم وجالسوهم ونادموهم وحادثوهم محادثة الأخدان[71]. فزعيم أطباء هذه الأسرة جورجيس بن بختيشوع [المتوفى سنة 770 م] لما اعتل أبو جعفر المنصور أحضر إليه، وكان إذ ذاك رئيس أطباء جنديسابور «فانتفع به الخليفة وأسنى جوائزه، وأقام ببغداد سنتين»[72]. وتلاه ابنه بختيشوع بن جورجيس [المتوفى سنة 898 م] طبيب الخليفة هارون الرشيد، فشفي على يده، وأكرمه وخلع عليه خلعًا وافرة وقال له: تكون رئيس الأطباء ولك يسمعون ويطيعون[73]. وجاء في

«الفهرست»: «أنه كان مشهورًا ومقدمًا عند الملوك». وخدم جبرائيل بن بختيشوع [المتوفى سنة 828 م] الأمين والمأمون، وكانت رواتبه سبعمئة ألف وأربعة ملايين درهم سنويًا. وأحصي ما ربحه من الخليفة الرشيد فكان ثمانيمئة ألف وثمانية وثمانين مليونًا من الدراهم، هذا عدا ما ربحه من عقاراته الكثيرة الواسعة. وقد أمره الرشيد أن يقيم مستشفى نظير مارستان الكلية الطبية في جنديسابور[74]، وعالج بختيشوع بن جبرائيل [المتوفى سنة 870 م] المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، فجالسهم ونادمهم ونال منهم العطايا السنية، وصنف كتبًا في الطب، وعلق تعليقات وافية على مؤلفات الأطباء[75]. وعالج عبد الله بن بختيشوع المقتدر أحسن معالجة، وطبب جبرائيل بن عبد الله عدة ملوك ووزراء الدولة، وألف في الطب مصنفات جليلة[76]. هؤلاء وغيرهم من أئمة الطب من آل بختيشوع كانوا على التدريس والترجمة في مدارس بغداد، والتطبيب في دار الشفاء[77]، فقد علموا وشرحوا وصنفوا وعربوا، كتبًا جمة في صناعة المعالجة، وفي أساليبها المتنوعة، بهمة لا تعرف الونى[78].

هذا واشتهر عدا أولئك الأطباء غيرهم كثيرون، كتب أغلبهم باللغة العربية[79]، وسنقف على مآثرهم في الفصل الآتي. فبنوا دورًا للمرضى، وعززوا صناعة الطب، وغالوا في تدريس أصولها، ثم تفننوا في الاستنباط والاختراع، وتنافسوا في التصنيف والتأليف. فإنهم قد أوضحوا مع الأطباء المسلمين، تشخيص بعض الحميات النفاطية، كالجدري والحصبة والحمى القرمزية، وزادوا في الصيدلة على ما تلقوه عن كتب اليونان، فهم أول من استقطر المياه والزيوت، وأول من استخدم مركبات الزئبق في الأمراض الجلدية، ولاسيما البرص، وأول من عالج بالعناب والإهليلج، وأول من أشار باستعمال المن والسنا والتمر الهندي والروند والكافور وغير ذلك[80]، هذا فضلاً على أن أسفارهم لا تزال منهلاً عذبًا، يستقي منه الأطباء الفوائد الجمة، عصرًا بعد عصر إلى يومنا هذا.

جاء في ترجمة سنان بن ثابت بن قرة الحراني [المتوفى سنة 943 م] أن عدد الأطباء الذين امتحنهم[81]، في الجانبين من بغداد، بلغ ثمانيمئة ونيفًا وستين رجلاً، سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة، وسوى من كان في خدمة السلطان[82]. وذكر بعضهم أن عدد علماء الطب ومدرسيه وطلبته في مدرسة بغداد، ورجال ندوتها العلمية بلغ ستة آلاف نفس[83].

5/7] النقلة

وسع الخليفة هارون الرشيد ديوان التعريب، الذي كان قد أنشأه جده، لنقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وزاد عدد موظفيها[84]. فأقام يوحنا بن ماسويه أمينًا على تعريب الكتب الطبية القديمة، لما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم، ورتب له كُتابًا حذاقًا يكتبون بين يديه[85]. وحذا حذوه المأمون، فطلب منه أن يعرِّب كل مؤلف يقع بيده، أو يرسل إليه مهما كان نوعه. وبذل للنقلة أضعاف ما يستحقونه، ومتى يزيدوه نقلاً يزدهم جزاء وعطاء. وأشهر الكتب عربوها عن فلسفة اليونان: مؤلفات فيثاغورس في الحساب والموسيقى وغيرهما من العلوم الرياضية، ومصنفات أفلاطون في النفس والسياسة المدنية، وكُتب أرسطو في المنطق والحكمة والعلم الطبيعي والحيوان والنبات، وأسفار أبقراط وجالينوس في الطب، ودسقوريدس في الأدوية، وإقليدس في الهندسة، وبطليموس في الهيئة وغير ذلك[86].

وممن فاز بالشهرة الواسعة في عالم النقل والتعريب حنين بن إسحق العبادي [المتوفى سنة 876 م]، ولد في الحيرة وكان أبوه صيدلانيًا. فلما نشأ أحب العلم، فدخل دار السلام، ولزم الطبيب البارع يوحنا بن ماسويه[87] وقرأ عليه، ثم دخل بلاد الروم، وأقام فيها مدة سنتين حتى أتقن اللغة اليونانية وتثقف في علم الطب، فعاد إلى بغداد. ثم سافر إلى أرض فارس فالبصرة، ودرس اللغة العربية على الخليل بن أحمد الفراهيدي [المتوفى سنة 170 هـ/

786 م] وتضلع منها. ثم رجع إلى الزوراء وأخذ يعرب الكتب اليونانية على اختلاف أنواعها، فتارة يعلق عليها وأخرى يهذبها، وحينًا يبوبها، حتى أمسى خبيرًا بأصول المعالجة والترجمة. ولما تربع المأمون على عرش الخلافة، حشد في دار الحكمة أمهر النقلة، فكان أمامهم حنينًا، ثم غمره بالصلات الوافرة والعطايا الكثيرة. وصنف أكثر من خمسة وعشرين كتابًا، عدا ما عربه من اللغة اليونانية. فقد نقل إلى العربية كتاب إقليدس، وكتاب ‹المجسطي› لبطليموس، وكتاب أبولينوس في المخروطات، وأوضح مؤلفات أفلاطون وسقراط وجالينوس، ولخصها أحسن تلخيص، وكشف ما استغلق منها، فكان شيخ المترجمين، ورئيس الفلاسفة والأطباء، وخير من قدم إلى قراء العربية، نتائج القرائح اليونانية[88].

ومنهم ابنه إسحق [المتوفى سنة 911 م]، وهو من مشاهير أطباء زمانه، في منزلة أبيه الفضل وصحة النقل من اليونانية والآرامية، ويزيد عليه في الفصاحة[89]. فأقبل على الترجمة وتولاها وأتقنها فكانت نفسه أميل إلى الفلسفة، وأحسن معالجة الخلفاء والرؤساء من خدمهم والده. وانقطع في آخر أيامه، إلى الوزير القاسم بن عبيد الله واختص به. وقد نقل إلى العربية كتاب ‹ماوراء الطبيعة›، وكتاب ‹النفس والكون والفساد›، وتعليقات إسكندر الأفروذيسي[90] على مؤلفات أرسطو، ووضع كتاب الأدوية المفردة على الحروف، وكتاب ‹كناش الخف›، وكتاب ‹تاريخ الأطباء›[91]. ومنهم ابن أخته حبيش بن الأعسم، فكان من النقلة الماهرين من اللغة اليونانية والآرامية إلى العربية، وأكثر ما نقله نسب إلى حنين[92].

5/ 8] حالة الديارات والكنائس

وازدهرت في الإسلام أديرة نصارى العراق، ببنائها الشامخ وحدائقها الغناء، وزروعها النضرة، وتصاويرها البديعة، هذا فضلاً على ازدهارها

بالعبادة والتقوى والعلم والحكمة. وقد وصف المؤرخون لباس الرهبان بالسواد الحالك، وكان تحت هذه السلب والمدارع السود، المسوح في الغالب من الشعر الأسود، ويشدون فوقها الزنار[93].

ومن الديارات العراقية المعروفة إذ ذاك بعلوها وارتفاعها وكثرة قلاليها، الدير الأعلى في الموصل، على جبل مطل دجلة «وله درجة منقورة في الجبل تفضي إلى دجلة نحو المئة مرقاة وعليها يستقى الماء من دجلة»[94]، ودير متى الواقع في شرقي الموصل، «وأكثر بيوته منقورة في الصخر، وفيه نحو مئة راهب، لا يأكلون الطعام إلا جميعًا في بيت الشتاء، أو بيت الصيف، وهما منقوران في صخرة، كل بيت منها يسع جميع الرهبان»[95]. وامتاز دير الكلب في جوار معلثايا من نواحي الموصل، ببناء قلاليه بعضها فوق بعض في صعود الجبل. واشتهر عمر يونان في الأنبار، ودير مربحنا إلى جانب تكريت، ودير سعيد في جانب الموصل بكثرة صوامعها[96].

وكان لكل راهب قلاية خاصة يجاورها بستان فيه من أصناف الأشجار والثمار والبقول والرياحين، وهو يجد في زراعتها ويرتزق من بيع غلتها. وكان الرهبان يتبايعون هذه القلالي بينهم، من ألف دينار إلى مئتي دينار إلى خمسين دينارًا[97]. ولا ريب أن الأثمان كانت تختلف باختلاف المواقع، وإتقان البناء، واتساع البساتين، وكثرة الغلات أهمها النخل والزيتون والكرم. وكانت هذه الغلة وقتئذ تباع من مئتي دينار إلى خمسين دينارًا. وعرف دير الكلب في جوار معلثايا بنواحي الموصل بوفرة الزيتون والرمان والآس والكرم والزعفران والنرجس، واختص دير الزندورد في الجانب الشرقي من بغداد، بالفواكه والأعناب والأترج والعناب، ودير أبا يوسف فوق الموصل، بالزيتون والسرو والرياحين والنرجس[98].

وكانت الأديرة تحصن بالأسوار العالية، والأبواب الحديدية، خوفًا من اللصوص، كدير الأسكون في الحيرة، وعمر ماريونان بالأنبار، وربما ارتفعت

جدرانها مئة ذراع: كدير باعربا بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة[99]. وكانت للنساء ديارات شامخة البناء واسعة الأرجاء، تحفها البساتين والرياض، يقضين فيها أيامهن بالعبادة والصلاة والأعمال الصالحة. ومن ديارات الحيرة للنساء الرواهب والجواري المتبتلات: دير العذارى، ودير مارت مريم، ودير هند الكبرى، ودير هند الصغرى، ومنها دير العلث على شاطئ دجلة، في جوار الحظيرة، ودير حنة في ظاهر الكوفة، ودير العذارى في قطيعة الناصرة في بغداد[100].

هذا وكانت الديارات تأوي اللاجئ إليها والمجتاز بها[101]، بل أقام رهبانها دور الضيافة لمبيت الزوار، وعابري السبيل، وهم يبنونها أحيانًا فوق القلالي والكنيسة، ويكرمون مثواهم، ويقومون بحق قراهم خير قيام[102]. ومن الأديار التي اشتهرت ببيوت الضيافة: دير الأسكون، ودير باريشا في أرض الموصل، ودير باعربا ودير مر يحنا، ودير الزندورد[103]. ونزل هذه الديارات الخلفاء والملوك والأمراء ووجوه الدولة، وقد بالغ الرهبان في إكرامهم وتعزيزهم، وقدموا لهم الهدايا والطرائف والتحف. فنزل عمر مر توما (ماريونان) في الأنبار، كل من اجتاز به من الخلفاء وأعيان الدولة، ونزل الدير الأعلى من مر بالموصل من الولاة، وقد نزله الخليفة المأمون، ونزل دير مر مار (مار ماري) الخليفة المعتز[104].

وكان الحكام يقصدون الديارات للاستشفاء منها: دير الجب في شرقي الموصل «يقصده الناس لأجل الصرع فيبرأ منه بذلك كثير»، والدير الأعلى «وتحته عين كبيرة تصب إلى دجلة، ولها وقت من السنة يقصدها الناس فيستحمون فيها، ويذكرون أنها تبرئ من الجرب والحكة وتنفع المقعدين والزمنى»، ودير يونس في الجانب الشرقي من الموصل «وتحته عين تعرف بعين يونس يقصدها الناس للاغتسال منها والاستشفاء»[105].

وفي هذه الديارات وغيرها، كنائس عظيمة ومكاتب واسعة الأرجاء، تضم بين جدرانها المصاحف النفيسة، وطرائف الآنية، والزينة ما لا يُثمّن. ففي الدير الأعلى «من الأناجيل والمتعبدات ما لم يكن مثله للنصارى»[106]، وفي دير هند الصغرى علق النعمان بن المنذر ملك الحيرة في هيكله خمسمئة قنديل من ذهب وفضة، وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبان وما شاكلهما من الأدهان، ويوقد فيه من العود والعنبر شيء يجل عن الوصف[107]. وفي دير آبا يوسف «عجائب من بدائع التصوير»، وفي صدر دير مار ماعوث على شاطئ الفرات «صورة حسنة عجيبة»[108]، هذا فضلاً على القباب التي كانت تعلو بعض الديارات، تستوقف أنظار المارين بها لجمالها وحسن هندستها منها: قبة السنيق في الحيرة، وقبة غصين في جوار دير الحريق في الحيرة، وقباب دير آبا يوسف[109].

وكان لنصارى العراق كنائس عديدة، مبثوثة في سائر مدنه وقراه، ومن أشهرها في دار السلام: بيعة مار سبر يشوع الجاثليق[110]، وبيعة سمالو وقد جدد بناءها الجاثليق عبد يشوع [المتوفى سنة 986 م][111]، وبيعة درتا[112]، وبيعة الكرخ التي على اسم مار سرجيس وباكوس، المعروفة ببيعة سرجونا[113]، وبيعة درب دينار، وبيعة درب القراطيس، وبيعة سوق الثلاثاء[114]، التي دفن فيها الجاثليق يشوعياب [المتوفى سنة 1175 م]، والجاثليق إيليا الثالث [المتوفى سنة 1190 م][115]، وبيعة الدور[116]، وبيعة السيدة في دار الروم؛ قال الحموي: «دير الروم وهو بيعة كبيرة حسنة البناء، محكمة الصنعة للنسطورية خاصة، وهي ببغداد في الجانب الشرقي منها، وللجاثليق قلاية إلى جانبها، وبينه وبينها باب يخرج منه إليها في أوقات صلواتهم وقرباتهم. وتجاور هذه البيعة ببيعة اليعقوبية، مفردة لهم حسنة المنظر، عجيبة البناء، مقصودة لما فيها من عجائب الصور وحسن العمل»[117]. وقد شُيد معظم هذه الكنائس من أموال النصارى وذوي الخير؛ قال الجاثليق عمانوئيل [المتوفى سنة 961 م]:

«فبنيت بيعة دار الروم على اختيار أهلها، ودير مار فثيون على اختياري، والمتنجز للتوقيع بتجديد عمارتها المسيحي رحمه الله، ومادة النفقة من أبي علي بن غسان كاتب ركن الدولة، واستكمل البناء في سنة ثلث وأربعين وثلثمئة»[118].

5/9] أشهر العلماء والشعراء

ومن العلماء الذين عرفوا في تلك الآونة، يوشع بن نون [المتوفى في سنة 827 م]، كان من قرية جباري الواقعة على نهر دجلة بين الموصل ونينوى، وقد ألف عدة أسفار أهمها [130] قانونًا، و[47] سؤالاً وأجوبتها في حل غوامض الكتب المقدسة[119]، والمؤرخ توما المرجي: ولد في حربا، إحدى قرى الموصل. وبعد تضلعه من كل فن من فنون الأدب، اتخذه الجاثليق إبراهيم كاتمًا لأسراره، ثم سقف على المرج سنة [837 م]، فكان أشد الناس تفانيًا لخير الإنسانية، وأقواهم سعيًا إلى إعلاء منار العلم، فكتب وألف وشاد مدارس. ومن أثمن مصنفاته تاريخه ‹كتاب الرؤساء›، أي: رؤساء الأديار، وضعه عام [840 م]، وهو سفر جليل يبحث عن تاريخ الرهبانية، والطريقة النسكية لدى النساطرة في أنحاء دجلة الشرقية في غضون زهاء ثلاثة قرون[120].

وفي أواسط القرن التاسع الميلادي، اشتهر من نصارى العراق أنطون التكريتي، وبعد أن أتقن اللغة الآرامية واليونانية إتقان بصير بمذهب الكلام، أقبل على دراسة الشعر فأضحى من صاغته الأكابر، فإذا رام نظمه قامت الألفاظ في خدمته. وضع كتابًا فلسفيًا بحث فيه عن الموت وحدود الأجل والفقر والغنى، وديوان شعر حبك فيه ثماني قصائد دينية محكمة الأداء، صحيحة السبك، تعد من عبقرياته وأنفس مصنفاته سفره المعروف ب‹معرفة الفصاحة›، لم يتقدمه فيه سواه، ولم ينازعه فيه منازع، تكلم فيه عن البيان

وفصاحة الإنشاء وفقه اللغة وقرض الشعر وضروبه وفنونه، بأسلوب منقطع النظير في إيجازه وإسهابه. وقد نشره البطريرك أغناطيوس أفرام الثاني السرياني [المتوفى سنة 1929 م]، وعلق عليه الحواشي المفيدة، ومن محتوياته بعض أبيات لهوميروس اليوناني، وهي منقولة إلى الشعر الآرامي[121].

ونبغ في ذلك الزمن أبو بشر متى بن يونس [المتوفى سنة 939 م]، وكان من أهل دير قنى، ونشأ في مدرسة مار ماري الشهيرة، وقد درس فيها زهاء أربعين عامًا، وقرأ عليه الناس علم المنطق، وكان يجتمع في حلقته كل يوم، المئون بين المشتغلين بهذا العلم، ومن جملتهم الفيلسوف الأكبر الفارابي. وأما مؤلفاته فكثيرة، ومعظمها في شرح كتاب أرسطو. وكتب سبعين سفرًا؛ جاء في الفهرست: «أبو بشر متى بن يونس، من أهل دير قنى ممن نشأ في اسكول مار ماري، قرأ على قويري، وعلى روفيل وبنيامين وعلى أبي أحمد بن كرنيب، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين»[122].

وقد جرت بينه وبين أبي سعيد السيرافي، مناظرة كبرى في المفاضلة بين النحو والمنطق، وقد حكاها أبو حيان التوحيدي[123].

وظهر في تلك الآونة الشاعر عمانوئيل بن شهاري [المتوفى 980 م]؛ كان من أعظم شعراء القرن العاشر، وأشهر أساتذة دير مار ميخائيل، الواقع في جوار مدينة الموصل، وقضى ريق أوقاته في التدريس والتصنيف وقرض الشعر، ووضع ديوانًا شهيرًا أسماه ‹الإكساميرون› أي: الأيام الستة، جمع بين صفحاته ثماني عشرة قصيدة، صافية الأذيال مختلفة الأوزان والمقاطع، وقد نشر قسمًا منها القرداحي في كتابه ‹الكنز الثمين› [سنة 1875 م]، وهي دقيقة النظم، محكمة السبك، مصقولة العبارة، تتمثل البلاغة في أبياتها[124].

وفي أوساط القرن العاشر للميلاد، نبغ يوحنا بن خلدون، وتثقف في دير بيت صباري من نواحي العمارة، فكان من حداثة سنه حاد الذهن، شديد

الشكيمة، وعد في زمانه من أقطاب العلم، ومن المجلين في حلبة الشعر، له عدة آثار علمية شعرية، منها كتاب ‹حسن المحاسن›، و‹كتاب التجارة الرهبانية›، وديوان شعر، وبعض رسائل في الحياة النسكية ورجالها، بلغ بها مقامًا رفيعًا، وشهرة لا يستهان بها، وقد أحسن وأبدع في كتابتها[125].

هذا ولا أريد أن أتكلم عن يشوعدناح البصري (أواخر القرن الثامن الميلادي)، ومار قرياقوس التكريتي [المتوفى 817 م]، وعبد يشوع بن شهاري [المتوفى سنة 917 م]، والقس سبريشوع بن بولس الموصلي [المتوفى سنة 1002 م]، ولا عن الأطباء الماهرين أمثال الشيخ أبي نصر يحيى بن جرير، وأخيه أبي سعيد التكريتيين، وابن بطلان، وكتيفات البغداديين[126]. فقد بثوا العلم، ورفعوا منار المعارف، ونشروا المصنفات الجليلة رصعوها بجواهر البديع، وطرزوها بفرائد الكلم، فجاءت آيات معجزات خالدات على توالي الأحقاب.

وعرف من علماء النصارى العراقيين في أواخر الدولة العباسية، مار يعقوب البرطلي مطران دير مار متى [المتوفى سنة 1241 م]، فبعدما تضلع من اللغة، درس المنطق والفلسفة واللاهوت، ونبه في كل من أنواعها، كما نبغ في الشعر فكان من فحوله. ألّف كتابًا، ونظم قصائد جمعت بين جزالة الألفاظ وعذوبتها، ودقة المعاني ورقتها، أشهرها كتاب ‹الرتب الكنسية›، وقد بحث فيه عن أسرار البيعة بأسلوب واضح لا نظير له، وكتاب ‹الموسيقى› يتكلم في صفحاته عن الألحان البيعية، وفنونها وأساليبها وناظميها، وزمن دخولها المعابد، وكتاب ‹الديالوغ› أدرج بين سطوره فنون اللغة والبيان والقريض والموسيقى والرياضيات، وهو يقع في مجلدين يضرب به المثل في براعة الإنشاء، وكتاب ‹الكنوز›، وهو من أنفس كتبه في علم اللاهوت، فأطلق فيه العنان لفكره الحاد، ونظره الثاقب، فخاض عباب الفلسفة الدينية ما يؤيد تقدمه في التحبير والتعبير[127].

واشتهر في منتصف المئة الثالثة عشر للميلاد، كوركيس وردا الإربيلي، كان وافر الذكاء، خفيف الروح، طيب المعشر، طروبًا للشعر ولوعًا به، فعد من أئمة شعراء عصره. نظم ديوان شعر ضخم ينطق بغزارة المادة وسعة الروية، جمع بين دفتيه قصائد رباعية عامرة، أودعها بعض الحوادث التاريخية، واصفًا حصار مدينة إربيل سنة [1235 م]، وما أتى الجنود التتارية من الأعمال البربرية. ومن هذا الديوان نسخ خطية عديدة، محفوظة في مكاتب الشرق والغرب، ونسخ، ما عدا ديوانه، قصائد كثيرة معظمها في مدح العذراء مريم، وشهرتها تغني عن الإسهاب في وصفها، وهي عذبة العبارة حسنة الديباجة، جامعة بين السلاسة والمتانة، ما جعلته أن يلقب بشاعر العذراء[128].

وعاش في النصف الثاني من المئة الثالثة عشرة للميلاد خاميس القرداحي الإربيلي، فكان حجة أدباء زمانه، وعلمًا باللغة، وإمامًا بالشعر، وديوانه يشهد على دربة في أحكام النظم. وقد زان قصائده بالرثاء والهجاء والغزل الخمري والصوفي، فأتى بالعجب العجاب في كل فن من هذه الفنون، يخيل إليك كأنه السيل يتدفق فيها تدفقًا. ومن هذا الديوان نسخ عديدة في المكاتب الشرقية والدينية[129].

هؤلاء وأولئك أشهر علماء وشعراء وأطباء النصارى العراقيين، في أيام الدولة العربية، وتلك خدماتهم الجليلة في سبيل الخير الإنسانية. فقد بثوا المعارف على اختلاف أنواعها في آفاق المسكونة، بمساعدة إخوانهم المسلمين، ولاسيما عندما كانت سيطرة الخلفاء العباسيين ممتدة على الديار الشرقية، ولكن غب انقراض هذه السلالة الطيبة (محامية الآداب والفنون والصناعات) تداعت دعائم العلوم، وونت عزائم القوم، فأخذت البلاد تخطو خطوات فسيحات إلى الجهل، حتى بلغت أقصى درجات التقهقر والانحطاط.

إن حب نصارى العراق الصميم لإخوانهم المسلمين، لم يقف عند هذا الحد، بل ساقهم التضلع من لغتهم السامية، فأتقنوا فنونها اللسانية، ووقفوا

على شواردها، ثم صاغوا من معانيها قلائد حسانًا، تزري بالدر النضيد والعقد الفريد، وكانوا في الوقت نفسه أطباء ونقلة، لا يشق لهم غبار، وهذا ما نراه في الفصل الآتي.

6] اللغة العربية لدى نصارى العراق

6/ 1] قبل الإسلام

خدم النصارى اللغة العربية، وتعهدوا في كل زمان ومكان آدابها وعلومها. ففي الجاهلية نبغ منهم أدباء وشعراء نبهاء، فخُطب قس بن ساعدة الأيادي [المتوفى سنة 600 م] آية في البلاغة وفي أساليب البيان[1]. وشعراء القبائل العربية المسيحيون رفعوا رايات النهضة الشعرية في البادية، ونشروا لواءها في المدن. وأما ملوك الحيرة والشام فكانوا يعززون الشعر، ويدنون منهم أصحابه، ويغدقون عليهم النعم الكثيرة، ويجرون الأرزاق الوافرة. ومن شعراء النصارى الذين عرفوا في العراق، في تلك الآونة، عدي بن زيد العبادي [المتوفى سنة 582 م] وولداه زيد وعمرو، وعبد المسيح بن بقيلة أحد أعيان الحيرة، الذي اشتهر في الجاهلية وصدر الإسلام. وغيرهم أنشدوا الشعر، ورفعوا قبابه، واصفين مادحين هاجين مفاخرين منافرين[2].

كان لعرب الحيرة وأمرائهم وتاريخهم، أثر كبير في الشعر العربي، والحياة العقلية، فأحاديث جذيمة الأبرش، وأساطير الزباء، والتغني بعظمة الخورنق والسدير، وأقاصيص سنمار، والأمثال التي ضربت به، وغيرها شغلت جزءًا كبيرًا من الآداب العربية.

2/6] في عهد الدولة الأموية

ولما دالت الدولة للأمويين، وقبضوا مقاليد الأمور، دانت لهم البلاد، فاندفعت هممهم إلى توطيد الدولة بتثبيت الأحزاب السياسية الموالية لهم، والحط من منزلة خصومهم، فألانوا الجانب للشعراء وبسطوا لهم الأكف، فأقبلوا عليهم ينظمون القصيد في مدحهم، وينشدون الأشعار في مآثرهم، مؤيدين حقهم في الخلافة، فكان شأنهم شأن الصحف الحزبية في عصرنا، فكثر شعر المدح والتفاخر وانتشر شعر الهجاء المقذع.

ومن أشهر شعراء النصرانية الذين عاشوا في ظل الأمويين، الأخطل الملقب بذي الصليب، لأنه كان يعلق صليبًا على صدره. فقد شبهه الأئمة الأقدمون بالنابغة لصحة شعره، وأقر له الأدباء المسلمون بالزعامة. فمعاوية الثاني بن يزيد [64–64 هـ/ 683–683 م] قربه منه وشمله بنعمه وعطاياه، وعبد الملك بن مروان [65–86 هـ/ 684–705 م] ولع بشعره، فرفع شأنه ولقبه بشاعر بني أمية، وشاعر أمير المؤمنين وأشعر العرب. فجزاء لهذه وتلك، هجا هجاءً أليمًا القيسية أنصار الزبيريين، وهجا معهم أحلافهم بني كليب، وفي الوقت نفسه أثنى على الأمويين، ثناء لا نظير له[3]. قال حماد الراوية حينما سئل عن الأخطل، ما تسألوني عن رجل حبب إلي شعره النصرانية[4].

واشتهر في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، في أيام الأمويين، الشاعر النصراني القطامي، وكان معاصرًا للشاعر الأخطل، وهو ابن أخته،

وعاش زمانًا بعده، ولم يبلغ عهد العباسيين، ولم يتصل بالخلفاء، وإنما بلغ شعره الخليفة عبد الملك بن مروان، فأطرى على جودة قريحته. وقد وصفه القدماء بالشاعر الفحل، واستحسنوا نظمه. ومن أحسن قصائده لاميته التي ذكرها أبو زيد القرشي في ‹جمهرة شعراء العرب› بين المشوبات[5]، وجاء في معجم الشعراء: وكان (القطامي) شاعرًا فحلاً رقيق حواشي الكلام، كثير الأمثال في شعره[6].

3/6] في عهد الدولة العباسية

انطوى بساط بني أمية، وانتقلت الخلافة إلى بني العباس، فهدأت الخواطر واطمأنت النفوس وخمدت جلبة المنازعات، فاحتكوا بالأمم الخاضعة لهم، واقتبسوا منهم ما فاتهم من العلوم، وتبسطوا في المعارف، وتهافتوا على الصنائع والفنون. لقد لابس نصارى العراق إخوانهم العرب، واختلطوا بهم وطفقوا يتسابقون في درس لغتهم، والتفرغ لإتقانها والتضلع منها، فكان من هذا السباق ظهور جماعة من الكتاب الأعلام، تنافسوا في صناعة الإنشاء العربي، وتفننوا في أساليبه البديعة، فحبروا الرسائل ووضعوا الكتب، وقصدوا القصائد، وأتوا بالمعاني المبتكرة والاستعارات الرائعة، والكنايات اللطيفة والتشبيهات الطريفة، ما أقر بفضلها الخاص والعام.

ولم يكتفوا بهذا كله، بل أقبلوا على ترجمة الكتب اليونانية، وكانوا قد نقلوا علومها إلى لسانهم، وحفظوها ودرسوها في مدارسهم. أما ديارات رهبانهم، فكانت حافلة بخزائن الكتب النفيسة المنقولة عن عدة لغات، فهب النَقَلَة يعربون هذه الأسفار، ولم يدعوا سفرًا معروفًا في تلك الأزمنة، إلا عربوه وبثوا نسخه في البلاد، فانصرف الناس إلى العلوم، ونفقت أسواقها أي نفاق، فبنيت المدارس وشيدت النوادي الأدبية، وازدحمت المعاهد العلمية

بالطلاب والمدرسين، وعلماء الآرامية يشدون أزر قومهم، ويحثونهم على هذه النهضة، مؤسسين المكاتب لأبنائهم، ناقلين علوم اليونان إلى لغتهم دائبين على تدريس تلاميذهم. فنبغ منهم في أنواع الأدب والفنون عدة أدباء، أحيوا معالم المعارف، وأوضحوا آثارها، فذاع صيتهم في الآفاق، وحدث بفضلهم المشرق والمغرب، إذ فاضت العلوم العقلية على اختلاف أنواعها، وعربت المعارف اليونانية بجميع فروعها.

نشطت الهمم وانتشرت العلوم والفنون والآداب والصنائع على تباين مقاصدها، فغادر حينئذ أدباء الآرامية مدارس الديرة، وبارحوا مكاتب الكنائس، وأقبلوا يدرسون اللغة العربية، وتضلعوا منها. ونبه منهم عدد عديد عربوا الكتب، وساسوا معاهد التهذيب والمستشفيات، وحفلت خزائن الكتب بمصنفاتهم النفيسة. فمن النقلة المعروفين يوحنا بن ماسويه [المتوفى سنة 857 م]، وحنين بن إسحق [المتوفى سنة 874 م]، وابنه إسحق [المتوفى 911 م]، وأبناء بختيشوع الذين استمرت أعقابهم في بني العباس إلى القرن الحادي عشر، وكانوا على التدريس والترجمة في مدارس بغداد، والتطبيب في دار الشفاء[7].

وكان الإنجيل قد نقل من الآرامية إلى العربية، منذ القرن السابع الميلادي، وقد جد في تعريبه يوحنا بن السدرات [المتوفى سنة 648 م] على أيدي العرب المسيحيين، من بني عقيل وتنوخ وطيء نحو سنة [643 م][8]. ومن أقدم نصارى العراق الذين كتبوا بلغة الضاد حبيب أبو رائطة التكريتي [القرن السابع للميلاد] والجاثليق طيمثاوس [المتوفى سنة 823 م][9].

وعرف إذ ذاك من شعراء وأدباء النصرانية العراقيين أبو قابوس، كان من أهل الحيرة منقطعًا إلى البرامكة، وتقرب بهم من الخليفة هارون الرشيد [المتوفى سنة 193 هـ/ 809 م][10].

واشتهر في القرن التاسع الميلادي، عيسى بن فرخنشاه، كان من أهل بغداد، ومن كتاب ديوان الخلفاء، وقد اتّخذه الخليفة المستعين بالله [248–252 هـ/ 862–866 م]، نائبًا لوزيره الحسن بن مخلد، ثم ولاه ديوان الخراج، بعد عزل الفضل بن مروان سنة [249 هـ/ 863 م]، وأثبته عليه خلفه المعتز بالله [252–255 هـ/ 866–869 م]، فكان مقامه كمقام الوزير[11].

وممن تضلع من اللغة العربية، من مسيحيي وادي الرافدين، في أيام المطيع الله الخليفة العباسي [334–463 هـ/ 946–974 م] يحيى بن عدي التكريتي [المتوفى سنة 975 م]؛ قال ابن أبي أصيبعة: «إليه انتهت الرئاسة، ومعرفة العلوم الحكيمة، وفي زمانه قرأ على أبي بشر متي، وعلى أبي نصر الفارابي، وعلى جماعة آخر، وكان أوحد دهره»[12]. ومما قاله عنه ابن القفطي وابن العبري[13]: وكان يكتب في اليوم والليلة مئة ورقة وأكثر. ووصفه أبو حيان التوحيدي[14]: «كان شيخًا لين العريكة . . مبارك المجلس، ينبهر في الإلهيات ويضل فيها»، ونقل من الآرامية إلى العربية زهاء عشرة أسفار، ووضع أكثر من خمسين رسالة، وله تفاسير ونقول عدة[15].

ومنهم أبو علي بن زرعة [المتوفى سنة 1008 م]، ولد في بغداد، وكان من المنطقيين، والنقلة البارزين، وقد اشتهر بنقل الأسفار الحكيمة والعلمية، ولاسيما من اليونانية والآرامية إلى العربية. ووضع رسائل فلسفية، وألف بالآرامية خمسة كتب في المنطق والطب، وعرب ستة أخرى من الآرامية، وفضله أبو حيان على يحيى بن عدي بقوله: إنه كان حسن الترجمة صحيح النقل، كثير الرجوع إلى الكتب، محمود النقل إلى العربية، جيد الوفاء بكل ما حل من الفلسفة . . ولولا توزع فكره في التجارة، ومحبته في الربح، وحرصه على الجمع، وشدته على المنع، لكانت قريحته تستجيب له[16].

ومنهم أبو الفرج عبد الله بن الطيب [المتوفى سنة 1043 م]. ولد في بغداد من بيت عريق في النبل، ومنذ صباه أقبل بجد، ويطالع وانقطع إلى التدين

والزهد حتى صار قسيسًا، وانتخبه الجاثليق إيليا الأول [المتوفى سنة 1049 م]، كاتمًا لسره فقام بأعباء وظيفته خير قيام. وكان طبيبًا ماهرًا وفيلسوفًا خبيرًا، عالج بجد وإخلاص المرضى في البيمارستان العضدي[17]، وعلم فيه مدة سنين عديدة، علوم الطب، وأقامه الخليفة القائم بأمر الله [422–467 هـ/ 1031–1075 م] رئيسًا على الأطباء. أما شرحه وتعليقاته على الكتب القديمة، في المنطق وأسفار أرسطو ومؤلفات جالينوس، فتشهد له بالتقدم والشهرة. وقد فسر الإنجيل تفسيرًا شافيًا كافيًا، وحبر رسالة أنيقة في المحبة، تنم عن نفس شريفة متفانية لخير الإنسانية؛ قال ابن العبري[18]: فأما أنا وكل مصنف، فلا يقول إلا أن أبا الفرج بن الطيب قد أحيا من هذه العلوم ما دثر، وأبان منها ما خفي. وتتلمذ له جماعة سادوا وأفادوا منهم المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان[19].

وممن عرف في مطاوي القرن الثاني عشر للميلاد، معتمد الملك أبو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ [المتوفى سنة 1118 م]. كان في زمانه طبيب الدولة العباسية، ويستشار برأيه، وله الفضل الوافر والأدب الغزير والمعرفة الكاملة، وقد نال المنزلة العالية عند الخلفاء والأمراء، ويعد من الشعراء المجيدين؛ قال ابن أبي أصيبعة: كان في العلوم الحكيمة، متقنًا للصناعة الطبية، متحليًا بالأدب، بالغًا فيه أعلى الرتب[20].

ومنهم أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن إبراهيم بن التلميذ [المتوفى سنة 1165 م]، وهو ابن بنت معتمد الملك، أبي الفرج يحيى المار ذكره فنسب إليه، عاش في أيام المقتفي لأمر الله [530–555 هـ/ 1136–1160 م]، واتخذه طبيبه الخاص، ونبغ في علم الطب، فأضحى أوحد أهل زمانه. وقد أقامه الخليفة رئيس أطباء بغداد، ومدير المستشفى العضدي، قالوا: ولم يكن مثله بعد سقراط وجالينوس. واشتهر برجاحة العقل، وعلو الهمة، ووفرة الأدب. وكان زائدًا في المال، وفي أجور المرضى، يداوي في داره المعوزين

منهم، ويعاملهم بلطف ورفق، وله عدة مؤلفات، ورسائل طبية، تدل على غزارة فضله وتبحره الواسع في العربية وآدابها. فشعره صحيح السبك، ونثره أنيق الديباجة، حسن التحبير، وقد أودعه الأساليب الرائعة والألفاظ العذبة، ما يؤيد وقوفه على مذاهب الكلام. ومما قاله عنه ابن العبري: أما ابن التلميذ الطبيب النصراني البغدادي، ففاضل زمانه وعالم أوانه، خدم الخلفاء من بني العباس وتقدم في خدمتهم، وارتفعت مكانته لديهم، وكان موفقًا في المباشرة والمعالجة، عالماً بقوانين هذه الصناعة، عمر طويلاً وعاش نبيلاً جليلاً. وقال ابن القفطي: وكان هبة الله هذا في العلم والعمل من الطب، بسقراط عصره وجالينوس زمانه، ختم به هذا العلم، ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب[21].

ومن أشهر هؤلاء المؤلفين، يحيى بن سعيد بن ماري الطبيب المعروف بالمسيحي [المتوفى سنة 1193 م]، كان أصله من الطيب، من موضع يقال له الدوير. وقد تنقل أبوه عنها إلى البصرة، فانكب من صغره على الدرس، وانقطع إلى الاشتغال بالطب، والتبحر في اللغة العربية وشعرها، ثم تضلع من علم الأوائل، حتى أصبح نسيج وحده في الأدب. ومقاماته الستون لدليل مقنع على غزارة مادته، وعلو طبقته، إذ حلاها بضروب الكنايات، ووشاها بأشكال البديع، فجاءت ألفاظها رقيقة، ومعانيها بليغة، واشتهرت بالمقامات المسيحية تمييزًا لها عن مقامات الحريري؛ قال ابن القفطي: وكان فاضلاً في علم الأوائل، وعلم العربية، والشعر يرتزق بالطب والإنشاء، وصنف المقامات الستين وأحسن فيها[22].

هؤلاء أشهر المسيحيين العراقيين، الذين انقطعوا إلى خدمة اللغة العربية، وبثوا آدابها أيام الدولة العباسية، وضربنا صحفًا عن ذكر غيرهم، أمثال أبي نصر ثابت بن هارون (القرن العاشر الميلادي)، وأبي نصر بشر بن هارون [المتوفى سنة995 م]، وابن بطلان المتطبب [المتوفى سنة 1025 م]، وابن بابي

(القرن الحادي عشر)، وأبي الفتح بن صاعد (القرن الثاني عشر)، ومحفوظ النيلي[23] [المتوفى سنة1165 م]، وسعيد النيلي (القرن الثاني عشر)[24]، وأبي على بن أبي الخير (القرن الثالث عشر)[25].

* * * *

إن شغف أدباء الآرامية بلغة الضاد، أثر في أساليب لغتهم اللسانية، وطفقوا يقتبسون أشكالاً من البيان العربي. فمن يتصفح رسائل الجاثليق يشوعياب الثاني [المتوفى سنة 647 م]، ورسائل طيمثاوس الأول [المتوفى سنة 823 م]، يلاحظ في الأول بلاغة وفصاحة اللغة الآرامية البحتة، وأما في الثانية فيجد تأثير التعابير العربية، وهي أشبه شيء بإنشاء المقامات. كما تكلف أبو حليم الملقب بابن الحديثي [المتوفى سنة 1190 م]، في خطبه المسجعة[26] وعبد يشوع الصوباوي [المتوفى سنة 1318 م]، في كتابه ‹فردوس عدن›، وخاميس القرداحي الإربيلي (النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي)، في ديوانه الشعري، وغيرهم الأسلوب العربي، فادخلوا في لغتهم فنون المنثور والمنظوم، وأنواع البديع اللفظي.

هذا وامتدت شعلة العلوم في تلك الآونة حتى بلغت أقصى الأقطار، فازدهرت الحضارة العربية في كل مكان، وزهت فنونها في كل صقع، وتهافتت الشعوب التي احتكت بالعرب، على اختلاف نحلها، على درس لغة البلاد، فأتقنوها وتعمقوا في صناعتها، وتبحروا في معانيها، ثم استنفذوا أسرارها ونظموا من ألفاظها عقود لآلئ تزري بالعقيان. ولا بدع فان ارتباط الساحل الفينيقي بدمشق الأموية مهد طريق الفتح، للغة عدنان، فاندفع أدباء الآرامية في سورية يدرسونها ويتعلمونها، فنالوا في هذا المضمار، قصب السبق، وظهر منهم جماعة خدموا اللغة والمعارف. فقسطا بن لوقا البعلبكي

[المتوفى سنة 923 م]، استدعي إلى الزوراء لتعريب المؤلفات اليونانية، وكان بارعًا في الآرامية والعربية، فصيح العبارة في نقوله، ورشيق الإنشاء وواضح المنهج في أسلوبه. وجاء عنه في ‹تاريخ مختصر الدول›: «لو قلت حقًا قلت إنه أفضل من صنف كتابًا، بما احتوى عليه من العلوم والفضائل، وما رزق من الاختصار للألفاظ وجمع المعاني[28]. وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي نقل بعض كتب أرسطو، وكان حسن العبارة فيما يعرب[29]، والفيلسوف سرجيس بن إلياس الراسعيني[30] نقل عدة أسفار إلى لغة الضاد.

لقد أقبل النصارى، على تعدد طوائفهم، يدرسون اللغة العربية، ويتعمقون في آدابها، فأحاطوا بها ووفوا حقها، فذلك كان دأبهم منذ القدم ولا يزال إلى يومنا. وسنتكلم في الفصول الآتية عمن نبغ فيها من نصارى بلادنا، وعن النهضة العلمية ولاسيما بعد منتصف القرن التاسع عشر، حينما امتزجت الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية، وهذا الامتزاج كان حافزًا للشرقيين على طلب العلم، وبناء المدارس الراقية، وانتشار الطباعة والصحافة، وإنشاء المكاتب الحافلة بالكتب والمخطوطات.

7] نصارى العراق في عهد المغول والتتار

7/ 1] هولاكو في بغداد

في [شوال سنة 655 هـ/ تشرين الأول سنة 1257 م]، رحل هولاكو خان المغولي[1]، عن حدود همذان نحو مدينة بغداد، وفي منتصف شهر المحرم من سنة [656 هـ/ 27 كانون الثاني 1258 م] نزل بنفسه على بابها، وفي اليوم الثاني والعشرين منه، بدأ القتال بعدما نصب الجند المنجنيقات، ورتبوا العرادات وآلات النفط.

وجد المغول بإزاء برج العجمي[2]، وبوقا تيمور من الجانب الغربي حيث المبقلة، وسنجاق نوين وبايجونوين من جانب البيمارستان العضدي. وفي اليوم السادس والعشرين من محرم [سنة 656 هـ/ 5شباط 1258 م]، اشتد الحصار على بغداد من جميع الجوانب، وفي اليوم الرابع من صفر [656 هـ/

11شباط 1258 م]، استأذن الخليفة العباسي المستعصم بالله هولاكو بأن يحضر بين يديه، فأذن له وقد خرج معه أولاده وأهله، فتقدم هولاكو بأن يترلوه باب كلواذى[3] ودخل بغداد بنفسه ليشاهد دار الخليفة، ثم أمر بإحضار الخليفة فأحضروه، ومثل بين يديه وقدم جواهر نفيسة، ولآلئ ودررًا معبأة في أطباق، ففرق هولاكو جميعها على الأمراء. وفي الرابع عشر من صفر [21 شباط] رحل هولاكو من بغداد، وفي أول مرحلة قتل الخليفة المستعصم، وابنه الأوسط مع ستة نفر من الخصيان، وقتل ابنه الكبير ومن معه من الخواص على باب كلواذى. وبموت الخليفة المستعصم وأولاده دالت دولة بني العباس، وانطوى بساط ملكهم من بغداد بعد أن حكموا [524 سنة هجرية]، وقام منهم سبعة وثلاثون خليفة[4].

وبعد أن دام القتل والذبح سبْعة أيام، لم يبق من أهل بغداد إلا القليل، فمن استطاع أن ينجو نجا ومن بقي قتل شر قتلة، حتى أمحق أغلب البغداديين[5]. قال المؤرخ الإنكليزي ستيفن لونكريك: «وسرعان ما عصفت بها [أي: ببغداد] ريح الخراب، فدهمها في سنة [656 هـ/ 1258 م] هولاكو حفيد جنكيز خان، فثل عرشها وأطفأ نار الخلافة فيها حتى الأبد، واستباح غنائمها التي لا تحصى وكنوزها العظيمة، وذبح شعراءها وتجارها، وفرق طلاها وعلماءها وفقهاءها، فاستحالت في يوم واحد من مركز السلطة الإسلامية، الذي لا ند له إلى مركز حقير من مراكز الإمبراطورية الإيلخانية[6]».

وقال المؤرخ غيبون: « . . وأخذت الدماء تنساب في شوارع المدينة [بغداد] ثلاثة أيام متعاقبة حتى اصطبغ دجلة عدة ليال، وظلت ريح التخريب والذبح وانتهاك الإنسانية، تعصف بالمدينة ستة أسابيع كاملة، حتى انهارت القصور المنيفة، وتقوضت الجوامع المقدسة، والضرائح الفخمة لأجل قباها الذهبية، وأعملت السيوف في رقاب المرضى في المستشفيات، وطلاب العلم والأساتذة في المدارس والكليات، ونبشت قبور الأولياء وأضرحة الأمة

الصالحين، والتهمت النيران نتائج قرائح العلماء والأدباء، وألقيت الكتب لتلتهمها ألسن النار أو تبتلعها مياه دجلة، وهكذا فقدت البشرية كنوز خمسة قرون، وفنيت زهرة الأمة فناء تامًا»[7].

وقال ابن الفوطي البغدادي: ووضع السيف في أهل بغداد، يوم الاثنين خامس صفر [656 هــ/ 1258 م]، ومازالوا في قتل ونهب وتعذيب الناس بأنواع العذاب، واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يومًا.، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال، ولم يبق من أهل البلد، ومن التجأ إليهم من أهل السواد، إلا القليل ما عدا النصارى، فإنهم عين لهم شحان حرسوا بيوتهم والتجأ إليهم خلق كثير من المسلمين فالتجئوا عندهم . . وأحرق معظم البلد، وجامع الخليفة وما يجاوره، واستولى الخراب على البلد، وكانت القتلى في الدروب والأسواق كالتلال . .[8].

7/ 2] في أثناء الراحة والضيق

لم تكن أحوال نصارى العراق في عهد المغول على حالة واحدة، بل كانت تتغير بتغير الحكام، فملوكهم الذين كانوا يدينون بالنصرانية، أحسنوا إلى رؤسائها، وعفوا رعاياهم من الجزية، ومنحوهم براءات تأييدًا لذلك[9]. فأعان هولاكو المسيحيين لأن زوجه كانت مسيحية[10]، ووهب الجاثليق مكيخا الثاني [المتوفى سنة 1265 م] الدار المعروفة بدار الدويدار، القائمة على نهر دجلة، وشاد فيها كنيسة[11]. وكان عدد النصارى الذين يدفعون الجزية عند دخول هولاكو إلى بغداد (43000) نسمة يملكون ستًا وخمسين بيعة، ولم يبق من تلك البيع القديمة بيعة واحدة[12].

قال المؤرخ عمرو بن متي مكيخا الثاني ما يأتي: وبعد بسنة واحدة، انتقلت المملكة من الخلفاء بني العباس إلى المغول . . وأنعم هولاكو خان

على هذا الأب، وأعطاه دار الخليفة المعروف بدار الدويدار التي على دجلة، حتى سكنها وعمر فيها البيعة الجديدة، ورزق جاهًا عظيمًا[13].

غير أنه في سنة [659 هـ/ 1260 م] انتقض الأمن الداخلي في الموصل حينما دخلها علم الدين سنجر، أحد أمراء الملك الصالح إسمعيل بن بدر الدين لؤلؤ، الذي تولى الموصل سنة [657 هـ/ 1258 م]، فقتل عدد لا يحصى من النصارى، ونهبت أموالهم، ولم يفلت منهم إلا من هرب. وفي اليوم الثاني، نزل سكان الجبال على نينوى وقراها، فنهبوها وقتلوا المتحلفين فيها من النصارى[14]. وفي سنة [660 هـ/ 1261 م] دخل المغول الموصل، فسبوا ونهبوا وأعملوا السيف ثمانية أيام، قتلوا من أهلها خلقًا لا يعلم عددهم إلا الله وحده[15].

لقد عامل المغول نصارى بلادنا في أول عهدهم أحسن معاملة، بيد أنهم عام [663 هـ/ 1263 م]، أثاروا في بغداد على الجاثليق مكيخا الثاني [المتوفى سنة 1265 م] شغبًا عظيمًا، زاعمين أنه حبس عنده نسطوريًا، كان قد أسلم قبل بضع سنوات. وأشاع بعض المفسدين من الأهل الأهواء، أن الجاثليق يريد أن يغرقه في النهر، فتجمهر الكثيرون مفتتنين أمام دار الحكومة، فبعث الوالي مرارًا إلى الجاثليق طالبًا منه أن يسلم الرجل المحبوس، فأبى مصرًا على إبقائه في قصره، فما كان من الرعاع إلا وأحرقوا باب دار الجاثليق ورواقه، وتسلقوا الجدار ليدخلوا عليه، ويقتلوه فلم يعثروا عليه لأن الوالي كان قد وجه إليه رجالاً لينقذوه من أيدي الأوباش، فنجحوا في سعيهم. وبعدما نجا تظلم إلى الأردو الأشرف[16] من أولئك الرعاع، غير أن سعيه ذهب أدراج الرياح. فلما رأى أن لا قبل له بالإقامة في عاصمة العباسيين غادر، وأقام كرسيه في إربيل[17].

وفي سنة [666 هـ/ 1267 م] ولي على الموصل رجل نصراني اسمه سعود، وهو من قرى إربيل، غير أن الأمير بيتمش قتله سنة [688 هـ/ 1289 م]، ثم

أثار اضطهادًا على النصارى الذين تظاهروا بالتعصب لمسعود، وقتل منهم كثيرًا في الموصل وإربيل وما جاورهما من القرى[18].

وفي أيام السلطان أحمد [عزل سنة 683 هـ/ 1284 م]، تجرع النصارى غصص المحن، فزج في السجن الجاثليق يابالاها الثالث [المتوفى سنة 1317 م] واستأصل شأفة كنائس تبريز وغيرها من البلدان، ومنعهم عن التظاهر في حفلاتهم الدينية، ولما خلفه السلطان أرغون خان [المتوفى سنة 630 هـ/ 1291 م]، أخذ يلاطف المسيحيين ويعاقب المذنبين إليهم، وسعى لترميم البيع والديارات[19].

وفي سنة [684 هـ/ 1285 م] سطت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل وإربيل، وقتلوا ونهبوا وسلبوا، وأخذوا أموال التجار من قيسارية الموصل، وقتلوا كثيرًا من النصارى في إربيل[20].

7/ 3] الاعتداءات المتواترة

جلس السلطان كيخاتو خان [المتوفى سنة 694 هـ/ 1295 م] بعد أرغون خان على عرش السلطنة، ثم خلفه بيدو خان، غير أن السلطان غازان خان [المتوفى سنة 703 هـ/ 1303 م] اغتصب ملكه في السنة عينها، وأخذ يضيق على الذميين تضييقات لا يفي القلم بوصفها. وكان أشد هذه المحن وقعًا على نصارى بغداد، حتى لم يجسر رجالهم أن يظهروا في الطرق، فاضطرت نساؤهم على أن يذهبن إلى السوق لشراء الأطعمة، لأنهن كن يلبسن لباس المسلمات، كما أنهن كن يبعن ما يلزم بيعه طلبًا للرزق . .[21]. ثم أمر بإلزام أهل الذمة الغيار، فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم، فداموا على ذلك شهورًا، ثم أزيل بمجرد تسلط العوام عليهم، وطمع الجهال فيهم[22].

وفي تلك الأثناء سنة [694 هـ/ 1295 م] «تقدم السلطان غازان، بأخذ دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من النصارى، فأنها كانت بأيديهم،

ثم أزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية، واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار، المعروف بدار الفلك، وكان قد جعله النصارى مدفنًا لأكابرهم فأزيلت القبور منه وصار محلاً للوعظ»[23].

قال المؤرخ عمرو بن متى ما نصه: «ونقلوا [أي: النصارى] أجساد الآباء الذين في البيعة المذكورة وهما مكيخا ودنحا، وأتواهما إلى بيعة سوق الثلاثاء، واغتم المؤمنون لذلك عظيمًا، وصلوا عليهما يومًا وليلة، ودفنوا مكيخا في القنكي، ودنحا في بيت العماد[24].

وأما الخراج الذي كان يؤديه النصارى على الأراضي التي أبقيت لهم، فالسلطان غازان خان قد ميز بغداد من سائر مملكته في الأمر الذي أصدره في شهر رجب من سنة [703 هـ/ 1304 م] إذ أوجب فيه على أهل سائر المدن، أن يدفعوا الخراج مرة واحدة في السنة، من نوروز الربيع إلى اليوم العشرين منه. وأما في دار الخلفاء فكان يجبى في أيام الحصاد إلى مدة عشرين يومًا[25].

وكان نوروز قائد السلطان غازان، يبغض النصارى بغضًا شنيعًا، وقد بالغ في إهاناتهم بأنواع الجور والأذى، فأرسل أوامره الصارمة إلى أنحاء البلاد بأن تنهب وتعفى آثار العابد المسيحية، ويقتل رؤساؤهم. وطرح الجاثليق يابالاها الثالث في السجن، وطلب أن يفدى بعشرين ألف دينار، فاضطر إلى نقل كرسيه من بغداد إلى مراغة. ثم ضاعف الضرائب على الذميين، ولاسيما على النصارى، ففتك حينئذ أعداء النصرانية بالديرة والكنائس، ونهبوا أوانيها وحللها، وامتدت هذه النوائب إلى إربيل وأسروا مطرانها، وقتلوا وسلبوا وساموا أهلها الذل والهوان.

وفي مطاوي سنة [1304–1305 م] في عهد السلطان محمد خان خدا بنده بن أرغون [المتوفى سنة 716 هـ/ 1316 م]، كثر خصوم نصارى العراق، وكمنوا لهم الشر في نفوسهم، ثم أخذوا يظهرونه تارة باضطهادهم، وأخرى بمناوأتهم، حتى وقعت مجزرة إربيل الثانية، وسرت إلى تبريز والموصل[26].

وفي سنة [721 هـ/ 1322 م] أمر السلطان أبو سعيد خدا بنده [المتوفى سنة 736 هـ/ 1335 م] أن توضع العلائم على الذميين[27].

4/7] تأخر العلوم

كانت بلاد العراق في عهد الدولة المغولية، تئن من رزايا الحروب والفتن الأهلية، فازدادت في أيامها المذابح والفضائح والثورات. وهذه الاضطرابات تحول دون تقدم العلوم، بل لم يبق أثر للنهضة الأدبية التي رأيناها في أيام الدولة العباسية، فقد زهد الناس في المعارف، ورغبوا عن التأليف والاستنباط، وانصرفوا إلى جمع بعض المصنفات، أو إلى تلخيصها، أو التعليق عليها. غير أن الحركة العلمية لم تضمحل كل الاضمحلال، فإن بعض الملوك كانوا من حين إلى آخر، يشجعون أرباب العلم، ويشيدون مبانيه، إلا أن هذه الحركة لم تجد نفعًا لأنها كانت قصيرة الأمد[28].

خمدت في تلك الآونة الحركة العلمية لدى أدباء العراق المسيحيين، وأضحت أنباؤهم ضئيلة جدًا، فقد شغلتهم كوارث الحروب، والتقلبات السياسية عن التبحر في المعارف، وربما ظهر بينهم جمهور من المؤلفين، بيد أن أسفارهم قد اغتالتها يد الضياع.

وممن امتاز في النهوض الأدبي في النصف الأول من القرن الرابع عشر للميلاد، صليبا بن يوحنا الموصلي، وعمر بن متى الطيرهاني[29]، وهما مؤلفا ‹كتاب المجدل›، وقد اختلطت مباحثهما فيه، ولا يمكن تمييزها عن بعضها، وهي تبحث عن تراجم الجثالقة المشارقة، وقد لخصها صليبا من ‹كتاب المجدل› ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق›، لمؤلفه سليمان بن ماري (القرن الحادي عشر الميلادي) وطبع هذا السفر الأب جسمندي اليسوعي في روما عام [1896 م]، وهو يتكلم عن النساطرة في القرون المتوسطة، وأخبار

كنائسهم العديدة، وانتشار نحلتهم في الشرق الأقصى، وعن غير ذلك من الأمور الخطيرة التي لم يذكرها أحد من المؤلفين[30].

ومن يستحق الذكر في ذلك الحين يوحنا الموصلي [المتوفى سنة 1270 م] كان أحد رهبان دير مار ميخائيل في جوار الموصل، وأخذ الأدب الآرامي عن مدرسيه، ونشأ شاعرًا مجيدًا، كثير المناقب، جم المفاخر. وقد نظم قصائد بديعة زانها بالألفاظ الرقيقة، والمعاني الدقيقة، فجاءت متراصفة الفقر، متلائمة الأطراف، وقد جمع منها ديوان أسماه ‹الفضائل الحسنة› ضمنه الأشعار التقوية، والأبيات الأخلاقية، ما يدل على ملكة قوية وقريحة سخية. وقد طبعه إيليا ملوس في رومية سنة [1868 م][31].

ومنهم جبرائيل الموصلي [المتوفى سنة1300 م]، كان فيلسوفًا وشاعرًا، وأقبل يدرس المعارف الآرامية، وانقطع إلى درس اللغة اليونانية، فاستبطن أسرارها، ثم انكب على مطالعة فلسفة اليونان، فنبغ فيها، وبات إمام شيوخ العلم في زمانه، لا يعارضه في إمامته معارض. إلا أن الشعر غلب عليه فأبدع فيه وأجاد، وله في كل نوع بدائع مأثورة وشاها بغرر الألفاظ الرائعة. وقد طبع بعض الأدباء قسمًا منها، ولا يؤخذ عليه سوى استعماله الكلمات اليونانية[32].

5/7] دخول تيمورلنك في بغداد

انتهى الحكم المغولي من دار السلام عام [738 هـ/ 1337 م]، وانتقل إلى جماعة منهم يعرفون باسم الجلايريين[33]، وكان أحدهم وهو السلطان الشيخ حسن الكبير [المتوفى سنة 757 هـ/ 1356 م]، وقد أنشأ حكومة في بغداد سنة [706 هـ/ 1335 م] عند وفاة السلطان أبي سعيد بن خدا بنده، وهذه الحكومة لم تعمر، فإن الدولة من آل (قره قوبونلي) أي: الخروف الأسود، مزقت شملها، وأول من ملك منها العراق، الشاه منصور سنة [778

هـ/ 1376 م]. بيد أن السلطان أحمد الجلايري تغلب عليه، واستولى على الزوراء عام [785 هـ/ 1383 م] وبقي فيها حينًا بعد حين، إلى أن دخلها تيمورلنك المرة الأولى سنة [790 هـ/ 1391 م] ثم عاد إليها المرة الثانية سنة [803 هـ/ 1400 م].فهرب السلطان أحمد إلى بلاد الروم، والتجأ إلى بايزيد السلطان العثماني[34]. وحينما توفي تيمورلنك سنة [807 هـ/ 1044 م]، عاد السلطان أحمد إلى بغداد وقبض زمام الملك إلى سنة [813 هـ/ 1410 م]، وفي تلك السنة قتله قره يوسف التركماني، واستحوذ على ملكه، وزالت بذلك الحكومة الجلايرية من هذه الديار[35].

كان العراق في هذه المدة، ميدانًا للفتن والقلاقل، لم يذق سكانه من جرائه طعم الراحة. فقد تناوبت عليه أمم مختلفة، وأقوام شتى، ينهبون المدن، ويسلبون القصور، ويقتلون الأهلين. ولما دخل تيمورلنك بغداد سنة [1400 م] أمر بذبح قاطنيها ذبحًا، فخربت المساجد والجوامع، وهدمت المدارس التي يرتقي عهدها إلى العباسيين والسلاطين الأولين، الذين أتوا بعد الخلفاء، قال صاحب كتاب ‹عمدة البيان في تصاريف الزمان›: «قتل فيها [أي: تيمورلنك في بغداد] تسعين ألف مسلم». وقال صاحب ‹منتجع المرتاد في تاريخ بغداد›: «وكانت واقعة بغداد هائلة، اندكت لها الأرض، وعملوا فيها السيف، فقتلوا فيها الأولاد والنساء والرجال، وخربوا حصونها، وهدموا بروجها، وأتلفوا كل ما فيها من الحسن، فجرى ما جرى إذ ذاك، وسالت الدماء في شوارعها الليحاء، قيل: وأقاموا فيها هرمًا عليه تسعون ألف رأس من القتلى». وجاء في ‹الشذرات›: «ثم سار [أي: تيمورلنك] إلى بغداد، وحاصرها أيضًا، حتى أخذها عنوة يوم عيد النحر، من هذه السنة [803 هـ] ووضع السيف في أهلها، وألزم جميع من معه أن يأتي كل واحد منهم، برأسين من رؤوس أهلها. فوقع القتل حتى سالت الدماء أنهارًا، وقد أتوه بما التزموا، فبنى من هذه الرؤوس مئة وعشرين مئذنة، ثم جمع أموالها وأمتعتها»[36].

أما نصارى العراق فكانت حالتهم إذ ذاك يرثى لها، فقد تبدد جمعهم، وهربوا لاجئين إلى القرى والجبال النائية، خوفًا من القتل والذبح، فهدم الغزاة ديارهم، واستأصلوا كنائسهم، واكتسحوا مساكنهم. وكانت نوائب نصارى الموصل في تلك الغضون فادحة، فأمر علي باشا صاحب هذه المدينة، بهدم كل الكنائس، وفي سنة [1372 م] نهب الأشقياء دير الشيخ متي، وفي عام [1375 م] خربت بيعة إربيل الكبرى، ونحو سنة [1401 م] توالت غارات المغول، على أطراف الموصل، فقضت على دير بيث عابي، وعلى غيره من الأديار، التي كانت زاهية بعلومها وأنظمتها، وكاتبها ورهبانها[37].

6/7] القتل والتشتيت

انقرضت الحكومة الجلايرية من العراق، وحكمته ثانية حكومة الخروف الأسود (قره قويونلي) وبقيت في بغداد إلى سنة [872 هـ/ 1467 م] وانتقلت إلى حكومة (آق قويونلي) أي: الخروف الأبيض[38]، وكان مؤسسها السلطان حسن الطويل (أوزون حسن) صاحب ديار بكر.

وفي سنة [882 هـ/ 1477 م] خلف السلطان حسن الطويل، السلطان خليل، وكان أكبر أولاده وأحبهم إليه، وقد اتفق رعاياه على خلعه، وتوليه أخيه يعقوب لسوء خلقه، وشدة جبروته، وكثرة منكراته[39].

وفي سنة [914 هـ/ 1508–1509 م] سير الشاه إسمعيل الصفوي[40] [المتوفى سنة 920 هـ/ 1523 م] جيشًا لافتتاح بغداد. وبعد اقتحامها توجه إليها، وهكذا أصبح العراق جزءًا من الدولة الفارسية.

وفي أيام ابنه طهماسب [المتوفى سنة 983 هـ/ 1575 م]، حكم بغداد ذو الفقار بن نخود سلطان من رؤساء قبيلة موصلو الكردية، وقد انتزعها من أيدي الفرس، فمال إلى الإمبراطورية العثمانية[41]، وبعث إلى القسطنطينية

دار ملكها رسائل خضوعه. فجيّش الشاه طهماسب عام [936 هـ/ 1529 م]، عسكرًا لاسترجاع بغداد، فدافع ذو الفقار عنها دفاع المستميت، غير أن أخويه قتلاه في داره. فدخل الشاه دار السلام، وأقام محمدًا التكلي حاكمًا عليها، وهو من ولاية تكة في الأناضول، ولكن السلطان سليمان القانوني العثماني كان إذ ذاك يعد العدة للاستيلاء على العراق.

وقد لخص المؤرخ الإنكليزي ستيفن لونكريك، حالة بغداد بعد سقوطها على يد هولاكو بما يأتي: «وتقسم فترة القرون الثلاثة، الواقعة بين هذه الحادثة المفجعة واستيلاء سليمان العظيم على الزوراء، إلى أربعة قرون،.فغدت بغداد حكومة من حكومات إمبراطورية المغول في إيران مدة ثمانين سنة، وبقيت لمدة سبعين سنة أخرى العاصمة الجنوبية لمملكة، انفصلت عن الإمبراطورية المذكورة، على يد أحد ولاتها، بعد أن خارت قواها. وفي عام [804 هـ/ 1401 م]، وقعت بيد سلالة من سلالات القبائل التركمانية، حتى اغتصبها الأقوياء المعادون. وفي سنة [914 هـ/ 1508 م]، تشربتها مملكة الصفويين الإيرانية التي كانت آخذة في النمو»[42].

تلك كانت أحوال العراق، قبل انتقاله إلى حكم العثمانيين، فقد أمست ساحاته ومدنه وقراه ميادين النهب والفتك والدمار، بتقلب الحكومات وتغير الأحكام. ولا امتراء أن النصارى وغيرهم حينذاك، تجرعوا غصص الآلام وتشتتوا في أنحاء البلدان. فأخبارهم غامضة مبهمة منذ أوائل القرن الرابع عشر للميلاد، ولم يستطيعوا أن يدونوها لتزايد الرزايا التي انتابهم في كل مكان. فقتل كثير منهم أو هاجروا، فتهدمت بيعهم، وأقفرت ديارهم، وضبطت أملاكهم[43]، واضطر جثالقة النساطرة إلى نقل كرسيهم إلى مراكز عديدة. وأول من ترك بغداد الجاثليق يابالاها [المتوفى سنة 1317 م]، وسكن خلفاؤه تارة في مراغة وطورًا في إربيل، ووقتًا في كرمليس، وأخيرًا أتوا القوش نحو سنة [1426 م]. وكانوا يسكنون أحيانًا في الموصل، أو في دير

مار أوجين القريب من جزيرة ابن عمر. وبعد أوائل القرن السادس عشر للميلاد، كانوا يقيمون غالبًا في دير الربان هرمزد[44] المجاور لقرية القوش[45]، كما تنبئ صخور مقابرهم المكتوبة عليها تواريخ وفاتهم، وتراجم حالهم، وصور إيمانهم[46].

جاء في كتاب ‹نزهة المشتاق›: هجر النساطرة بغداد والبصرة وكل مدن العراق، ما عدا الموصل وتوابعها، والتجأوا إلى قمم جبال كردستان وبلاد الفرس، حتى انقطع ذكرهم من عاصمة العباسيين عهدًا، وخربت بيعهم وهدمت معابدهم، وباتت أديرتهم قاعًا بلقمًا، يعشش فيها البوم والغربان، وباد كل معبد لهم. ولم تعد فئة من النصارى إلى مدينة السلام إلا بعد مرور قرن أو أكثر على نزوح أجدادهم عنها [47].

وورد في كتاب ‹خلاصة تاريخ العراق›: وكان الشاه إسمعيل، قد ذبح جميع نصارى المدينة [أي: بغداد]، ولم يبق واحدًا منهم[48]. ووافق في كتاب ‹أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث›: أما النصارى فكانوا من أصول وطوائف عديدة، وكانوا في الموصل قسمًا كبيرًا من سكان المدينة، وانتشرت قراهم الآهلة في التلال المنخفضة في الشمال، وتجمعت في أنحاء كردستان بمجتمعات مسيحية صغيرة حول دير من الديرة وحافظوا على كهنوتهم . .[49].

8] نصارى العراق في عهد العثمانيين

8/ 1] السلطان سليمان الأول القانوني

عهد السلطان سليمان الأول القانوني [المتوفى سنة 1566 م]، إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا، قيادة الجيوش الزاحفة إلى العراق، فسار بها في أوائل خريف عام [1533 م] إلى تبليس، ثم رجع إلى حلب، وقضى فيها أيام الشتاء، وفي اليوم الرابع عشر من أيار سنة [1534 م] وصل إلى ديار بكر. وفي أواخر أيلول من السنة عينها التحقت في تبريز قوات السلطان بقوات الوزير، وفي أوائل الخريف طفق الجنود يزحفون إلى بغداد. ولما بلغت السلطان أنباء فرار محمد التكلي من المدينة، وهو إذ ذاك على بعد عدة

مراحل منها، بعث الصدر الأعظم ليحتلها، فاستولى عليها من دون مقاومة، وأغلق الأبواب منعًا للنهب الذي قد يحدث. ثم دعا السلطان بعدما خيم الجيش في شمالي بغداد، فدخلها بأبهة وإجلال.

مكث السلطان سليمان القانوني في دار السلام مدة أربعة أشهر، رتب في خلالها الإدارة الداخلية[1]، ثم غادرها بعدما أقام عليها أول وال سليمان باشا حاكم ديار بكر السابق. وبقي الولاة يدبرون شؤونها، حتى حكم فيها بكر الصوباشي عام [1028 هـ/ 1619 م]، فشق عصا الطاعة على الحكومة، واستقل برأيه. ولما تسنم السلطان مراد الرابع عرش الملك سنة [1032 هـ/ 1622–1632 م]، سير جيشًا يقتص منه. وغب قتال استجار الصوباشي بالشاه عباس الأول، فأجاره، وأرسل إليه عساكر حاصروا بغداد، وقاتلوا حاميتها. وفي سنة [1033 هـ/ 1623–1624 م] دخلوا المدينة، وبعدما استتب الأمر للفرس فيها نكلوا بالأهليين[2].

وفي سنة [1035 هـ/ 1625–1626 م] فوض السلطان مراد الرابع إلى حافظ أحمد باشا استرجاع العراق من الفرس، بيد العثمانيين لم يفلحوا في قتالهم العنيف الذي دام إلى سنة [1038 هـ/ 1628–1629 م]. فعين السلطان الصدر الأعظم خسرو (كسرى) باشا، قائدًا عامًا، وعهد إليه قيادة حملة العراق. غير أن هجماته على حصون الزوراء لم تجده نفعًا، فاضطر السلطان مراد عام [1047 هـ/ 1637 م] إلى مغادرة عاصمته، متوجهًا إلى العراق بجيش هام. ثم جثم في سنة [1048 هـ/ 1638 م] إزاء أسوار بغداد، وما انفك يهاجمها، حتى تغلغل فيها، وهكذا انتهى حكم الفرس من هذه البلاد[3].

2/8] الرجوع إلى دار السلام

استولى العثمانيون على العراق، فزالت دواعي القلق بزوال الغارات المتواترة عليها، واطمأنت النفوس إلى حكومة قوية، فانصرفت همم القوم إلى

توطيد أركان الأمن.، وأخذ النصارى منذ أواخر القرن السادس عشر، يفدون إرسالاً إلى دار السلام وأنحائها للسكنى والارتزاق، وكانوا يومئذ قليلي العدد، أتوا من قرى العراق الشمالية، ومن ماردين وديار بكر وأطرافهما، وهم من طوائف مختلفة يجتمعون في دار من دورهم، لإقامة الفروض الدينية كلما سنحت لهم الفرصة، أو مر ببغداد أحد الكهنة. ولم يمض على هذه الحال زمن مديد حتى شاد النساطرة نحو عام [1623 م]، كنيسة صغيرة في محلة الميدان، باسم الشهيدة مسكنتا[4]، وبعد مدة وجيزة، حذا حذوه اليعاقبة. وأما الأرمن فلقلة عددهم بقوا من دون كنيسة. وفي سنة [1628 م]، وصل الزوراء ثلاثة رهبان من الكبوشيين الفرنسيين، قاصدين إيران، وقبل أن يغادروها، فتحوا مصلى في إحدى الدور، وكان يتردد إليه النساطرة واليعاقبة والأرمن والروم.

ومن السياح الذين كتبوا عن نصارى بغداد، الرحالة البرتغالي بدرو تكسيرا (Bedro Texiera). فقد شاهد فيها سنة [1604 م] ثمانين بيتًا من النساطرة، وعشرة بيوت من الأرمن. وأفاد الرحالة الإيطالي بترو دلا فالي (Petro Deila Valle) بأن عدد النصارى في دار السلام سنة [1616 م] كان قليلاً، وقد وافى معظمهم إليها من ماردين وديار بكر، منذ أمد غير بعيد[5].

وفي تلك الغضون كثر عدد الأوربيين الذين مروا ببغداد للمتاجرة، وقبل انتهاء القرن الخامس عشر، كانت أساطيل البرتغال تمخر عباب البحار الهندية، وشادت عام [1570 م] في الخليج الفارسي قلعة هرمز العظيمة. وكان تجار البندقية وجنوة يسلكون الطريق الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالسواحل الإيرانية، «وكانوا في طريقهم ينزلون في خانات بغداد أو (بابل)، ويشاهدون النجف أو يتلبثون أيام مرورهم في الزبير»[6].

3/8] الكلدان والسريان والكاثوليك

وقد ورد أول مرة، ذكر المرسلين إلى الأقوام الشرقية، أيام الحروب الصليبية. فإن البابا غريغوريوس التاسع أنفذ عام [1237 م] الرهبان الدومنيكيين يترأسهم الأب فيليب، ثم قدم الآباء الفرنسيون، وفي سنة [1583 م] بعث البابا غريغوريوس الثالث عشر لاونا رد هابيل، سفيرًا أو زائرًا رسوليًا إلى طوائف الشرق المختلفة. ومنذ عام [1622 م] أتى العراق الرهبان الكرمليون، ثم الكبوشيون والدومنيكيون[7]، ونشر هؤلاء المرسلون التعاليم الكاثوليكية، بين النساطرة واليعاقبة. وكان في بلادنا العراقية، من يعتقد بهذه التعاليم، منذ أواخر القرن السادس للميلاد، أمثال يوسف حزايا، أي: الناظر، وإسحق النينوي، وإشعيا تحلايا، ويوحنا سابا، وتلميذهم سهدونا الهلموني، وغيرهم[8]. وفي سنة [1247 م] تبع البطريرك النسطوري بريشوع [المتوفى سنة 1256 م] الكنيسة الكاثوليكية، فأرسل الربان آرا إلى البابا أنوكنتيوس الرابع، مزودًا بصورة إيمانه، وقد وقع عليها نصارى الصين[9]، ومار يشوعياب ملكون مطران نصيبين، ومطرانان آخران وثلاثة أساقفة[10]. وفي [سنة 1307 م] أقام البابا إقليميس الخامس مطرانًا على مدينة كنتون في بلاد الصين. وفي العام [1445 م]، كتب طيمثاوس أسقف جزيرة قبرص وشعبه، صورة إيمانهم إلى البابا أوجين الرابع، فرحب بهم، وأصدر براءته المشهورة يأمر بها أن يسمى جميع النساطرة، الذين يتبعون الكنيسة الكاثوليكية كلدانًا[11].

غير أن الكنيسة الكلدانية لم تتميز عن الكنيسة النسطورية، إلا في أواسط القرن السادس عشر، إذ كانت درجة الأسقفية منذ القرن الرابع عشر، منحصرة في عشيرة بيت الأب، (بيت أبونا) ولا يقوم بطريرك إلا من أسرتهم. وأول بطريرك أقيم من هذه العائلة، طيمثاوس الثاني [المتوفى سنة 1350 م]، وكان خلفاؤه من أقاربه، إلى زمان البطريرك شمعون الباصيدي [المتوفى سنة 1477 م] الذي أقر هذه القاعدة، وأبطل الانتخاب، وسن نظامًا

يؤيد فيه، أن لا يقوم بطريرك إلا من أفراد عائلته. ثم أقام خلفًا له أحد ذويه وجعله رئيس أساقفة لكي يقوم مقامه بعد وفاته. وقد حذا حذوه من خلفه من البطاركة[13]، فاغتاظ أبناء الشعب أي اغتياظ من هذه التصرفات، وانتخبوا رئيس دير الربان هرمزد يوحنا سولاقا بطريركًا عليهم، ثم أرسلوه مزودًا برسائل إلى البابا بوليوس الثالث. وعند وصوله إلى روما في [11/18/ 1552 م]، تلقاه الحبر الأعظم ولفيف من الكرادلة، بمزيد من الحفاوة والإكرام. وبعد نحو ستة أشهر في الأحد الجديد من سنة [1553 م]، أقامه الكرادلة مطرانًا، ثم بعد ثمانية أيام ولاه البابا نفسه منصب البطريرك في كنسية القديس بطرس أمام جماهير لا يحصى عددهم. وحينما عاد إلى ديار بكر مقر كرسيه، وشى به البطريرك النسطوري شمعون بر ماما، أي: ابن ماما [المتوفى سنة 1558 م]، إلى حاكم العمادية، ورشاه بمبلغ من المال، فألقى القبض عليه عام [1555 م]، وزجه في ظلمات السجن. ثم خنقه حراسه سرًا، ورموا جثته ليلاً في النهر، وأذاعوا أنه فر هاربًا إلى مكان مجهول[14].

أما اليعاقبة فمنذ منتصف القرن السابع الميلادي طفق رؤساؤهم يتقربون من الكنيسة الكاثوليكية، منهم: جورجي مطران ميافارقين، وتلميذاه قسطنطين أسقف حران، ولاون خليفته، وأغناطيوس مطران ملطية. وفي سنة [1237 م] أنفذ البطريرك أغناطيوس داود، إلى البابا غريغوريوس التاسع صورة إيمانه. وفي سنة [1439 م] بعث البطريرك بهنام الحدلي، إلى البابا أوجين الرابع رسالة خضوعه وإيمانه. وفي [20 آب سنة 1662 م] أقيم ديونوسيوس أندراوس أخيجان، بطريركًا على السريان الكاثوليك باسم أغناطيوس[15].

[4/8] الآباء الكرمليون

جاء الآباء الكرمليون إلى البصرة وبغداد عام [1622 م]، يتقدمهم الأب باسيليوس البرتغالي. وفي سنة [1638 م] أقيم أول مطران منهم على بابل

وأصفهان. ثم غادروا بغداد والبصرة،لتزايد الاعتداءات عليهم، غير أنهم رجعوا إليهما،بعدما تعهدتهم فرنسا بحمايتها. وكان البرتغاليون بعد سنة [1622 م] قد شادوا بيعة في البصرة. وفي عام [1652 م] بنى فيها أغناطيوس النائب الرسولي كنيسة كبيرة باسم العذراء مريم، وكانت في البصرة إذ ذاك أقليات نصرانية. ثم تركت بيعة البرتغاليين، وبقيت بيعة الكرمليين، وعين رئيسهم في سنة [1679 م] قنصلاً فرنسيًا[16].

وفي سنة [1721 م] أقيم الأب يوسف مارية دارله الكرملي، نائبًا رسوليًا في بغداد[17]، بيد أن الكلدان والسريان والكاثوليك لم يجسروا على إيوائه في دورهم خوفًا من الوشاة. فبقي مدة ثماني سنوات يتنقل تارة إلى ديار بكر، وأخرى إلى البصرة، أو يقيم في بغداد بعيدًا عن الأنظار، حتى هرب إلى حلب واستقر فيها. فأرسل عوضًا عنه في أواخر عام [1728 م] السيد عمانوئيل بايه الكرملي نائبًا رسوليًا، فنزل دار أحد الكاثوليك في دار السلام، فوشي به إلى الحاكم، فأمر بحبسه. وعندما سار خبره إلى سفير فرنسة، عينه قنصلاً لدولته في بغداد، فأطلق سراحه وشرع يعظ ويعلم، ثم نال توصية إلى الوالي من نائب ملك فرنسا في الهند، فبنى معبدًا في محلة سوق الغزل باسم مار توما الرسول، وفتح مدرسة للصبيان، ووسع أرجاءها سنة [1752 م][18]. وفي تلك الأثناء سنة [1744 م] استولى الأرمن الأرثوذكس، على كنيسة النساطرة في الميدان، وهي كنيسة الشهيدة مسكنتا، المار ذكرها، ولا تزال في حوزتهم حتى اليوم[19]. وقد أراد الكاثوليك استرجاعها، فلم ينجحوا، فوهبت امرأة كاثوليكية دارها، فبنيت برخصة الوالي مصلى، وبعد زمن شادوا فيها كنيسة ثم وسعوها[20].

5/8] الآباء الكبوشيون

وفي سنة [1626 م] وافى الآباء الكبوشيون دار السلام، وكان ديرهم في محلة رأس القرية؛ قال الكاتب الإيطالي أوربانو تشِري (Urbano Cerri):

«للكبوشيين في بغداد كنيسة ودير، وقد أحرزوا نجاحًا عظيمًا، وفازوا بإعزاز المسلمين لمهاراتهم في الطب والرياضيات، وكان يتردد إلى كنيستهم من تبع الكنيسة الكاثوليكية من السريان والأرمن، ويرسلون أولادهم إلى مدرستهم». وقال أحد الآباء اليسوعيين الفرنسيين في رسالة سيرها عام [1675 م] من البصرة إلى فرنسة، بعدما مر ببغداد قادمًا من الموصل: إن المرسلين الكبوشيين نالوا راحة لا مثيل لها في أي مكان آخر من بلاد تركية، ولا يتجاوز عدد المسيحيين في الزوراء مئتين وألف نسمة، وهناك حرية تامة لكل فرقة من الفرق الدينية، في ممارسة فروض معتقدها[21].

وفي سنة [1636 م] حلت فئة من الآباء الكبوشيين في الموصل، وشرعوا يطببون سكانها، فعضدهم الأهلون، غير أنهم تركوها سنة [1724 م]، كما كانوا قد غادروا بغداد عام [1708 م][22].

6/8] الآباء الدومنيكيون

وأتى الآباء الدومنيكيون الحدباء سنة [1750 م]، يتقدمهم الأبوان الإيطاليان فرنسيس طورياني (Turriani) وعبد الأحد كوديلنشيني (Codeleoncini)، وأخذا يتعلمان لغة البلاد، ويطببان الأهلين. وبعد متاعب جمة وشدائد وافرة، شيدت في الموصل كنيستان كاثوليكيتان، إحداهما كلدانية والأخرى سريانية[23].

7/8] عدد الكاثوليك

كان عدد الكاثوليك في الموصل سنة [1747 م]، عشر عائلات كلدانية، وعشر عائلات سريانية، وفي قرية تلكيف خمسون ومئة عائلة، يتولى شؤونها كاهنان من دون كنيسة، وكان في قرية باطنايا مئتا عائلة، يدير أمورها كاهن

واحد، وفي قرية القوش مئة عائلة، يسوسها كاهن واحد، وفي دهوك ثلاثون عائلة، وفي زاخو أربعون عائلة، وكان في البصرة ثماني عائلات كاثوليكية[24]. وأما في الزوراء فصار عددهم سنة [1753 م] ستًا وثمانين عائلة، من الطوائف الأربع، أي: الكلدانية والسريانية والإرمينية والملكية. وقد سكنت أربع وأربعون أسرة منها في محلة الميدان، قرب كنيسة الشهيدة مسكنتا، واثنتان وأربعون أسرة في محلة الشورجة في جوار كنيسة الآباء الكرمليين[25].

8/8] عدد النساطرة واليعاقبة

ويجدر بنا الآن أن نتكلم بإيجاز عن نساطرة العراق، في مطاوي سنة [1408–1680 م] نقلاً عن تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية[26]. فكان للنساطرة في الموصل سنة [1480 م] ميطربوليط[27]، وأربعة أساقفة وعشر كنائس، وعددهم في داخل المدينة تسعة آلاف بيت، وفي خارجها ثمانية آلاف بيت، يملكون سبعة ديرة يسكنها رهبان عديدون. وكان في خارج مدينة كركوك وفي داخلها ألفا بيت، يسوس كنائسها الثلاث ميطربوليط وأسقف واحد.

وفي سنة [1500 م] كان في داخل بغداد وفي خارجها ستة عشر ألف بيت، يدير شؤون كنائسها العديدة ميطربوليط وسبعة أساقفة وخمسمئة كاهن. وفي شماليها، على مسافة ثلاث ساعات، دير باسم النبي دانيال والفتية الثلاثة، يقطنه مئتا راهب، عدا الخدم، ويملكون أوقافًا كثيرة من رحى وبساتين، ولهم مدرسة واسعة الأرجاء، يتعلم بين جدرانها رجال الدين الفلسفة واللاهوت والمنطق والهندسة.

وكان للنساطرة في إربيل سنة [1600 م] بيعتان وأسقف واحد، يدبر أمور مئتين وألف بيت. وكان عددهم في السليمانية ثمانيمئة بيت، يملكون بيعتين

ويرأسهما أسقف واحد. وكانت في المدائن، مقر كرسي بطريرك المشرق، إحدى وعشرون كنيسة، وفي نواحيها ستون كنيسة، يسوسها سبعة أساقفة وستمئة كاهن وألف شماس يقومون بشؤون ثمانيمئة وسبعة عشر ألف بيت.

وبلغ عدد النساطرة في البصرة سنة [1610 م] ثلاثة آلاف بيت، يدير كنائسهم الثلاث ميطربوليط وأسقف واحد. وكان في الحلة سنة [1615 م] مئتان وألف بيت، وكنيستان وأسقف واحد ما عدا الكهنة. وفي الكوفة سنة [1680 م] ثمانيمئة وألف بيت يرأس كنائسها الثلاث ميطربوليط وأسقفان وخمسون كاهنًا.

وكان في عمادية سنة [1630 م] أسقف واحد وكهنة وشمامسة كثيرون، يسوسون ثلاث كنائس في داخل المدينة، وخمس عشرة كنيسة في خارجها، يتبعها مئتان وأربعة آلاف بيت. أما عددهم في زاخو فكان مئتين وخمسة آلاف بيت، وفي عقرة سبعمئة وألف بيت، يدبر شؤون هاتين المدينتين أسقف واحد وكهنة وشمامسة عديدون[28].

أما اليعاقبة فكثروا وانتشروا في بلاد فارس وفي بلاد سورية كلها، ولاسيما الجهات الشرقية والجنوبية منها، وفي بلاد آشور والجزيرة والعراق وما يجاورها[29]، وكان عددهم في العراق أقل من عدد النساطرة. وقد اتخذ مفريان المشرق[30] من مدينة تكريت مقرًا لكرسيه، تخضع له عدة أبرشيات في الكوفة وسنجار ومعلثايا وإرزن والموصل وبغداد، وكان ينظم أمور أساقفتها ويدبر شؤون رعاياها. وازداد عدد هذه الأبرشيات، ولاسيما عندما اجتاح العرب والمغول دولة الفرس، فإن الكثيرين من اليعاقبة غادروا بلاد مابين النهرين، ورحلوا إلى أقطار فارس وتركستان[31].

لقد اشتهرت تكريت بمفارنة المشرق من سنة [628 م] حتى منسلخ المئة الثانية عشر للميلاد[32]، ثم نقلوا كرسيهم إلى دير الشيخ متى فالموصل،

وشادوا في أنحاء أساقفتهم أديارًا ومدارس كثيرة وكنائس فخمة. قال بعض علماء أوربة: كانت الكنيسة النسطورية في عهد الخلفاء منتشرة، وممتدة من الصين حتى أورشليم وجزيرة قبرص، وكان عددهم وعدد اليعاقبة يربو على عدد اليونان واللاتين[33].

9/8] حالة النصارى العامة

كتب الرحالة الفرنسي تافرنييه (J.B. Tavernier) عن نصارى العراق، في مطاوي القرن السابع عشر: وكان في الموصل أربع فرق نصرانية، وهي الروم والأرمن والنساطرة والموارنة[34]. وللكبوشيين مسكن جميل يشرف على نهر دجلة، ولكن الباشا غرمهم لأنهم حاولوا أن يوسعوه قليلاً فأجبروا على تركه وهجره. وفي تكريت كان يقطن النصارى على مسافة نصف فرسخ من المدينة، وتشاهد فيها خرائب كنيسة، وقسم من برجها، ويظهر من بقاياها أنها كانت فيما سبق بناء عظيمًا. والنصارى في بغداد ثلاث فرق: النساطرة والأرمن واليعاقبة، فيصلي النساطرة في كنيستهم، وأما الباقون فيصلون في بيعة الكبوشيين الذين يقومون بالفروض الدينية. وعلى نحو ربع فرسخ من المدينة كنيسة يقصدها المسيحيون للتعبد، وهي باسم خضر إلياس[35]. ولكي يسمح لهم بزيارتها يدفعون أجرة زهيدة للأتراك، وعلى مسيرة يومين من المدينة بيعة أخرى في قرية حقيرة، ويقول النصارى إن مار شمعون ومار يهوذا، استشهدا هناك ودفنا فيها. وإذا توفي أحدهم حضر جميع النصارى إلى حفلة دفنه، ثم يرجعون إلى البيت فيجدون الطعام معدًا لهم، وفي اليوم الثاني يعودون إلى القبر ويصلون على المتوفى، وفي اليوم الثالث يهيئون عشاء للغادي والرائح. وقد يجتمع أحيانًا في أثناء الدفن نحو خمسين ومئة شخص. إن هذه الرسوم تتكرر في اليوم السابع والخامس عشر والثلاثين والأربعين

بعد الوفاة، وهذا دليل على احترامهم العظيم للميت، الذي يصلون من أجله مرارًا، لكن هذه العادة التكريمية تكون حملاً ثقيلاً على الفقراء، الذين ينقادون إلى تقليد الأغنياء، فيبهظون كواهلهم بالديون، وقد يبلغ الأمر أن يضطروا إلى بيع أطفالهم للترك ليقضوا ديونهم[36].

وقال المؤرخ الإنكليزي ستيفن لونكريك: «إن نصارى العراق في أثناء الحكم التركي العثماني، [1049-1116 هـ/ 1639-1704 م] كانوا يعيشون على اختلاف طوائفهم، في ظل نظام يكثر فيه التساهل، على ما كان في الولايات الأخرى. فإن بغداد كانت عالمية (والمذاهب الإسلامية نفسها مفترقة جدًا)، إلى حد أنها لا تشجع شيوع التعصب. وعلاوة على ذلك، إن هذه الطوائف ذوات الأقليات من السكان، كانت تسلك سلوكًا أخلاقيًا، كما كان الناس قد ألفوهم، نظرًا لطول إقامتهم، ولعدم وجود ما يمنع اختلاطهم بباقي السكان. إلا أنه كان من المنتظر أن يكون بينهم ما يفرقهم عن غيرهم، كما كان الأمر في دمشق والقاهرة، فربما كان من المحذور عليهم أن يمتلكوا الرقيق الأبيض أو يركبوا الخيل، لأن حصتهم من هذه الأصناف، كانت العبيد الزنوج والحمير. ثم أن التحقير الأعظم الذي كان يقضي بعدم الركوب مطلقًا، أو النزول عند مرور سيد من السادة، كان لا يؤذي إلا قليلاً. وكانت الطوائف النصرانية هي نفسها كما وجدت فيما بعد، فقد كان للنسطوريين كنيسة خاصة بهم، وكانت الدرجات ممثلة للكبوشيين الكرمليين، ولم يتدخل الأتراك في ترددهم إلى الكنيسة، ولا في إقامتهم للشعائر النصرانية، بأكثر من فرض رسم الدخول عند ذهابهم إلى كنائسهم، أو أن يتدخلوا مضطرين في شراء أطفالهم عبيدًا أرقاء، عندما كانت نفقات مأتم كبير تفقر عائلة ما لهذا الحد من الافتقار. على أن أثقل حمل كان يثقل كاهلهم، ويشترك، في ذلك في الحقيقة، القس مع المسلم العامي، والزائر الإيراني مع الراعي أو الحمال، هو التجاؤهم إلى استعطاف الحكام العابثين

الجهال، الذين كانوا يلتهبون بحب المال، وبالتعصب الديني تجاه الأقليات الضعيفة الغنية[37].

وكان نصارى وادي الرافدين إذ ذاك، يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي والحياكة، ولاسيما في القرى الشمالية. وكانوا يتعاطون في المدن المهن الحرة، والصناعات الشائعة في البلاد، كالصياغة والنجارة والحدادة. أو يزاولون البيع والشراء في الأسواق، أو يتقلدون وظائف الترجمة لدى القناصل. وأما الأغنياء منهم فكانوا يتاجرون. قال جان باتسب روسو قنصل فرنسة في بغداد: إن نصارى بغداد على اختلاف طوائفهم يعيشون عيشة عديمة الرفاه، وهم يتعاطون البيع والشراء الداخلي، ويزاولون مهنة الطباعة على الأقمشة (البصم) وغيرها من المهن اليدوية، وأما العدد اليسير من التجار ذوي اليسار، فمعظمهم أرمن من استانبول، قد أثروا بمعاطاة التجارة بالأحجار الكريمة والشال، مع إيران والهند[38].

10/8] تقلبات الأحوال

رأينا أن السلطان مراد الرابع دخل بغداد سنة [1048 هـ/ 1638 م]، فأسند حكمها إلى حسن باشا الصغير، ثم رجع قافلاً إلى عاصمته عام [1639 م]. وبعد سنة استبدله بحاكم آخر، وهكذا بلغ الحكام حتى أواخر ذلك القرن زهاء ثلاثين حاكمًا. غير أن الحالة تغيرت في مستهل القرن الثامن عشر، أيام حسن باشا وابنه أحمد باشا، ثم وافى دور المماليك [1750-1831 م]، واستفحل شأنهم في بغداد، واستبدوا بالحكم وقام منهم باشوات، خرجوا على الحكومة العثمانية عدة مرات، وكان آخرهم داود باشا [المتوفى سنة 1851 م][39]. وقد قضى على حكمهم علي رضا باشا سنة [1831 م].

مرت هذه الأدوار على الأقطار العراقية، وقد تجرع الأهلون من جرائها غصص الآلام، فما كانت تمضي سنة إلا وخرج الوزير على السلطان أو تمرد

عليه، أو انقلب الشاه على الحاكم، لاسترجاع الأراضي المقدسة. فكانت البلاد تارة بيد قوم، وطورًا بيد قوم آخرين. وأما النصارى فكانت مصائبهم أنكى ومحنتهم أعظم، فقد اضطهدوا في الموصل وبغداد نحو سنة [1708 م]، وهجم الأشرار في الحدباء على دير الكبوشيين وذبحوا ليلاً عام [1722 م] الأب بطرس. وترك الكرمليون بغداد والبصرة لاشتداد الاعتداءات عليهم[40].

وازدادت نكبات النصارى، عندما وافى طهماسب الثالث المعروف بنادر شاه، إلى بلاد كردستان، فوصل كركوك وحاصرها واستولى عليها. وكانت عساكره الجرارة حينما مرت دمرت فنهبت فسبت، ثم سار إلى بغداد سنة [1145 هـ/ 1732 م]، وسير وزيره نركس خان إلى الموصل، فلم يستطع أن يدخلها. وفي سنة [1155 هـ/ 1743 م] هجم طهماسب نفسه عليها هجمات عنيفة، باءت بالخسران، للهمة الشماء التي بذلها الحاج حسين آل عبد الجليل في كلتا الحملتين، إذ كان يحث على النضال أهالي الموصل، ومن التجأ إليها من سكان القرى من تركمان وكلدانيين. بيد أن عساكر بنادرشاه كسحت قرى كثيرة عامرة، وهدمت كل ما وجدت في كرمليس وبرطلي وتلسقف والقوش وغيرها، وأخذت تغتال شبابها وشيوخها، وتسبي نساءها وأطفالها، وتنهب دورها وكنائسها، وتقتل رهبان معابدها وأديرتها، ولاسيما دير مار إيليا ويسمى دير سعيد[41]، ودير مار أورهام[42]، ودير الربان هرمزد؛ قال أحد الكتبة المسيحيين: لقد أصبحت بلاد أشور كلها خراب، آوى إليها البوم ونمقت على أطلالها الغربان[43].

وعلى الرغم من هذه المحن والمذابح، كان عدد الكاثوليك يزداد زيادة مطردة، في البصرة وبغداد وكركوك والموصل ونواحيها[44]، والنساطرة منذ سنة [1798 م] غادروا سهول بلاد مابين النهرين وسكنوا جبال كردستان[45]، وأما اليعاقبة فمكث أكثرهم في الموصل وفي بعض قراها. ومنذ الربع الأول من القرن الثامن عشر طفق النصارى يأتون إلى بغداد والبصرة والموصل

وحلب وإيران والأستانة، للتجارة والارتزاق، أو هربًا من الاعتداءات، فمكث بعضهم مدة في العراق، ثم عاد بعضهم إلى أوطانهم، واستوطن الباقون وتأهلوا فيه. و لم يبق من أعقاهم إلا النزر القليل، بينما معظمهم قد انقرضوا، وأضحوا نسيًا منسيًا[46].

8/ 11] حقوق الأقليات

وفي تلك الأثناء لم تكن حقوق الأقليات، على اختلاف أديانهم، متساوية في الضرائب، وحق التملك والحريات الشخصية، فتداخلت الدول الأوربية تارة بدافع ديني بحت، وطورًا بدافع دبلوماسي أوجبته سياسة التوازن الدولي، حتى وضعت لهم السلطنة العثمانية نظامًا خاصًا، يخول رؤساء الطوائف غير المسلمة إدارة شؤون رعاياهم، بعد أن يؤيد السلطان انتخاهم بفرمان خاص، ومنحهم حرية العبادة، وصلاحية الفصل في قضايا الأحوال الشخصية، بموجب القوانين الكنسية. إلا أن بيت المال طفق يتقاضى الجزية من أهل الكتاب أضعافًا مضعفة، لقاء تسامح السلطان، فبلغ ما يجيء منهم في وقت من الأوقات ثلث الدخل العام[47]. فقد نال الفرمان أو البراءة السلطانية البطريرك أندرواس عام [1664 م]، وفاز بها البطريرك الكلداني يوسف الأول عام [1677 م]، وحظي البطريرك الكلداني يوسف الثالث [المتوفى سنة 1757 م] بلقب بطريرك بابل[48]. وكانت الحكومة العثمانية تصدر البراءات السلطانية باسم النساطرة طبقًا للقاعدة الثابتة في سجلاتها القديمة، ولم تدونها باسم الكلدان، إلا في عهد البطريرك نيقولاوس زيعا [المتوفى سنة 1845 م][49].

وعلى الرغم من هذه الإصلاحات التي وضعها السلاطين، فقد بقي وضع الأقليات وضعًا شاذًا، فلم يكن يسمح للنصارى بممارسة الحقوق المعترف بها إلا إذا تزلفوا لذوي السلطان، والزلفى تنتهي بصاحبها إلى الضعة والانحطاط.

ففي سنة [1799 م] استشهد في دار السلام يونان الكركوكي[50]، وفي اليوم الرابع الخامس والسادس من أيلول عام [1802 م] جار الإنكشاريون في الزوراء على النصارى، طالبين منهم الأموال تحت ستار ظلام الليل[51]، وفي سنة [1805 م] ضرب في الموصل عنق جرجيس الشهيد المعروف بالمقتول[52]. وفي مطاوي ست سنوات أو أكثر [1826–1832 م] كان محمد باشا أمير راوندوز المعروف بميركور[53] يعيث فسادًا في الأقطار الشمالية العراقية، وقد قتل عددًا عديدًا من المسيحيين، ثم أقبل إلى القوش وحاصرها، وأباد من سكانها خلقًا كثيرًا[54]، وفي سنة [1836 م] استشهد في بغداد مانوك الأرمني ببسالة عجيبة[55]، وفي سنة [1842 م] نكل إسماعيل باشا أمير عمادية بنصارى القرى الجبلية تنكيلاً ذريعًا، فنهب مساكنهم وكنائسهم وديرهم[56]، هذا فضلاً على اعتداءات الحكام التي كانت تتوالى على نصارى العراق من وقت إلى آخر[57].

8/ 12] انهيار الإمبراطورية

كان على رضا باشا قد قاوم حكم المماليك، وقضى عليه سنة [1831 م][58]، فدخل العراق في عهد جديد إذ أصبح ولاته خاضعين لمشيئة الباب العالي، يستمدون سلطتهم منه، ولا يستعصون عليه. بيد أن هذا التبدل لم يتبعه تبدل جوهري في الإدارة، ولم يطرأ تحسن في الأحوال العامة، لأن عوامله لم تكن متوافرة في الشعب، والإمبراطورية العثمانية كادت أن تنهار نظير كل دولة تبلغ ذلك الشأن العظيم، من دون أن تقيم على أسس راسخة، من الحرية والعدل والإخاء والمساواة. طفقت الإمبراطورية العثمانية تتقهقر، منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وبدأ المؤرخون يصفونها بالرجل المريض، ولكنها بقيت على فراش الاحتضار زمنًا طويلاً، وراح الساسة العظام يضعون الخطط لتقسيمها، وعلى الرغم من اقتطاع بعض أجزائها[59].

ففي أواسط القرن التاسع عشر سنة [1860 م] كانت تبسط جناحيها على رقعة واسعة، تبلغ مساحتها زهاء سبعة وخمسين وأربعمئة ألف وثلاثة ملايين كيلو متر مربع، وكان عدد سكانها يقدر بخمسين وثلاثمئة ألف وخمسة وثلاثين مليون نسمة، منهم واحد وعشرون مليونًا من المسلمين، وخمسون وثلاثمئة ألف وأربعة عشر مليونًا من غير المسلمين، وثلاثة عشر مليونًا من الأرثوذكس، وما يقارب المليون من الكاثوليك[60].

تسنم السلطان عبد المجيد منصة أجداده، ورأى أن قوانين البلاد لا توافق روح الزمان، ولا سير الحضارة الحديثة، فتلا في الثالث من تشرين الثاني سنة [1839 م] على مسمع من الموظفين الكبار، وممثلي الدول، مرسومه بفرمان <غولهانه الشريف>، يتضمن لرعاياه كافة حياة يسودها الاطمئنان، وتصان معها الثروات والأعراض من عبث العابثين. ومن مراميه الإصلاح وصيانة الحرية الشخصية، واحترام الملكية، ونظام إدارات الجماعات غير المسلمة، وغير ذلك ما أنعش البلاد، وبث في القوم حب الرقي وإن لم يعمل به[61]. وفي [1856/02/18 م] أصدر مرسومًا آخر أدرج فيه حقوق النصارى، وسلطة رؤسائهم الدينية، وتدبير شؤون مؤسساتهم، هذا فضلاً على أحكام عادلة في حرية التدين والتمذهب بأي دين أو مذهب كان[62]، فاستبشر النصارى بهذه العهود وأذكت في نفوسهم العاطفة الوطنية.

استمرت الحال على هذا الغرار، تارة ينشر السلاطين المراسيم، وأخرى يعدون بالإصلاح، بينما كانت الدولة تسير إلى الدمار والانهيار. فبعد أن تقاصرت حدودها المترامية أخذت الثورات الداخلية تنشب أظفارها في ممتلكاتها، وكانت نقمة الشعب تتعاظم والثورة تجيش في النفوس. وما ضاعف النقمة وأذكى الثورة، سياسة التفريق بين العناصر، والتمييز بين الطوائف، فهبت طائفة من المفكرين، تقاوم هذا الوضع وتناشد السلطان أن يضع له حدًا، وتدعو الأمة إلى إقامة صرح الدولة المتداعي على أساس

راسخ. وكان في طليعة هؤلاء المفكرين مصطفى باشا فاضل، الذي هرب مع عدد من الأحرار إلى أوربة، فسير إلى السلطان عبد العزيز خطابًا مفتوحًا دعاه فيه إلى تجديد شباب الدولة، بدستور يتساوى أمامه المسلمون والنصارى، في الحقوق وفي الواجبات؛ ومما قال في سطوره: «ليس في هذا الوجود سياستان: مسلمة ومسيحية، العدل واحد وما السياسة إلا العدل، تجري على يد السلطان، إن نظامنا القديم يضنينا، إنه أفسد طباع ساستنا، وحط من نفوسهم، فأفسدوا من طباع الدولة وحطوا من مقامها . .». وقال مدحت باشا أبو الدستور العثماني «إن السبب الوحيد لتذمر المسيحيين في الدولة العثمانية هو فقدانهم الحرية، فمتى منحوها عطفوا على الدولة، وشعروا بأنهم جزء منها[63].

افتتح سنة [1876 م] البرلمان العثماني الأول، في سرايا بشكطاش[64]، غير أنه لم يجد نفعًا، لأن البلاد كانت في حاجة ماسة إلى تنظيم وإصلاح، وكان إحجام السلاطين عن تحقيق ذلك، داعيًا إلى تدخل الدول الأوربية، وانسلاخ أجزاء جديدة من الدولة[65]. وما زاد في إضعاف الإمبراطورية العثمانية، الانقسام الداخلي، وحل مجلس النواب من حين إلى آخر، وتعاقب الوزارات بسرعة غريبة[66]، حتى دخلت ساحات الحرب العالمية الأولى [1914-1919 م] إلى جانب ألمانية وحليفاتها، فتنغص في أثنائها عيش النصارى وغيرهم، واضطربت أحوالهم، ولاقوا أنواع الجور والعذاب. فنفى القائد نور الدين وجوه بغداد إلى الموصل، ومن هناك أراد أن يرسلهم إلى درسمم، بيد أن عوامل حالت دون مراده. وفي نواحي الحدباء المسيحية ضيق الحكام وغيرهم، الخناق على سكانها وابتزوا أموالهم، واستحوذوا على مؤنهم. وفي القرى الشمالية قتل من النصارى جم غفير، وانهزم الباقون إلى المدن[67]. وقبل احتلال دار السلام أهلك سرًا عدد من المسيحيين، ورميت جثثهم في نهر دجلة بعد تعذيبهم والتنكيل بهم.

13/8] سير العلوم

على الرغم من مراسيم السلاطين، ووعودهم الخلابة، لم يطرأ أي تحسن جوهري في أحوال العراق الداخلية، غير أن سكانه اندفعوا إلى اقتباس المعارف على اختلاف أنواعها، وتقدمت النهضة العلمية فيه تقدمًا حثيثًا، ولاسيما بعد منتصف القرن التاسع عشر، حينما امتزجت الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية. وهذا الامتزاج كان حافزًا للشرقيين على طلب العلم، وبناء المدارس، وانتشار الصناعة والصحافة[68]، والمكتبات العديدة الحافلة بالكتب والمخطوطات. وكانت المطبعة الكلدانية في طليعة المطابع في الموصل، التي أقامها المحسن الكبير الشماس رفائيل مازجي [المتوفى سنة 1866 م][69].

هبط الديار العراقية الغربيون، فاختلطوا بسكانها، وأصبح هذا أوضح وأمتن بعدما عقدت المعاهدات التجارية بين ملوك الغرب وسلاطين بني عثمان، وأجيز للرهبان الغربيين أن يقطنوا البلاد[70]. ثم وفدت البعثات تشيد المكاتب وتعلم الأحداث[71]. وما زاد هذه النهضة نموًا سفر طائفة مختارة من الأدباء العراقيين المسيحيين إلى مدارس الغرب فوافوا أوطانهم، ورفعوا منار المعارف وأحيوا معالمها، كما مهدوا وسائل التهذيب، ووفروا أسباب الثقافة، فكانوا حجر الزاوية في بنيان النهضة الأخيرة. فكان من هذه وتلك منشأ المدارس الإفرنجية، ثم وجب على العثمانيين أن لا يسيروا القهقرى، فانتدبوا أساتذة غربيين، درّسوا في معاهد الآستانة العلمية، وخرج منها معلمون انتشروا في جميع أقطار مملكتهم.

وممن ساعد على النهوض الأدبي العراقي في أواخر القرن الثامن عشر، وفي مطاوي القرن التاسع، رؤساء الطوائف المسيحية، منهم البطريرك السرياني أغناطيوس ميخائيل جروه [المتوفى سنة 1800 م] والبطريرك الكلداني يوحنا هرمزد [المتوفى سنة 1838 م]، بمساعدة الأب الكلداني جبرائيل دنبو

[المتوفى سنة 1832 م]، والبطريرك الكلداني يوسف أودو [المتوفى سنة 1878 م] وغيرهم[72].

ففي بغداد في [1878/08/01 م]، فتحت أبواب مدرسة الاتفاق الشرقي الكاثوليكي، وقد قامت بتأسيسها الطوائف الكاثوليكية الثلاث، أي: الكلدانية والسريانية والأرمنية، وازدهرت ازدهارًا باهرًا، وأنجبت تلاميذ امتازوا بعلمهم وأدبهم، وقضت نحبها في أواخر سنة [1893 م][73]. وفي خلال سنوات [1893-1914 م] تقدمت مدرسة القديس يوسف، بفضل الآباء الكرمليين، ولاسيما أيام كان مديرها ماري جوزيف دي جيزو [المتوفى سنة 1898 م]، وقد خرج منها جمهور من الشبان، لا يزالون يشغلون اليوم المراكز التجارية، والوظائف الحكومية. وفي سنة [1880 م] وافت بغداد راهبات التقدمة، وفتحن أبواب مدرستهن للبنات المسلمات والمسيحيات، وسعين كل السعي لتثقيف أخلاقهن، وتعليمهن القراءة والكتابة، وتدريبهن على الأشغال البيتية.

وفي تلك الأثناء تقدمت مدارس الموصل المسيحية، ولاسيما مدرسة المرسلين الدومنيكيينن، الذين كانوا قد وافوا الحدباء سنة [1750 م] وأسسوا فيها مطبعتهم عام [1860 م]. ثم أقبلت إليها عام [1873 م] الراهبات المعروفات ب(أخوات المحبة) وفتحن المدارس للبنات، واجتهدن في تدريبهن على الفضائل، والتضلع من القراءة والخياطة والتطريز. وفي سنة [1853 م] وسع الأرمن الأرثوذكس غرف مدرستهم، بمساعي الأستاذ مهران سافاجيان الإستانبولي. وفي سنة [1895 م] منح مطران بغداد السرياني أثناسيوس نوري، من تركة المرحوم فتح الله بن نعمة الله عبود، مبلغًا مقداره [15000] فرنك، اشترى بها دارًا يعود ريعها السنوي إلى المدرسة الأفرامية الطائفية[75]. وفي عام [1897 م] وسع كلدان بغداد قاعات مدرستهم وأدخلوا فيها تدريس العلوم الحديثة.

تلك كانت حالة النهضة العلمية عند النصارى، في الزوراء وفي سائر المدن العراقية، فقد جروا مع غيرهم من أبناء البلاد في حلبة المعارف، لا يثنون عن عزمهم، أو يحرزوا غايتهم المنشودة، فتعاطوا نظيرهم الأعمال الحرة، وقدموا الصنائع المحلية، وشادوا المباني التهذيبية، وعربوا المؤلفات المفيدة، ونشروا الكتب القديمة؛ بل لم يذخروا في بذل ما عندهم من القوى، لتوفير الرقي في أرجاء الأوطان.

14/8] أشهر الأدباء والمؤلفين

وعرف في عهد العثمانيين جمهور من البطاركة الأفاضل، خدموا العلم ورفعوا قبابه، ثم صنفوا وألّفوا، فسالت أخلاقهم وعواطفهم في كتاباتهم، وتمثلت معاني النبل في رسائلهم، فكانوا العلماء الذين لا يشق غبارهم، ولا تلحق آثارهم. نزيد على ذلك خدماتهم الجليلة لأبناء جنسهم، ومن أشهرهم البطريرك يوسف الثاني الكلداني [المتوفى سنة 1713 م]، كان مسقط رأسه قرية تلكيف، واسم أبيه جمعة، واسم أمه شموني من بيت معروف، وهو من العلماء المحققين وجهابذة أهل النظر المدققين. وقد وضع مصنفات عربية تقوية تحديدة منها ‹طب الخطاة›، و‹مصباح النور›، و‹فرح الصديقين›، وسطر سفرًا في شرح الأسرار، وآخر في السيرة الروحية دعاه ‹المغناطيس›، وجمع في كتاب أخبار جميع المجامع المسكونية وقوانينها، هذا فضلاً على قصائده الكلدانية، وأناشيده الدينية، التي أدمجت حديثًا في الصلوات القانونية، وتتلى أيام الأعياد والتذكارات. وخير ما حبره سفره ‹المرآة المحلية› دحض فيه البدع المنتشرة في الشرق بالبينات الملزمة، والحجج المفعمة، تعرب عن رسوخ قدمه في علم الفلسفة واللاهوت[76].

ومنهم البطريرك باسيليوس إسحق جبريل السرياني [المتوفى سنة 1721 م]، ولد في الموصل وبعد أن أتقن اللغة الآرامية والعربية، قرأ على الرهبان

الكبوشيين اللغة اللاتينية والإيطالية، ثم أرسل إلى رومة وتضلع من جميع العلوم اللاهوتية، ورجع إلى بلاده ساعيًا وراء خير طائفته. وعلى الرغم من الاضطهاد الذي تحمله من أعدائه، فقد قضى معظم عمره منعكفًا على تصنيف الكتب النفيسة، ووضع في العربية سفر ‹مدرك النجاة›، و‹محجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة›، وسطر خمسين ومئة خطبة في كتاب سماه ‹العلل لدفع الملل›، وألف نحوًا سريانيًا عنوانه ‹إنارة الأحداث›، وعرب عن اللاتينية كتاب فلسفة أرسطو، و‹المختصر في الإلهيات› لمار توما الاكويني في أربعة مجلدات، وترجم، من الإيطالية إلى السريانية، كتاب ‹الإقتداء بالمسيح› طبع في رومية عام [1857 م][77].

ومن الكهنة الذين اشتهروا إذ ذاك بالعلم والفضيلة، القس خدر الموصلي الكلداني [المتوفى سنة 1755 م] كان في زمانه من أئمة الأدب، شديد الشكيمة، جم الفضائل، يحسن اللغة الآرامية والعربية والتركية والإيطالية، هرب إلى رومة سنة [1725 م] خوفًا من البطريرك النسطوري، ومات هناك. وقد ألف كتبًا شتى، فصيحة العبارة محكمة السبك، منها معجم كلداني-تركي اسماه ‹معدن الكنوز لكشف الرموز›، في أربعة مجلدات ضخمة، واسعة التبويب، غزيرة المادة، بلغت الكلمات المشروحة من الكلدانية إلى التركية نحو (1340) كلمة، ومعجم كلداني-عربي صنفه في عاصمة إيطالية سنة [1737 م]، وخطب ومراث عربية تتلى على الموتى، وقد تحدى في أسلوبها إيليا الحديثي المعروف بأبي حليم، ورحلته من الموصل إلى رومة، هذا عدا قصائده العربية والكلدانية في مدح العذراء مريم والكنيسة الكاثوليكية، وهي حسنة الوشي بليغة المعنى. وقد عرب كتاب ‹مدخل العبادة› للقديس فرنسيس دي سايس، ونقل إلى الكلدانية كتاب ‹التعليم المسيحي› لبلومنيوس، وكتاب ‹الاقتداء بالمسيح›[78].

وممن ظهر في تلك الآونة آدم العقراوي الكلداني [المتوفى سنة 1622 م]، كان رئيس دير الربان هرمزد، ومن الأدباء المعروفين في أيامه، وقد أقبل

الطلاب عليه يقتبسون منه العلم والأدب، وسطر مصنفات ورسائل بالكلدانية، فاق بها معاصريه. وبلغ الغاية في براعة الإنشاء، ونظم قصائد رائعة الأسلوب بليغة اللهجة، ولاسيما قصيدته المشهورة التي يثني بها على الربان هرمزد، وقد أدخل في كل بيت منها ست قواف متحديًا وزن الشاعر نرسي. ومن أجود مؤلفاته كتابه ‹التعاليم والحقائق الكلدانية›، ضمنه ثلاث مقالات: حبّر الأولى منها في الموصل، سنة [1610 م] إجابة لرغبة البطريرك إيليا السادس [المتوفى سنة 1617 م]، ووضع الثانية والثالثة في رومة في غضون عام [1612–1613 م]، ونقل هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية، وهو من الأسفار التي تنطق ببعد غور مؤلفه في الأدب الآرامية، وتضلعه من العلوم الدينية، هذا فضلاً على محاسنه الإنشائية وإحكام فنونه الكتابية[79]. ونبغ في ذلك الحين إسرائيل وكيوركيس الإلقوشيان الكلدانيان. عاش إسرائيل في القرن السابع عشر الميلادي، ونشأ في قريته وأخذ الأدب عن علمائها، فأصبح راسخ القدم في اللغة الكلدانية، خبيرًا بفنون الشعر، وكان حسن المحاضرة، وافر الذكاء، وقد أكثر في نظمه استعمال القافية اقتداء بالشعر العربي، كما أنه قصد القصائد في الآرامية العامية أي: السورث، ومعظم قريضه في الدين والرثاء والتوبة[80]. وأما كيوركيس [المتوفى سنة 1700 م] فكان شاعرًا مجيدًا، وقد أدخل في شعره الآرامي أساليب الشعر العربي، ومن أنفس نظمه قصيدته التاريخية في أسفار مار توما رسول الهند[81].

واشتهر في مطاوي القرن التاسع عشر الميلادي، القس الكلداني يوسف العينكاوي [المتوفى سنة 1732 م]، ولد في راوندوز وقدم مع أبيه إبراهيم إلى قرية عينكاوة، وسكن فيها، ثم أقيم كاهنًا عام [1790 م] وأرسل إلى كركوك ومن هناك إلى دار السلام. وقد نظم بالتركية قصائد عديدة ومراثي كثيرة للأموات، وصنف معجمًا بالآرامية الفصحى والعامية الدارجة، ونحوًا آراميًا، وترجم من العربية إلى الآرامية كتاب ‹ياقوت الكهنة›، و‹ميزان

الزمان›، و‹التأملات في آلام المسيح›، ونقل من الآرامية إلى التركية كتاب ‹ياقوت الكهنة›، وكتاب ‹شرح الأسرار› للبطريرك الكلداني يوسف الثاني [المتوفى سنة 1712 م]، والأناجيل الأربعة[82].

ومنهم المطران السرياني إقليميس يوسف داود [المتوفى سنة 1890 م]، ولد في عمادية عام [1829 م] وبعد بلوغه الخامسة، عاد به أبوه إلى الموصل مسقط رأسه، ودرس في المدارس الابتدائية ثم أرسل إلى مدرسة غزير للآباء اليسوعيين في بيروت، وأتم دروسه في روما، وحاز شهادة الملفنة في الفلسفة، ونال أربع جوائز فضية مع نوط ذهبي، لتفوقه على أقرانه في علم اللاهوت. وفي سنة [1755 م] رجع كاهنًا إلى الموصل، ووضع مصنفات فريدة في بابها، منقطعة النظير في إنجازها وأسبابها، فهو أول من زود البلاد العراقية بكتب مهذبة على الطريقة المدرسية، في الصرف والنحو والعروض والخطابة والتأريخ والجغرافية والحساب وسائر فنون الأدب. وعام [1878 م] سُقِّف على مدينة دمشق، وجدَّ في إنشاء المعاهد، ولاسيما في القرى، وأقام مكتبة يضن الزمان بمثلها لما حوته الأسفار الخطية الشرقية. أما مؤلفاته وما نقح وجمع وترجم، فجاوزت الثمانين مجلدًا، وقد طبع منها زهاء الأربعين، ومن أنفسها: 1) ‹النصارى في حل ثلاث مسائل تاريخية تتعلق ببلاد الشام وما يجاورها›، 2) ‹اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية، 3) ‹نحو اللغة السريانية› (باللاتينية)، 4) ‹مختصر تاريخ السريان› [بالفرنسية]، 5) ‹تقليد البيعة السريانية في رئاسة الرسول بطرس وخلفائه› (باللاتينية)، 6) ‹تعلم البيعة السريانية في انبثاق الروح القدس› (بالسريانية)، 7) ‹لغة أهل دمشق العربية في أيامنا› (بالفرنسية)، 8) مقالات شتى طقسية وتهذيبية (باللاتينية والإيطالية). ومن مصنفاته غير المطبوعة: 1) ‹مختصر تاريخ الطائفة السريانية الكاثوليكية›، 2) مجموعة خطب ومواعظ، 3) ‹التوطئة إلى الاحتجاج والتبرئة›، 4) علم الهندسة، 5) علم الجبر[83].

ومنهم البطريرك الكلداني جرجيس عبد يشوع خياط [المتوفى سنة 1899 م] ولد في الموصل عام [1828 م]، وشغف بالعلم من صغره. ولما توسم فيه رؤساؤه آيات الذكاء والفطنة، أرسلوه إلى رومة ليتلقى فيها العلوم الدينية والمدنية، فنبه فيها واستوعب دقائقها، ثم رجع إلى وطنه، وحسر عن ساعد الجد، وأقبل يدرس ويهذب ويعلم ويؤلف الكتب المدرسية اللغوية والعلمية. ثم انتخب سنة [1860 م] مطرانًا على عمادية فديار بكر، وسعى لتثقيف الشعب مذللاً الصعاب، ممهدًا العقبات، فنال من الجميع المكانة العالية، وغب عشرين سنة قضاها بالأعمال المبرورة. رقي إلى بطريركية الطائفة الكلدانية، فقام بأعباء رعيته خير قيام، وسلك بها مسلك الجد والثبات، وعام [1897 م] وافى بغداد واحتفل بتدشين بيعة الكلدان.

كان مار جرجيس عبد يشوع عالمًا فاضلاً وكاتبًا نحريرًا، وخطيبًا مصقعًا درب اللسان يقرع الأذان بخطابه، وهو يتقن من اللغات الغربية اللاتينية واليونانية والإيطالية والفرنسية، ومن اللغات الشرقية العربية والآرامية والتركية والعبرية. وكان في أكثر هذه اللغات كاتبًا بارعًا، ولاسيما في اللغة العربية، فقد وضع فيها مؤلفات نفسية، مهذبة اللفظ، أنيقة الوشي، ونظم قصائد بديعة صحيحة الديباجة، متناسقة الفقر، هذا فضلاً على تفقهه في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني. وما عدا مصنفاته المدرسية، فقد حبَّر فصولاً مهمة في تاريخ المشارقة الكلدان، وطبع في مطبعة الأدباء الدومنيكيين في الموصل، كتابه «الفصول الإنسية في التواريخ القدسية» عرَّبه عن تاريخ بيلز (Bileze)، وعلق عليه المقدمات، وذيله بالحواشي، ووشاه بدرر الفوائد. إلا أن أثمن كتبه سفره الموسوم ب«السريان المشارقة والأحبار الأعاظم»، وقد وضعه باللغة اللاتينية، فأيد فيه عصمة الحبر الروماني، من صلوات وآثار وأقوال آباء الكنيسة الشرقية، وطبعه في رومة سنة [1870 م][84].

وعرف في تلك الآونة، نعوم فتح الله سحار الكلداني [المتوفى سنة 1900 م]. ولد في الحدباء وتلقى علومه في مدرسة الدومنيكيين، وما زال يجد ويكد حتى رسخت قدمه في فنون اللغة العربية والتركية والفرنسية. ولما أتم دروسه انتدبته المدرسة المذكورة للتدريس، فزاده هذا المسلك تفوقًا وتوسعًا في المعارف، وفي الوقت نفسه أحبه رؤساؤه، فولوه رئاسة الإشراف على التعليم، وعهدوا إليه مراقبة أعمال الطباعة، وأسندوا إليه الوكالة العامة عن أشغالهم لدى الحكومة العثمانية، فقام بواجباته كلها أحسن قيام. أما مؤلفاته فعديدة، حبرها باللغة العربية والتركية، تنطق بتضلعه من هتين اللغتين، وصاغ قصائد دقيقة النظم، جزلة العبارة، ومن مصنفاته: ‹رواية لطيف وخوشابة› وكتاب ‹أحسن الأساليب لإنشاء الصكوك والمكاتيب›، ومن كتابه التركية: ‹التحفة السنية لطلاب اللغة التركية›، وكتاب ‹المكالمات› (بالتركية والعربية) وقد طبعت هذه الأسفار في الموصل[85].

ومنهم هرمز بن أنطون رسام الكلداني [المتوفى سنة 1900 م] ولد في الموصل عام [1826 م]. ولما بلغ أشده أرسله أهله إلى لندن ليتلقى العلوم، وطبق بجد في درس الآثار القديمة حتى أصبح من أئمة زمانه في معرفة التاريخ القديم، فرافق الأثري المشهور السير أستن لايارد، للوقوف على الآثار للوقوف على الآثار العراقية. وفي سنة [1847 م] عاد إلى إنغلترة ليتضلع من معارفه في جامعة أكسفورد، وبعد سنتين رجع ليكون بصحبة السير لايارد، فاستقصى الآثار وعثر على قصر آشور بانيبال في نينوى[86]. وفي عام [1861 م] انتدب إلى عدن ليحسم النزاع القائم يوم ذاك بين إمام مسقط وأخيه سلطان زنجبار، فكان النجاح حليفه. وفي سنة [1864 م] توجه إلى تيودور عاهل الحبشة، لينقذ الأجانب الذين كان قد زجهم في السجن، وبعد مشاق جمة استطاع أن يطلق سراحهم، ثم اصطفاه المتحف البريطاني ليقوم بإدارة الحفريات في عواصم أشور وبابل وإرمينية، فنجح في أعماله. ومن أنفس مصنفاته: 1] ‹آشور وأرض نمرود›، 2] ‹الأراضي الكتابية›، 3] ‹جنة عدن›[87].

وظهر في تلك الأثناء المطران توما أودو الكلداني [المتوفى سنة 1915 م]. ولد في القوش عام [1855 م]، ومال من حداثته إلى الأدب، فبعث إلى عاصمة إيطالية وتضلع هناك من كل علم. ثم عاد إلى الموصل وقام بخدمة طائفته، فأرسله رؤساؤه إلى حلب وتولى شؤون كنيستها بجد وإخلاص، فانتخب أسقفًا على أورمية، وقتل أيام الفتن التي ثارت في بلاد العجم، مع عدد من أبناء رعيته. كان من الآباء الذين يشهد لهم بالتقدم والنباهة، في فنون الكتابة الآرامية، فقد صنف سفرًا في الفقه الكنسي طبعه في الموصل، وهو ينطق بطول باعه في هذا العلم، ورسوخ قدمه في الفلسفة، يؤيد قوله بالبرهان والحجة الملزمة، وحبر كتابًا في اللاهوت في جزئين، ووضع معجمًا اسماه ‹كنز اللغة الآرامية› طبعه في الموصل سنة [1897 م]، وقد جمع في صفحاته شتات هذه اللغة، وضمنه فصولاً مستوعبة لشواردها، عدا ما أودعه من الفوائد الإنشائية الجمة[88].

ومنهم المطران الكلداني أدي شير [المتوفى سنة 1915 م]. ولد في شقلاوة سنة [1768 م]، وتلقى علومه في مدرسة القديس يوحنا الحبيب الكهنوتية للآباء الدومنيكيين في الموصل، وقد أنهى دراسته بتفوق على سائر أقرانه، فأقيم كاهنًا عام [1899 م]، وأرسل إلى كركوك. ثم سُقِّف سنة [1902 م] على سعرد، وأبدى نشاطًا لا نظير له في خدمة شعبه وبجده. ادخر في حقيبة قلبه عدة لغات شرقية فغربية، ونبغ في علوم فنقلية حتى أصبح من العلماء المعدودين. خدم اللغة الكلدانية خدمات عظيمة، فوضع كتبًا لقراءة الأحداث على الأساليب العصرية منها ‹القطافة› وهو سفر أدبي جمع بين دفتيه ما جادت به قرائح أدباء هذه اللغة، وألف كتاب صلوات ضمنه أخص عواطف الدين وأسمى حقائق الإيمان، مع تأملات يومية، ثم حبر كتاب ‹إكليل مريم›، فأودعه مدائح البتول العذراء لكتبة النساطرة. أما خدماته للغة العربية فأعظم بها، فقد عرب كتاب ‹شهداء المشرق› في مجلدين ضخمين

وذيلهما بفوائد تاريخية جزيلة النفع، وطبعهما في الموصل سنة [1900 م]، ووضع بحثًا كافيًا وافيًا عن مدرسة نصيبين، وعمن قاد دفة رئاستها، طبعه في بيروت عام [1905 م]، وألف كتابه في الألفاظ الفارسية العربية، وطبعه في بيروت سنة [1908 م]، ونشر جدول الكتب الكلدانية القديمة المحفوظة في الشرق، وحبر أخيرًا كتابه ‹تاريخ كلدو وأثور› في ثلاثة أجزاء، طبع منها جزئين في بيروت [1912/ 1913 م] وأما الجزء الثالث فحالت دون طبعه الحرب العالمية الأولى. وقد بحث في الجزء الأول عن الدولتين الآشورية والكلدانية، وعن الممالك التي ظهرت على مسرح التاريخ البشرى الشرقي بعد الإسكندر المقدوني، وتبتدأ أبحاث الجزء الثاني بعهد انتشار الديانة المسيحية في بلاد مابين النهرين، وتنتهي بأخبار البطريرك يشوعياب الثاني [المتوفى سنة 645 م].

هذا وأدرج مقالات تاريخية في المجلات الغربية، أقبل العلماء المستشرقون على مطالعتها أي إقبال، حتى أحرز استحسان جميعهم، فمنح وسامًا وخول رتبة في جمعيتهم. وقد وصف مخطوطات متحف بيروجية السريانية في رومة، وكتب مقالات في المجلة الأسبوعية الفرنسية، عن علماء الكلدان، ونشر تاريخًا قديمًا عربيًا للكنيسة، وضعه أحد أدباء النساطرة، وعلق عليه الشروح الوافية. ثم أقام مكتبة عامرة في مدينة سعرد جمع فيها نفائس الكتب القديمة والحديثة، غير أنها نهبت في الحرب العالمية الأولى، كما أنه قتل في أثنائها مع جماعة من أبناء طائفته[89].

ومعهم الأب شموئيل جميل [المتوفى سنة 1917 م] ولد في قرية تلكيف عام [1847 م]، ومنذ صباه أولع باقتباس العلم، فانضوى إلى الحياة النسكية في دير الربان هرمزد وأقبل على الدرس والمطالعة، وكان على جانب عظيم من الذكاء والفطنة. فأرسل إلى رومة عام [1896 م] وقضى هناك عشر سنوات تضلع في مطاويها من العلوم العقلية واللسانية، ونال القدح المعلى في الفلسفة

واللاهوت، ثم رجع كاهنًا إلى بلاده، وطفق يدرس ويثقف ويؤلف ويفيد الذين يقصدونه.، فأصبح المثل الصالح لتلاميذه، يتحدون أسلوبه في الإنشاء الكلداني، ويأخذون نفوسهم بالطبع على غراره، في دماثة الأخلاق، وعلو الهمة، ونزاهة النفس، فانتخب ثلاث مرات رئيسًا عامًا للديرة الكلدانية، وأرسل زائرًا بطريركيًا إلى الجبال الهيكارية، ونائبًا بطريركيًا في رومة. وقد تولى في أثناء هذه المدة شؤون أعماله بما لا يزيد عليه من الحنكة والإخلاص وصدق الخدمة والتفاني، إذ وسع أبنية الديرة وابتاع لها الأراضي الواسعة، ووقف لها أوقافًا لا ينضب معينها، وفي الوقت نفسه سعى لخير طائفته واهتم بمصالح رهبانه الروحية والأدبية وهو لا يمل من التأليف والتصنيف.

كان الأب شموئيل راهبًا بارًا، غزير العلم، جم المزايا، قوي الحجة، رحب الصدر، متبحرًا في اللغة الآرامية، مستوعبًا أسرار دخائلها، متفننًا في أساليبها الكلامية، جامعًا في نثره ونظمه بين المتانة والرقة. ومؤلفاته بها وبغيرها من اللغات كثيرة، يبلغ عددها عشرين مؤلفًا، ماعدا الرسائل العديدة المفيدة المحفوظة في مكتبة دير السيدة، فمن مصنفاته المطبوعة: 1] ‹كتاب الدفاع› يشمل على نضال الآباء المشارقة عن إيمانه بين يدي كسرى بن هرمزد ملك الفرس سنة [612 م]، 2] ‹المذهب اليزيدي› ترجمه من الكلدانية إلى الإيطالية، 3] ‹علاقات الكلدان والكرسي الرسولي› وضعه باللغة اللاتينية. ومن أهم كتبه الخطية التي لا تزال نسخها في مكتبة الدير المذكور: 1] ‹كتاب جامع المؤلفين› يتضمن تراجم علماء الآرامية الذين وردت أسماؤهم في جدول عبد يشوع الصوباوي، 2] ‹تاريخ انتشار المذهب النسطوري في الشرق›، 3] كتاب ‹المعادن اللاهوتية›، 4] كتاب ‹قواعد اللغة الآرامية›، 5] كتاب ‹الرحلة إلى الجبال الهيكارية›، وهي الرحلة الشاقة التي قام بها، واستغرقت حولاً كاملاً، وقد وصف قممها وأوديتها ومواقعها وطبائع قاطنيها، بعبارات مصقولة رائقة الديباجة[90].

هؤلاء وغيرهم ممن يطول استقراؤهم، كانوا زعماء الأدب في القرن التاسع عشر، رفعوا منار العلوم، وعززوا جانب المعارف، وفي الوقت نفسه خدموا اللغات خدمات جليلة، بمؤلفاتهم النفسية ورسائلهم الرائعة.

وهناك جمهور من الأدباء طبعوا الكتب القديمة، ونشروا فوائدها بين الناس، وآخرون نظموا القصائد الدينية، ووضعوا القصص الأدبية باللغة الآرامية والعربية العامتين، أمثال إسكندر الزغبي المعروف بإسكندر الحلبي، المشهور بإسكندر الأعمى، وتوما تكتك التلكيفي (أواسط القرن التاسع عشر الميلادي) وداود كورا، أي: الأعمى، من قرية مار يعقوب القريبة من دهوك، والقس دميانوس كونديز الراهب الألقوشي [المتوفى سنة 1855 م] وغيرهم، فإن منظوماتهم الشعرية، لجديرة بالنشر لبلاغتها وجودة معانيها ودقة ألفاظها.

9] نصارى العراق في عهد الحكم الوطني

9/ 1] الاحتلال البريطاني 9/ 2] بعد الجهود 9/ 3] أشهر الأدباء والمؤلفين

9/ 1] الاحتلال البريطاني

بقيت الأقطار العراقية في حكم العثمانيين زهاء [384] سنة، وكانت في مطاوي أغلب هذه السنين ميدانًا لاضطرابات داخلية فخارجية، لأنهم لم يفكروا في توحيد رغبات الشعب، ولا في وسائل تهذيبه، بل سعوا لتمزيق شمله، وجدوا في تضعيف القومية العربية، ولاسيما عندما أقاموا (جمعية الاتحاد والترقي). ولما وقف العرب على نوايا الحكومة العثمانية، عقدوا الخناصر على صيانة حقوقهم فهبوا مطالبين استقلالهم القومي، ثم سافر عدد لا يستهان به شباب الحجاز والشام والعراق إلى الغرب، فوجدوا هناك من يشد أزرهم. ثم أخذت هذه الفكرة سنة [1913/ 1914 م] تنمو وتنتشر في أرجاء البلاد العربية، حتى عقدوا مؤتمرًا في باريس عاصمة فرنسة، وألفوا جمعيات متعددة، منها (جمعية العهد العراقي). وبينما كانت هذه الجمعيات

تطالب باستقلال العرب في المجالس والمجتمعات والنوادي، يعضدها رجال الصحافة والسياسة، تأججت نيران الحرب العالمية الأولى عام [1914 م] فاندلعت ألسنتها على تركية، وطفقت الدولة العثمانية تحارب بين صفوف ألمانية وحليفاتها، تريد أن تعيد مجدها الغابر.، فأقرت إنغلترة أن تهاجمها في الشرق الأدنى ومن ضمنه العراق، فاستولت على البصرة في [1914/11/19 م]، ثم احتلت القرية. وما زالت الحرب سجالاً حتى دخلت دار السلام ليلة [11/ 1917/03 م]، ففرح الأهلون ولهجت الجرائد المحلية بهذه الأفراح، ولاسيما حينما أعلن الجنرال مود، فاتح بغداد، بأن البريطانيين لم يأتوا هذه البلاد فاتحين، بل وافوها ليحرروها من نير الحكم العثماني.

2/9] بعد الجهود

بقيت الإدارة في العراق بيد السلطات العسكرية البريطانية، وقد قامت بإصلاحات عمرانية، فمدت السكك الحديدية في القسم الجنوبي من العراق، وأصلحت الشؤون الصحية، ونشطت الزراعة وفتحت المدارس... وفي [1918/11/07 م] أصدرت إنغلترة وفرنسة تصريحهما المشترك بتأسيس حكومات وطنية، تستمد سلطاتها من إرادة شعوبها. فتسلم العراق بعد ثورته إدارة حكومته الوطنية في [1921/08/23 م] يوم تتوج الأمير فيصل ملكًا عليه، ونال استقلاله في [1932/10/03 م]، يوم دخوله عصبة الأمم.

لم يقع في عهد الاحتلال البريطاني ولا في عهد الحكم الوطني ما يعكر صفاء الوحدة العراقية. فقد عاش نصارى وادي الرافدين بين مواطنيهم، على اختلاف أديانهم، وتباين مذاهبهم، مسالمين متحدين ولم يتخلفوا عن مباراتهم، في سائر الأمور المادية والمعنوية، بل كانوا ولا يزالون يخدمون الوطن، ويرفعون منار المعارف، ويمهدون وسائل التهذيب.

إن نصارى العراق مبثوثون في أنحائه، ويزيد عددهم اليوم على مئة وعشرين ألف مسيحي، وهم يتمتعون بحرية تامة في عقائدهم وعباداتهم، يظللهم الإخاء الوطني الذي حافظوا عليه في كل مكان وفي كل زمان.

إن نصارى العراق وأهله متحدون، ليبنوا مستقبلهم على أساس قومي بحت، ويساهموا في النهضة العربية، التي لاحت تباشيرها من طوروس إلى خليج البصرة، وأنهم كأقلية ذاقت الأمرين في السابق، تتوق أن تعمل في الشرق المحرر إلى جانب سكانه.

لقد ناضل نصارى بلادنا عن الحكم الوطني، وساندوا النهضة العربية، ونادوا برأيهم على رؤوس الإشهاد، فإذا هو رأي لا يشوبه طابع إقليمي أو طائفي.

وكفاهم فخرًا يوم تضافر نصارى الموصل وقراها، في سبيل تعزيز العراق؛ قال بطريرك الكلدان يوسف السابع غنيمة في منشوره البطريركي: إننا جميعنا أبناء وطن واحد، وكلنا تجمعنا غاية واحدة: هي رفع شأن هذا الوطن وإسعاده، إذ يعمل كل منا في دائرته، وبحسب وسائطه، على تحقيق هذا الهدف السامي. يقضي علينا إذا واجبنا المسيحي والوطني معًا، أن نكون ومواطنينا قاطبة قلبًا واحدًا، متحاشين عوامل التفرقة والتباعد، فنسير وإياهم يدًا بيد، خاضعين لقوانين البلاد، ومهتدين بإرشاد حكومتنا الرشيدة، ومتخذين الإخلاص والنزاهة، رائدًا لنا في حياتنا الشخصية، وفي علاقاتنا الاجتماعية على مر الأيام[1].

9/ 3] أشهر الأدباء والمؤلفين

من أشهر الأدباء والمؤلفين الذين عرفوا في الآونة الأخيرة، المطران الكلداني إيرميا طيمثاوس مقدسي [المتوفى سنة 1929 م]. ولد في قرية القوش

سنة [1847 م]، وترهب في دير الربان هرمزد عام [1864 م]، وبعدما تلقى فيه مبادئ العلوم، أرسله رؤساؤه إلى رومة، وبجده برع في كل نوع من المعارف، ونال درجة الملفنة في الفلسفة وعلم الفقه الكنسي، ثم رجع وهو كاهن إلى ديره سنة [1879 م]، وطفق يدرس رهبانه اللاهوت النظري والأدبي والمنطق. وفي عام [1892 م] سُقّف على زاخو وتوابعها، ووضع باللغة الكلدانية عدة خطب، وحبَّر سفرًا جليلاً في المنطق، وألف غيره في اللاهوت الأدبي، وقد نشر فصولاً منه، وطبع كتابه في قواعد اللغة الكلدانية في مطيعة الدومنيكيين في الموصل، ونظم قصائد في الدين والأخلاق والتاريخ، تشهد له بعلو المنزلة العلمية والبراعة الفائقة في الكتابة[2].

ومنهم المطران الكلداني بطرس عزيز [المتوفى سنة 1937 م]، نشأ في الحدباء ودرس في مدرسة الآباء الدومنيكيين، ثم أرسل إلى رومة، ونبغ الدروس اللاهوتية والفلسفية، وفي عدة لغات شرقية فغربية، ثم عاد كاهنًا إلى وطنه وتفانى في سبيل خير شعبه، فأقيم عام [1910 م] مطرانًا على سلماس الإيرانية، وانتدب إلى رومة، وخطب هناك خطبًا علمية تاريخية باللغة الإيطالية واللاتينية، نالت إعجاب واستحسان سامعيه. وفي سنة [1929 م] انتخب رئيسًا لأساقفة زاخو، ووضع عدة رسائل باللغة الآرامية، بيد أن أكثر مؤلفاته باللغة العربية، منها كتاب ‹المنطق والفلسفة النظرية والطبيعية›، وكتاب ‹أسرار الكنيسة›، وقد دعم كلامه بشهادات ملافنة الكنيسة الكلدانية، وكتاب ‹تقاليد النساطرة واليعاقبة في رئاسة الأحبار›، ونشر تقويمًا قديمًا للكنيسة النسطورية، علق عليه الحواشي الثمينة، وصدّره بمقدمة باللغة العربية والفرنسية، وحبّر مقالات كثيرة وفصولاً تاريخية وأدبية وفلسفية، صافية الأذيال في مجلة المشرق البيروتية، وغيرها من المجلات تؤيد تضلعهم كل علم وفن[3].

ومنهم البطريرك السرياني أغناطيوس أفرام الثاني [توفي سنة 1939 م]. ولد في الموصل عام [1849 م]، وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة الآباء

الدومنيكيين وفي سنة [1863 م] أرسل إلى مدرسة انتشار الإيمان في رومة، وفاز بشهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت. وفي سنة [1898 م] نودي به بطريركًا، فكان من أكابر علماء عصره، غزير المادة، واسع العلم، وافر الذكاء، يحسن أكثر من اثنتي عشرة لغة شرقية وغربية، وقد برع في علوم الطقوس الكنسية، ونال فيها القدح المعلى.

أما مصنفاته وما ترجم ونقح من الكتب، فجاوزت الثلاثين أغلبها في الدين والفقه الكنسي والتاريخ، ومن أشهر أسفاره العربية: 1) ‹مختصر التواريخ المقدسة›، 2) ‹التواريخ القديمة›، 3) ‹تاريخ القرون الوسطى›، 4) ‹الطقوس البيعية›، 5) ‹سير القديسين›. ومن كتبه غير العربية: 1) معجم سرياني يحتوي على الألفاظ التي أهمل ذكرها في المعاجم الكبيرة، ثم شرحها باللاتينية، 2) كتاب ‹عهد ربنا› (بالسريانية واللاتينية)، 3) نبذ ومقالات من مؤلفات كتبة السريان القدماء (بالسريانية واللاتينية)، 4) ‹قصائد مار أفرام› (بالسريانية واللاتينية)، 5) مناشير بطريركية (بالعربية والفرنسية)، هذا فضلاً على جمع ونشر من الكتب القديمة، وما سطر من المؤلفات التي تطبع حتى الآن[4].

ومنهم الأب أنستاس ماري الكرملي [المتوفى سنة 1947 م] ترعرع في دار السلام وانخرط في سلك تلاميذ مدرسة الآباء الكرمليين، وفي سنة [1886 م] عين مدرسًا في صفوفها وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، ثم رحل إلى شفرمون في بلجيكة، وأتم دراسة اللاهوت في مونبليه في فرنسة. وفي سنة [1894 م] رقي إلى درجة الكهنوت، وفي خلال الحرب العالمية الأولى نفاه العثمانيون إلى الأنضول، وفي سنة [1920 م] انتخب لعضوية المجمع العربي في دمشق.

وفي عام [1932 م] اختاره مجمع فؤاد الأول للغة الغربية في مصر ليكون عضوًا فيه، وقد منحته الحكومة الإنكليزية وسامًا ولقب النبيل (MBE)، كما منحته الحكومة الفرنسية وسام أوفيسيه دكادمي. كتب العلامة الكرملي في

أكبر المجلات العربية مقالات تنبئ عن تضلعه من لغة العرب، ووقوفه على فنون الكتابة، هذا فضلاً على سعة إطلاعه وعلو كعبه في اشتقاقاتها، وقد أصدر مجلة (لغة العرب)، فكانت في مقدمة المجلات الراقية، التي تعنى بالشؤون العلمية واللغوية، وكتب في صفحاتها نخبة من الكتاب والأدباء والباحثين في الشرق والغرب. أما مؤلفاته فكنز لا يثمن، ومعين لا ينضب، ومن أنفس كتبه المطبوعة: ‹نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها›، و‹نخب الذخائر في أحوال الجواهر›، و‹أغلاط اللغويين الأقدمين›، و‹أديان العرب›، و‹النقود العربية وعلم النميات›، و‹تذكرة الشعراء›، و‹جمهرة اللغات›، و‹مختصر تاريخ العراق› . . ومن كتبه غير المطبوعة، ‹المعجم المساعد› بخمسة مجلدات كبيرة، و‹شعراء بغداد وكتابها›، و‹الغرائب›، و‹الرغائب›، و‹العرب قبل الإسلام›، و‹السحائب›، و‹المجموعة الذهبية›، و‹معجم عربي-فرنسي مطول› . .[5].

هؤلاء وغيرهم كانوا من زعماء النهضة الأدبية العراقية، وقفوا حياتهم لتثقيف الشعب وخدموه خدمات جليلة بمصنفاتهم الغالية، ورسائلهم البليغة، أمثال الأساتذة داود صليوا، وفرنسيس أوغسطين جبران ورزوق عيسى والدكتور سليمان بك غزالة . . .

وهناك طائفة من الأدباء المسيحيين العراقيين الأحياء، يتقنون عدة لغات شرقية فغربية، ولا يزالون يشيدون صروح الآداب، وينشرون ألوية التهذيب في ربوع بلادنا المحبوبة. فكتبهم المطبوعة ومقالاتهم العديدة في المجلات العلمية والأدبية، وتفانيهم في سبيل المشاريع الوطنية، تنطق ببعد غورهم في المعارف وصدق إخلاصهم للبلاد، مد الله في أيامهم ومتعنا بنفثات أقلامهم.

ملاحق*

المسيحيون في العراق (1940-2006 م)*

من نافل القول إن المسيحيين حيثما وجدوا كان شعورهم الوطني ينبض بالحيوية. فتراهم في مقدمة الساعين نحو النهضة وازدهار البلد من مختلف النواحي، وبخاصة الثقافية منها والأدبية والعلمية. ويشهد بهذا تاريخهم العريق. غير أن الظروف التي سبقت عهد الحكم الوطني في العراق خاصة، لم تكن مشجعة وملائمة للعطاء المطلوب. ولدى تأسيس الحكم الوطني العراقي، شارك نخبة صالحة من الشخصيات المسيحية في تهيئة المقومات الضرورية للحكم الجديد، مثل يونان فرنكول ويوسف غنيمة وسواهما. فقد كافح هؤلاء جنبًا إلى جنب مع أخوتهم المسلمين في سبيل تعزيز الحكم الوطني وتثبيته.

وما يهمنا في هذه العجالة، هو الحالة التي كان عليها المسيحيون في العراق في الأربعينيات والخمسينيات خلال الحكم الوطني الملكي وما بعده. وقد كان للعسكريين المسيحيين العراقيين ضباطًا وضباط صف وأفراد دور مشّرف في الذود عن حياض الوطن العربي ولا سيما عام [1948 م]. إذ تواجد يومذاك عدد غير يسير من كبار الضباط العراقيين من مختلف الرتب العسكرية من رتبة عميد فما فوق.

* بقلم: المطران غريغوريوس صليبا شمعون، مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس.

لقد حرص المسيحيون على الوحدة الوطنية وعملوا ما استطاعوا إليه سبيلاً من جهد لدعمها وتثبيتها، إذ كانوا يتمتعون بحقوقهم كاملة و لم يكن ما يعكر صفو حياتهم، بل عاشوا مع مواطنيهم الآخرين على أفضل وجه مشاركين إياهم الحياة سراءها وضراءها. ومن مؤشرات هذا التآخي وهذه الوحدة، مشاركة المسلمين والمسؤولين في الدولة في كل العهود، إخوانهم المسيحيين في شتى المناسبات. وقد درج العراقيون على هذا التقليد المعبر عن روح المحبة والأخوة حتى يومنا هذا. وما زالت هذه الروح الطيبة تأخذ مكانًا لائقًا في نفوس المواطنين ولئن اختلفت بعض الشيء بين عهد وآخر. وتبرز هذه الروح متجسدة في العلاقات الإسلامية – المسيحية حيث تعقد بين حين وآخر ندوات ولقاءات وطنية يشترك فيها جميع المواطنين بروح واحدة، حتى في الشؤون السياسية. كما توجد اليوم مداولات مشتركة ولئن على نطاق ضيق، ولاسيما بعد أن تشكل في محافظة نينوى مجلس أساقفة المحافظة الذي وثق العلاقات الإسلامية–المسيحية، وبخاصة عن طرق البيانات التي يصدرها والتي تبعث في المواطنين روح الوحدة الوطنية بالشكل الذي عرفه العراق عبر تاريخه العريق، لا بل بصورة أكثر عمقًا. وإصدار ونشر بيانات تهنئة للأخوة المسلمين في الأعياد والمناسبات الهامة، ويتلقى التهاني من المسؤولين الدينيين المسلمين مرسلة باسم (مجلس أساقفة نينوى). إلى جانب هذا العلاقات الخاصة بين رؤساء الطوائف المسيحية والعوائل الإسلامية المرموقة، إضافة إلى العلاقات السخصية بين كلا الطرفين.

المسيحيون في إقليم كردستان

أينما وجد المسيحيون فإنهم يدينون بالولاء لبلادهم. ومن المعروف أن أعدادًا كبيرة من المسيحيين يقطنون المنطقة الشمالية من العراق والتي الأغلبية فيها من الأكراد. وفي أعقاب حرب الخليج الأولى [1991 م]، وبمساعدة

قوات متحالفة، سيطر الأكراد على ثلاث محافظات شمالية هم الأغلبية الساحقة فيها ويشكلون فيها نسبة عالية جدًا، هي إربيل وسليمانية ودهوك، تشكل أحد أقاليم العراق، فشكلوا حكومة وبرلمانًا إقليميين. وبمساعي الأمم المتحدة كانت حصة هذا الإقليم تصل إلى الحكومة، إضافة إلى دخلها من رسوم الجمارك للسلع الواردة إلى العراق من الدول المجاورة وغيرها. ومن الطبيعي أن يعتبر المسيحيون أنفسهم أبناء العراق إلى جانب كونهم عراقيين، لكون الإقليم لم ينفصل أو يستقل عن العراق.

في أوائل الستينيات قامت حركة كردية بزعامة الملا مصطفى البرزاني مطالبة بالهوية الكردية وحقوق الأكراد الشرعية، فناهضتها حكومة العهد الجمهوري، فتحولت الحركة إلى شبه حرب أهلية بين الحكومة العراقية والملشيات الكردية، حتى أعطي للأكراد ما يعرف بالحكم الذاتي ووضع له نظام خاص، لكن هذا لم يشبع طموحهم. وبقي الأمر كذلك حتى قامت حرب الخليج الأولى [1991 م]، فحصل للأكراد ما سعوا من أجله وتحققت أمنيتهم بإقليمية منطقتهم. وبعد احتلال الولايات المتحدة للعراق في [03/09/ 2003 م] دخلت لفظة الفدرالية في نصوص قانون إدارة الدولة.

خلال الحرب الأهلية القائمة في الشمال، هُجّر معظم المسيحيين من قراهم في إقليم كردستان فتشتتوا هنا وهناك في المدن العراقية وضواحيها ولا سيما في بغداد والموصل، والباقون منهم ظلوا على ولائهم للسلطة المحلية إضافة إلى كونهم عراقيين، حيث لقوا معاملة حسنة، شعروا أنهم مواطنون لهم شخصيتهم وكرامتهم. ونالوا استحقاقاتهم من واردات الدول العراقية بشكل أو آخر، وقامت الأمم المتحدة وبعض المنظمات الإنسانية بإعادة بناء العديد من القرى المسيحية التي كانت قد دُمرت كليًا. ولا سيما تلك التي عاد إليها أبناؤها بعد هجرهم إياها. وقد ساعدت الحكومة المحلية المسيحيين في تنفيذ العديد من مشاريعهم كإنشاء مدارس وكنائس وأديرة ودور سكن

للأكليروس وما سوى ذلك، فعاشوا آمنين مستقرين في منأى عن الأحداث المأساوية والاضطرابات التي سادت معظم أنحاء العراق الأخرى في أعقاب الاحتلال الأمريكي، إلى درجة الكثيرين من سكنة محافظة نينوى لجأوا إلى إقليم كردستان طلبًا للأمان وباشروا أعمالهم هناك بصورة اعتيادية. كما احتل المسيحيون مناصب رفيعة في حكومة الإقليم إذ لم تخل يومًا من وزير أو أكثر من المسيحيين. وكذلك بالنسبة إلى البرلمان الإقليمي، وغيرها من الوظائف الهامة ذات سلطة كالمحافظين مثلاً. ومن الطبيعي أن ينخرط بعض المسيحيين في صفوف الأحزاب الكردية.

تغييرات في نظام الحكم

لقد ساد نظام الملكية في العراق منذ تأسيس الحكم الوطني فيه، واستمر الأمر كذلك حتى عام [1958 م] حيث طرأ تغيير هام في نظام الحكم القائم يومذاك في العراق، وبالتالي في سياسة الدولة، إذ انتقل الحكم من ملكية إلى جمهورية في أثر ثورة [14 تموز 1958 م] التي أطاحت بالملك فيصل الثاني. وتسلم زمام الحكم يومذاك العقيد عبد الكريم قاسم. وعلى أثر انقلاب عسكري سنة [1963 م] تسلم الحكم عبد السلام عارف ثم شقيقه عبد الرحمن عارف. وفي عام [1967 م] أطاح حزب البعث بعبد الرحمن عارف، وتشكل مجلس قيادة الثورة برئاسة اللواء أحمد حسن البكر، كان أحد أعضائه مسيحيًا (طارق عزيز). وفي عام [1979 م] أزيح البكر ليتسلم مقاليد الرئاسة نائبه صدام حسين.

رغم كل التطورات التي شاهدها العراق في الفترة التي نحن بصددها، ظل المسيحيون محافظين على كيانهم، متشبثين بوطنيتهم، وسارت أمورهم بصورة طبيعية وعلى وتيرة واحدة دون أية متغيرات تذكر عما كانت عليه قبل الأحداث. ولدى تسلم صدام حسين الحكم كرئيس للجمهورية، طرأ بعض

التحسن في الوضع العام المسيحي حيث مُدت يد الاعمار إليهم، فشيد العديد من الكنائس كما أمر الرئيس بترميم أخرى، وبخاصة بعد أن انتعش الاقتصاد العراقي إثر عملية التأميم عام [1971 م].

لقد خاض الجيش العراقي القوي، مع إيران عام [1981 م] حربًا شرسة استغرقت ثماني سنوات، وكان هذا الجيش يضم في صفوفه أفرادًا من جميع أطياف العراقيين من ضباط وأفراد، فامتزجت دماء شهداء العراق من مسلمين ومسيحيين ويزيديين وسواهم مسكوبة على أرض المعركة غير المبررة. ولما وضعت الحرب أوزارها عام [1988 م] ساد الارتياح الشعب العراقي إلا أن هذه الحالة لم تدم سوى ثلاث سنوات حيث اجتاح العراق دولة الكويت [1990 م] وبسببه قامت حرب الخليج الأولى [1991 م] وهزم فيها العراق شر هزيمة. وفي السنين الأخيرة من حكم صدام، طرأ بعض التغيير في سياسة الحكم، الأمر الذي أثر بصورة غير مباشرة في المسيحيين تأثيرًا سلبيًا، فانتعشت عندهم فكرة الهجرة التي لم تكن لتخطر على بالهم سابقًا، فأخذوا يهجرون البلاد زرافات زرافات تاركين فراغًا كبيرًا في صفوف أخوتهم الباقين فأخذ عددهم بالتناقص شيئًا فشيئًا. وما زاد في الطين بلة، الأثر السيء الذي تركه الاحتلال الأمريكي في العراق من قتل ونهب وخوف نظرًا إلى الفراغ الأمني الذي ساد البلاد ولا يزال حتى يومنا باستثناء إقليم كردستان.

قرارات وقوانين تصدر لأول مرة

من القرارات التي صدرت في العراق لأول مرة عبر تاريخه الحديث، قرار تأميم النفط، وكان صدام حسين وراء هذا القرار. فغير في حينه مجرى الأحداث إلى الأفضل من الناحية الاقتصادية. فتضاعفت فرص العمل وارتفع مستوى المعيشي وكثرت المشاريع العمرانية وسواها. وفي الوقت نفسه كان

لهذا القرار تداعياته الخطيرة تحمل الشعب العراقي بشرائحه كافة نتائجها الوخيمة ولا سيما من الناحية المعيشية التي تدهورت بسبب الحصار المفروض على العراق من الأمم المتحدة والذي استمر نحو خمسة عشر عامًا، و لم يرفع إلا بعد الاحتلال الأمريكي [2003 م]، وهكذا عانى الشعب العراقي ضيقة اقتصادية خانقة فتوقفت حركة الإنماء والثقافة، فخلقت هذه الأزمة نفورًا في نفوس العراقيين أجمع درجة إنها مهدت الطريق أما تغيير نظام الحكم.

ولأول مرة أيضًا يشهد العراق قوانين هامة كقانون محو الأمية، إذ شكلت مديرية في كل محافظة لهذه الغاية. حتى أن العراق استضاف مؤتمر الإسكندرية الثالث لمحو الأمية، فوضع (استراتيجية محو الأمية من البلاد العربية). وكان حظ المسيحيين من هذا القانون حظ غيرهم.

الاحتلال الأمريكي للعراق وانعكاساته على المسيحيين

لم ترق للأمريكان سياسة العراق القائمة يومذاك في الشرق الأوسط، إضافة إلى مطامعهم الخاصة وطموحاتهم المستقبلية، فلم يكن بد في نظرهم من تغيير تلك السياسة عبر تغيير نظام الحكم، ولم تكن من وسيلة لتحقيق هذا الهدف، أي تغيير النظام سوى العمل العسكري. ولكن الأمر ليس هينًا، فهناك مجلس الأمن يحول دون الاعتداء على أي بلد دون مسوغ قانوني مقنع. ومن هنا شرع الأمريكان بالبحث عن ذرائع تجيز لهم استعمال القوة ضد العراق، فوجدوا أن أقوى ذريعة هي اتهام العراق بمحاولة اقتناء السلاح النووي، فأثاروا ضجة حول هذا الموضوع حتى أحيل إلى مجلس الأمن بقصد استصدار قرار بمعاقبة العراق. فما كان من مجلس الأمن إلا أن يوصي الأمم المتحدة بإرسال لجان تفتيش إلى العراق للتأكد من وجود ما يبرر اتهام الولايات المتحدة ويشجع على استعمال القوة العسكرية ضد العراق. فتكرر إيفاد

اللجان والنتيجة واحدة، عدم العثور على أي دليل واضح يشير إلى نشاط العراق في المضمار النووي. غير أن الولايات المتحدة أصرت على حقيقة ادعائها فطالبت مجلس الأمن فرض عقوبات مشددة على العراق إلى حد الخيار العسكري. وإذ لم تفلح في إصدار قرار مثل هذا بفضل إصرار بعض الدول على استعمال حق الفيتو: قررت مهاجمة العراق منفردة ثم تحالفت معها بعض الدول الأوربية وبخاصة بريطانية التي أرسلت جيشًا كبيرًا إلى جنوب العراق لاحتلال مدينة البصرة التي استقرت فيها القوات البريطانية ولا تزال.

وفي منتصف ليلة [2003/03/09 م] بدأ الهجوم على العراق من شماله إلى جنوبه، فسمع هدير الطائرات التي شرعت بإلقاء حمم صواريخها الضخمة لتدك مواقع مختارة من العراق. وبدأت الحرب. ودارت معارك في أرجاء العراق باستثناء إقليم كردستان الذي استمر فيه الهدوء سائدًا. وفي مدينة الموصل اقتصرت الحرب على القصف الجوي بسبب عدم سماح تركية للجيش الأمريكي باجتياح العراق عبر أراضيها. وبعد معارك طاحنة في الجنوب مدة أسبوعين أو يزيد، أخذت الجيوش المتحالفة بالزحف نحو العاصمة بغداد رغم المقاومة التي كانت تعترضها في الجنوب والوسط. وبعد معركة خجولة لا تذكر دخلت جيوش التحالف بغداد وأعلنت سقوطها، كما أعلنت الولايات المتحدة أن عملها العسكري هذا هو احتلال وليس تحريرًا كما أعلن سابقًا. وفيما انتشرت القوات البريطانية في البصرة وضواحيها، انتشرت القوات الأمريكية والمتحالفة في سائر المدن العراقية الأخرى محكمة سيطرتها على الأماكن الحساسة.

مجلس رئاسة

قبل أن تستقر الأمور بصورة جيدة أعلن عن تشكيل مجلس رئاسة مؤلف من 25 عضوًا روعي فيه الوجه الطائفي، بين أعضاء المجلس مسيحي واحد

هو السيد يونادم كنّا، كما ضم بعض عناصر نسوية. ووضع على عاتقه إدارة شؤون الدولة بصورة مؤقتة، معتمدًا على قانون إدارة الدولة الذي وضع بإشراف السيد بريمر الحاكم المدني في العراق. وأنيطت الرئاسة لشهر واحد لكل عضو وبحسب الأبجدية بالنسبة إلى الاسم. وجل ما أنجزه هو الإعداد لانتخاب الجمعية الوطنية، وقد اختيرت حكومة مؤقتة برئاسة الدكتور أياد علاوي. فيما عين السيد غازي عجيل الياور رئيسًا للدولة. ضمت هذه الحكومة المؤقتة وزيرة مسيحية واحدة هي السيدة بسكال ورده وزيرة المهاجرين والمهجرين.

الجمعية الوطنية

في (2004/12/30 م) تم انتخاب الجمعية الوطنية المؤقتة في ظروف أمنية حرجة، قاطعت الانتخابات الأحزاب الإسلامية السنية، ففازت قائمة الائتلاف الموحد، الشيعي – الكردستاني. فاختير الأستاذ جلال الطالباني رئيس حزب الاتحاد الوطني الكردستاني: رئيسًا للجمهورية، والسيدان غازي الياور وعادل عبد المهدي نائبين للرئيس، كما كلف الدكتور إبراهيم الجعفري رئيس حزب الدعوة الإسلامي الشيعي، رئيسًا للوزراء، فشكل بدوره وزارة انتقالية مهمتها إدارة شؤون الدولة من جهة، والإعداد لانتخاب المجلس النيابي الدائم ولمدة أربع سنوات. كما شكلت لجنة من نحو [90] عضوًا من داخل أعضاء الجمعية الوطنية وخارجها وبينهم عضوان مسيحيان أحدهما يونادم كنّا لصياغة دستور العراق الدائم. وكان بين أعضاء وزارة الجعفري وزيرة مسيحية واحدة هي الآنسة باسمة ميخائيل. وفي [15 تشرين الثاني 2005 م] تم التصويت على الدستور الجديد، ففاز بأغلبية [78%] من أصوات المصوتين. كما عين يوم [15 كانون الأول 2005 م] لانتخاب المجلس النيابي الجديد الدائم والمؤلف من[275] عضوًا. وقد فازت أيضًا قائمة التحالف المذكور.

تداعيات الاحتلال

على وضع العراق الأمني وهجرة المسيحيين: من الأخطاء السياسية الفاضحة التي ارتكبها الاحتلال الأمريكي للعراق: ما يلي:

1] **السماح بفتح مستودعات أسلحة الجيش العراقي وعرضها للنهب والسلب، فسرقت عن بكرة أبيها.**

2] **فتح حدود العراق على مصراعيها أمام الوافدين دون مراقبة أمنية أو جمركية. فدخلت مجاميع كبيرة من العرب بصورة غير شرعية وشكلوا نواة الإرهاب وعاثوا في البلاد فسادًا.**

3] **حل وزارة الدفاع وجميع قوى الأمن والمخابرات، الأمر الذي خلق جوًا ملائمًا ومساعدًا للعمليات الإرهابية التي ما زال الشعب العراقي يعني منها.**

ومن إفرازات الاحتلال ظهور النعرات الطائفية بين مختلف مكونات الشعب العراقي، بين السنة والشيعة، بين العرب والأكراد. وقد انعكس هذا على المسيحيين، إذ رأى بعضهم أن الانتماء المسيحي يجمع مسيحيي العراق مع الممثلين مع اعتبار أنهم مسيحيون، ومن هذا المنطلق الخاطئ، استُهدف المسيحيون بنسبة أكبر، فارتفع عدد من طالهم الإرهاب من المسيحيين الذين قتلوا وسلبوا، والمهددين بالقتل الأمر الذي سارع في هجرهم الوطن صاغرين إلى بلدان الجوار وسواها، وبخاصة من مدينتي بغداد والموصل، غير أن مثل هذا الضغط لم يلحق بالريف المسيحي الذي بقي في منأى عن الإرهاب.

ومن تداعيات الوضع المرعب وغير المستقر، الفتور الذي طال نشاطات المسيحيين الدينية والروحية وتقطعت أعمالهم، شأنهم في هذا شأن غيرهم أيضًا. ومن المآسي التي لحقت بالمسيحيين في هذه الفترة، تفجير العديد من الكنائس في كل من بغداد والموصل ونهب محتويات بعضها، دون معرفة الجهة المسؤولة عن هذا العمل الإجرامي اللاأخلاقي، وقد آثرت هذه الأحداث سلبًا في نفوس المسيحيين أينما تأثير، وغدت من أقوى الدوافع إلى هجرة

الوطن فتقلص عددهم بنسبة كبيرة، ففيما كان عددهم في النصف الأخير من القرن العشرين ينوف عن المليون نسمة، إذا به اليوم لا يزيد عن [600 – 700] ألف نسمة.

لقد أمضى العراقيون، والمسيحيون خاصة عام [2005 م] عامًا حالك الظلام لم يشهد له العراق عبر تاريخه الطويل، فالإرهاب في هذا العام على أشده وبخاصة في بغداد والموصل، حيث ساد الرعب نظرًا للأحداث المأساوية التي تمت خصوصًا في هذا العام، شباب ينحرون نحر النعاج، عوائل مُنعم عليها من الله، فإذا بها صفر اليدين بين ليلة وضحاها وأصبحت بحاجة إلى من يمد لها يد المساعدة ماديًا، لأن الإرهاب سلبها كل أموالها، وقتل بعضًا من أفرادها وكلها باسم الإسلام، والإسلام منهم براء.

المسيحيون في العهد الراهن

في جميع العهود السابقة ولعدة عقود مضت، كان اسم المسيحيون هو السائد وبه تعاملت الدساتير والقوانين العراقية السابقة، كما كانت جميع حقوقهم تعطى بهذا الاسم، حتى المآسي التي تعرضوا لها من ظلم وسواه كانت بسبب هويتهم المسيحية، فللمسيحيين حصة في البرلمانات تتماشى وعددهم، وكذا بالنسبة إلى الوزارات ولئن لم تتجاوز حصتهم وزيرًا واحدًا في معظم الأحيان.

غير أن الأمر قد تغير كليًا بعد زوال العهد السابق وخضوع العراق للاحتلال الأمريكي الذي تحت ظلاله وضع قانون إدارة الدولة التي غاب عنه كلمة «المسيحيون» وحتى الدستور الذي أقرته الجمعية الوطنية، وضع على أساس حزبي، وهنا يكاد يتوارى اسم المسيحيين لاسيما بقيام أحزاب من المسيحيين بحسميات مختلفة فاق عددها العشرة، وهذا يعني تشتيت المسيحيين

بسبب انتماء جماعة لهذا الحزب وأخرى لذلك. ومن المؤسف أن هذه الأحزاب بدلاً ما تجمع كلمتها تحت اسم واحد حفاظًا على حقوق المسيحيين لا بل المطالبة بالمزيد، إذا بالنتائج تأتي عكسية تمامًا. نظرًا لبناء كل شيء على أساس حزبي، استنادًا إلى نص الدستور والقوانين، وبهذا يكون المسيحيون قد فقدوا هويتهم بالنسبة إلى الدستور من جهة، ومن جهة أخرى لم يحصلوا على شيء من الأحزاب لقلة عدد كل حزب، لاسيما وأن اتجاه الأحزاب المسيحية قومي، في حين أن اتجاه الكنيسة ظل محافظًا على الهوية المسيحية ذات الاتجاه الديني.

المسيحيون والثقافة

المسيحيون أينما وجدوا أولوا اهتمامًا متميزًا للثقافة العلمية منها والاجتماعية ومن مختلف جوانب الحياة. يشهد لهم بهذا التاريخ عبر عصوره. فقد برز فيهم الأدباء والعلماء والمؤرخون وشعراء.

مناهل الثقافة

أهم المناهل هي المدرسة. فقد بلغ المسيحيون في تأسيس المدارس بمختلف مراحلها وبخاصة الابتدائية القاعدة الأساسية للثقافة، فلم تخل مدينة أو قرية من المدارس الخاصة والرسمية ولاسيما في بغداد والموصل، حيث وجد في وقت ما لكل طائفة مسيحية أكثر من مدرسة، ففي الموصل على سبيل المثال، تأسست بعض المدارس الابتدائية الخاصة لمئة عام خلت. ونظرًا لنجاح هذه المدارس وتفوقها تبنتها الدولة وجعلتها رسمية مع الاحتفاظ ببعض الامتيازات كالإدارة مثلاً وما زال بعضها قائمة رغم تقارصات الامتيازات. وأسست في الموصل مدرسة ثانوية باسم كلية الموصل بإدارة الآباء

الدومنيكان ومثلها في بغداد، غير أنه لم يُكتب لهما النجاح المنشود. كما أسس الآباء اليسوعيون كلية الحكمة وهي الأخرى لم يكتب لها النجاح لأسباب بعضها سياسية فأغلقت أبوابها.

أما المدارس الابتدائية فلقد أدت واجباتها لعقود طويلة فما كان للسريان الأرثوذكس في الموصل مدرسة للبنين باسم مار توما وأخرى للبنات باسم الأرثوذكس.

المعاهد

ليس للمسيحيين في العراق معاهد سوى الدينية لكنها لا تقتصر على العلوم الدينية فقط، بل الإنسانية والفلسفية والاجتماعية أيضًا، منها:

* معهد مارأفرام للسريان الأرثوذكس: في الموصل تأسس عام [1939 م] في زحلة ثم انتقل إلى الموصل حتى عام [1960 م]. ومرحلة ثانية ابتدأت عام [1989 م] لغاية [2005 م]، وبالنية نقلها إلى دير مار متى بعد الانتهاء من إعادة إعماره.
* كلية بابل الجبرية: للكلدان تأسست عام [1991 م] في بغداد، هدفها التعرف على تاريخ الكنائس الشرقية، يضم منهاجها بعض العلوم إلى جانب العلوم اللاهوتية، ويوجد إزاءها معه آخر تشترك فيه الطوائف الكاثوليكية كافة.

أما بالنسبة إلى الجامعة، فليس للمسيحيين أية جامعة خاصة، إلا أن تهافت الطلبة المسيحيين على الدراسات الجامعية والعليا أيضًا، ظاهرة مألوفة وطبيعية، فقد اكتظت بهم جامعات العراق. وفي كل عام يتخرج عدد كبير منهم، والعديد منهم يواصلون دراساتهم العليا سواء داخل القطر أم خارجه، وهذا ما يسفر وجود بمجموعات كبيرة من أساتذة الجامعات، حاذقون في الكيمياء والفيزياء والذرة، فنيون، موسيقيون، وهذا يعني أن المسيحيين موجودون في الساحة الوطنية في مختلف المجالات.

المسيحيون والحقوق

مسيحيو العراق وفي كل العهود شريحة ذات أهمية من نواح عدة، لم تظهر عليهم أية مؤشرات سلبية، لذا صانت الدساتير العراقية حقوق هذه الشريحة ولئن بدرجات متفاوتة. منها:

1] الاعتراف بكل طائفة ككيان قائم بذاته. له حق التمثيل في البرلمانات. ولأبنائها حق في نيل الوظائف التي يستحقونها، فارتقى بعضهم إلى وظائف عالية. كما أن الجامعات تعتمد نظام المعدلات للطلبة كافة.

2] بناء على أن التشريع الديني حق من حقوق كل أمة أو كيان، فقد شكلت عام [1947 م] محكمة كنسية شرعية تنظر في الدعاوى الشرعية لأبنائها. وقد اعتذرت الطوائف الكاثوليكية في حينه عن تشكيل محكمة لهم نظرًا لتعارضها مع النظام الكنسي الكاثوليكي الذي يقضي باستئناف الدعوى إلى الفاتيكان، أما الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، فقد قبلت هذا الحق وشكلت محكمة بإرادة ملكية، من ثلاثة قضاة من رجال الدين، مع محام كمستشار يتقاضون رواتبهم من الدولة، هذا بالنسبة إلى محكمة البداءة، أما محكمة الاستئناف فتشكلت برئاسة رئيس الطائفة وعضوين آخرين، إلا أن هذه المحاكم ألغيت وأنيط النظر في الدعاوى الشرعية إلى قاضي الأحوال الشخصية، مع مراعاة الناحية الشرعية المسيحية في ما يخص التفريق أو طلاق الزوجين، فهذا لا يتم إلا بكتاب من رئيس الطائفة.

الحقوق الثقافية

لأول مرة في تاريخ العراق يصدر قانون بهذا الشأن، ففي [1972/09/26 م]، صدر قرار من مجلس قيادة الثورة برئاسة أحمد حسن البكر بمنح الحقوق الثقافية للناطقين بالسريانية من آشوريين وكلدانيين وسريان، ينص على أن تكون اللغة السريانية للمدارس الابتدائية التي غالبية تلامذتها من الناطقين بهذه اللغة، وتدرس أيضًا في المرحلتين المتوسطة والثانوية التي غالبيتها من أبناء

الناطقين باللغة السريانية. واستحدثت برامج خاصة في الإذاعة العراقية وقناتي تلفزيون بنينوى وكركوك. كما تقرر إصدار مجلة شهرية باللغة السريانية، تصدرها وزارة الإعلام، إلا أنها لم تصدر. وأقر أيضًا تأسيس جمعية الآباء والكُتاب الناطقين بالسريانية، كما سُمح لهم بفتح نوادي ثقافية اجتماعية. والحق يقال أن هذا القرار كان هشًا فلم يدم مفعوله طويلاً، غير أنه أثمر تشكيل مجمع علمي للغة السريانية. وفيما بعد هيئة اللغة السريانية ومندمجة بمجمع اللغة العربية. ولا تزال هذه الهيئة قائمة مؤلفة من أعضاء ذوي اهتمامات سريانية من مختلف الطوائف المسيحية.

وقد انتعش قرار تدرب اللغة السريانية في المدارس، في العهد القائم، وعين كادر تعليمي في المدارس التي غالبية طلابها من الناطقين بالسريانية، ولا زال القرار الجديد ساري المفعول.

مجمع اللغة السريانية

في (1972/06/25 م) صدر قانون بتأسيس مجمع اللغة السريانية كما نوهنا أعلاه. يحدد أهداف هذا المجمع، وأهم بنوده:

1] يكون بمثابة مرجع علمي استشاري في اللغة السريانية.

2] إحياء تراث السريانية الأدبي والحضاري.

3] دراسة الروابط بين اللغتين السريانية والعربية.

ومن مهام هذا المجمع:

1] وضع مصطلحات سريانية في العلوم الطبيعية والإنسانية.

2] نشر الوثائق والنصوص السريانية القديمة.

3] المساعدة في تأليف كتب الدراسة.

4] تأسيس مكتبة.

5] إصدار مجلة.

هذا وقد نشر المجمع العديد من الكتب السريانية التراثية، كما أصدر مجلدًا من إعلام السريان، وأصدر مجلة خاصة به، ضمت مقالات في اللغة السريانية والتراث.

ديوان الوقف المسيحي

على أثر سقوط النظام السابق في [2003/04/09 م] ألغيت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية التي كانت ترعى بعض مصالح المسيحيين، وكانت قد أسست مديرية في الوزارة عين لها مدير برتبة مدير عام، إلا أن وزارة الأوقاف قسمت إلى دواوين للمذاهب والطوائف كافة. وبقرار رقم [68] في [22 تشرين الأول 2003 م] شكل ديوان الطوائف غير المسلمة، ثم سمي «ديـــوان أوقـــاف المسيحيين والديانـــات الأخـــرى. وبقرار رقم [79] في [3 تشرين الثاني 2003 م] عين السيد عبد الله هرمز النوفلي رئيسًا لهذا الديوان، وحسبت درجته بدرجة وكيل وزير بموجب قرار مجلس الحكم رقم [18] في [7 نيسان 2004 م]. وتم تعيين نائب للرئيس بدرجة مدير عام، وهيئـــة استشارية من ممثلي الطوائف والأديان بدرجة مدير، بموجب القرار [86] في [5 تشرين الثاني 2004 م]، وقد تم استحداث دائرتين أحداهما لليزيديين والأخرى للصابئة.

لقد رأى مجلس الحكم أن يكون لكل لطائفة ديوانها الخاص، فللسنة ديوان، وللشيعة ديوان، لتتمكن كل طائفة إدارة شؤونها بكل حرية، ما زال هذا التنظيم، غير مصدق عليه من مجلس النواب ورئاسة الوزارة، ولئن طبق فعليًا.

تتلخص مهام وأهداف ديوان الأوقاف المسيحية والديانات الأخرى، بما يلي:

1] عاية دور العبادة ورجال الدين والمعاهد والمؤسسات الدينية العائدة إلى الطوائف.

2] تأسيس مكتبة تحتوي على الكتب والمجلات التي تخدم معرفة الطوائف وتكون مرجعًا للباحثين.

3] إقامة مؤتمرات دينية داخل القطر وخارجه لغرض إيصال صوت البلد والحرية الدينية إلى بقاع الدنيا.

4] السعي إلى إقامة حوار بين أبناء الوطن لتقوية أواصر المحبة والأخوة بينهم.

5] إصدار مجلة فصلية خاصة بالديوان تشرف عليها هيئة من مختلف الطوائف.

6] دعم التعليم الديني والتنسيق مع وزارة التربية ضمن المناهج التعليمية.

7] العمل مع وزارة العدل لترك الحرية بكل طائفة وحسب مبادئها وشرائعها الدينية في مجال الأحوال الشخصية.

إلا أن هذا الديوان يكاد يكون شبه مشلول حتى اليوم وعلى أمل أن توسع صلاحياته وتنفذ، بعد قيام الحكومة العراقية الدائمة، ولمدة أربع سنوات.

المسيحيون والصحافة

لم يتوان المسيحيون في العراق من اللحاق في ركاب الصحافة إحدى أهم وسائل الإعلام والقنوات الثقافية. فقد احترف العديد من المثقفين من مدنيين ورجال دين مهنة الصحافة إلى جانب العمل في الوزارات والقنوات التلفزيونية. وممن برزوا في هذا المضمار. يوسف غنيمة، روفائيل بطي، توفيق السمعاني صاحب جريدة الزمان.

وسوف نتحدث عن الأول والثاني في مكان آخر.

ومن رجال الدين

المطران سليمان الصائغ للكلدان. صاحب مجلة النجم. وبعد توقف طويل أعيد إصدارها باسم «نجم المشرق سنة [1984 م]، المطران بولس، صاحب مجلة المشرق. ثم لسان المشرق الصادرة في الموصل في أواخر الأربعينات، الخوري سليمان داود للسريان الأرثوذكس، أصدر مجلة ‹السلام› في البصرة [1950 م]. مجلة ‹الفكر المسيحي› للسريان الكاثوليك، أصدرها آباء يسوع الملك في الموصل [1964 م] ثم تبناها الآباء الدومنيكان في بغداد وما تزال. الأفق: تصدرها بطريركية كنيسة المشرق القديمة في بغداد. ربانوتا، مجلة متخصصة بالحياة الرهبانية. تصدر عن حركة جبرائيل دنبو الثقافي في بغداد. الزنبقة تصدرها مطرانية السريان الكاثوليك في بغداد.

الشراع السرياني، تصدر عن مركز التربية الدينية للسريان الكاثوليك في قره قوش. أضف إلى هذا ظاهرة صدور نشرات متعددة كنسية محلية، بعضها تتجاوز صفحاتها الخمس والثلاثين مثل ‹صدى المحبة› التي يصدرها مركز التربية الدينية للسريان الأرثوذكس في الموصل. وقد ظهرت خلال العقود السابقة عدة مجلات، إلا أنها لم تستمر طويلاً مثل مجلة ‹الوحدة›، للسيد جمال عبد النور السرياني الأرثوكسي، ومجلة ‹الجداول› المحامي الدكتور متي إسحق السرياني الأرثوذكسي وسواها.

ومنذ الاحتلال الأمريكي ظهرت على الساحة عدة جرائد معظمها أسبوعية، تصدرها بعض الأحزاب المسيحية، مثل بهرا، وصدى السريان، ونيسًا وإلخ، إلا أن اتجاهها قومي أكثر منه مسيحي.

الأديرة العامرة في العراق

غير خاف أن العراق كان حقلاً خصبًا لأديرة منتشرة في معظم أرجاء الوطن، ومن المعروف أن الدير لم يكن مجرد مكانًا للعبادة والتنسك، بل

ومقرًا للأعمال الفكرية خاصة الأديرة التي تأسست فيها المدارس وأيضًا للأعمال الإنسانية كاستضافته الغرباء وما إلى ذلك، لكن اليوم لم يبق في العراق سوى بضعة أديرة عامرة وآهلة، أشهرها:

1] دير مار متى الشيخ للسريان الأرثوذكس: أنشئ نحو سنة [382 م]، باسم الراهب متى. وبمعجزة معروفة في شفاء سنحريب والي آثور من مرض عضال، شيد الدير في جبل عرف بجبل الشيخ متى، ومهد إليه الطريق، يقع على مسافة [35] كم شمال شرقي الموصل، ويعتبر من الآثار التاريخية في العراق. يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر [2100] قدم. مر بعصور مزدهرة وأخرى قاهرة، وبسبب النائبات دمر وشغر مرات عديدة، ثم أعيد بناؤه، ويخضع اليوم إلى حملة إعمار جذرية. يضم بعض المواقع الأثرية منها «الناقوط» وهو كهف رائع وواسع يتقطر ماء صيفًا وشتاء. و«الصهريج» وهو كبير الحجم منقور في الصخر يستعمل لتخزين مياه الشرب. و«رواق الملاك» يقع في واد سحيق في الجانب الآخر الشمالي من الجبل. فيه أضرحة مار متى ورفاقه وأيضًا ضريح العلامة وابن العبري [1286 م].

2] دير مار بهنام للسريان الكاثوليك: ويقع على بعد [35] كم جنوب شرق الموصل، يُعزى تأسيسه إلى نفس فترة تأسيس دير ما متى في الموضع الذي استشهد فيه الشهيدان بهنام وسارة ابني سنحريب المذكور أعلاه. شيدت فوق ضريحهما قبة عرفت بالجب. ثم شيدت إلى جانبها بعض الغرف كملجأ لذوي الأمراض المستعصية الذين يقصدون الدير للتبرك ونيل الأشفية. ثم توسعت هذه الغرف وكثرت حتى غدت إلى ما هي عليه اليوم.

في العهد الأتابكي وبين القرنين [12 و13] وفد إلى الدير من تكريت جماعة من النحاتين فشيدوا الكنيسة القائمة وهي في منتهى الروعة والجمال تعج بالنقوش والزخارف والمقرنصات وتماثيل جبصية لمار بهنام وأخته سارة، الأمر الذي جعلها من أبرز الآثار العراقية الدينية.

3] دير السيدة للكلدان: يبتعد عن قصبة القوش شمال شرقي العراق نحو [2] كم إلى الشرق منها، وهو حديث نسبيًا شيد على أرض منبسطة، يتكون من مجموعة من الصوامع للرهبان في باحة

يتوسطها صهريج لخزن الماء. أجمل ما فيه من أبنية كنيسته الجميلة المشيدة عام [1858 م] محاط بسور، فيه باحتان، الخارجية للزوار والداخلية للرهبان.

اهتم أحد رؤسائه المعاصرين بجمع بعض التحف وآليات قديمة، تشير إلى نمط الحياة الاجتماعية لتلك المنطقة كآليات زراعية قديمة، نقود قديمة، وبعض المخطوطات.

يقيم فيه اليوم عدد من الرهبان شبان وكبيري السن.

4] دير الربان هرمز للكلدان: شيد على الأرجح في القرن الثامن في جبل القوش، ولم يسلم كغيره من التدمير وأعيد بناؤه، يضم اليوم بضع صوامع لكنه غير آهل لكونه خاضعًا لإعادة إعمار.

طوائف الشعب المسيحي الموجودة حالياً في العراق

1] الكلدان.
2] السريان الأرثوذكس.
3] السريان الكاثوليك.
4] الأرمن الأرثوذكس.
5] الأرمن الكاثوليك.
6] الروم الأرثوذكس.
7] الروم الكاثوليك.
8] اللاتين.
9] البروتستانت الإنجيليون.
10] كنيسة المشرق القديمة (الكلندار القديم).
11] كنيسة المشرق القديمة (الكلندار الجديد).

أبرز الشخصيات المسيحية الدينية والمدنية

أنجب العراق في كل عهوده شخصيات مسيحية مرموقة في ميداني الدين والوطن. أبرزها:

* البطريرك أفرام الأول برصوم بطريرك السريان الأرثوذكس: مواليد الموصل [1887 م]، نصب بطريركًا سنة [1933] يعتبر رائد النهضة الثقافية في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في القرن العشرين. خدم

الوطن في عدة مجالات، منها العلمي والوطني. حضر مؤتمر السلام في باريس [1919 م] المنعقد في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد ضم كبار رجال السياسة، ألقى كلمة كتب عنها «افتتحت كلامي بالآية: «طوبى لصانعي السلام»، فاطريت فكرة السلام العالمي وتطرقت إلى أسس السلام ثم بسطت حالة البؤس والشقاء والحرمان المحيطة بالشرقيين. لم أجد نظرة إشفاق على بؤس الشرقيين وشعرت وكأني أخاطب أصنامًا جامدة وصخورًا صماء.. وفي الجلسة الثانية دخلت وقد أحاط بي بعض الأحرار العرب فتعجب الحاضرون لدخول مطران يحف به مجاهدون عرب مسلمون.. وتكلمت وأكدت أن العرب عرب سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين، وذكرت أن للعرب حقًا مقدسًا في الحرية والاستقلال وفي حياة الكرامة، لأنهم أمة عظيمة لها تاريخها الخالد ولها الأيادي البيض على الحضارة البشرية من أقدم العصور».

وفي عام [1927 م] حضر مؤتمر الأديان العالمي في لوزان وبسط أمام المؤتمرين بعض قضايا الشرق العربي، وخاصة سلخ بعض أجزاء من الوطن وضمها إلى بلدان أخرى.

إلى جانب موقفه الوطني، كان حجة في الفقه الديني والأدب، فوضع ونشر [12] كتابًا أبرزها «اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية»، و«الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة»، و«الأفاظ السريانية في المعاجم العربية»، إضافة إلى عشرات المقالات.كان عضوًا في مجمع اللغة العربية في دمشق. رحل عن الدنيا (1957 م) ودفن في حمص.

* البطريرك يعقوب الثالث: مواليد برطلة عام [1912 م] مدير معهد إكليريكي في الهند، ومدرس في معهد مار أفرام في الموصل، مطران بيروت ودمشق [1950 م]، انتخب بطريركًا للكنيسة السريانية الأرثوذكسية عام [1975 م]، رقد بالربه [1980 م] ودفن في دمشق.

ترك جملة من المؤلفات القيمة، تاريخية، سير منها «دفقات الطيب في تاريخ مار متى العجيب»، و«تاريخ الكنيسة السريانية»، و«الشهداء الحميريون»، و«اللألىء المنثورة». عرف بانفتاحه على الكنائس الشقيقة، في عهده اشتركت الطائفة في تأسيس مجلس كنائس الشرق الأدنى ثم مجلس كنائس الشرق الأوسط وقبلت عضوًا في مجلس الكنائس العالمي.

* البطريرك زكا الأول عيواص: مواليد الموصل [1933 م]. هو أول بطريرك تخرج في معهد ما أفرام الإكليريكي في الموصل [1954 م]. درس في الولايات المتحدة الأمريكية. حضر العديد من المؤتمرات والندوات، لاسيما مجمع فاتيكان الثاني، رسم مطرانًا للموصل عام [1963 م]، انتقل إلى أبرشية بغداد والبصرة [1969 م]، انتخب بطريركا للكنيسة السريانية الأرثوذكسية [1980 م]. عضو عامل في مجمع اللغة السريانية، كما انتخب عضوًا عاملا في المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو، وضع مصنفات عديدة لاهوتية وتاريخية ومواعظ وسواها.

* المطران بولس بهنام: مواليد قرة قوش، الموصل [1916 م]. انضم إلى إكليريكية دير مار متى ثم إلى المعهد الإكليريكي في زحلة. ترأس معهد مار أفرام الإكليريكي في الموصل عام [1945 م]. رسم مطرانًا للموصل عام [1952 م] ونقل إلى بغداد سنة [1960 م]. تألق كشخصية علمية، وترك ثروة علمية أدبية، ووضع زهاء عشرين مصنفًا، أصدر مجلتي المشرق ولسان المشرق في الموصل. من تركته العلمية. ابن العبري الشاعر، أحيقار الحكيم، علم النفس لدى ابن كيفا. الفلسفة المشائية، العلاقات الجوهرية بين اللغتين السريانية والعربية وسواها.

* القس يوسف قليثا: من كنيسة المشرق القديمة ومن مواليد شمال العراق، تثقف في مدرسة البعثة البروتستانتية في أوربا. أتقن اللغة السريانية وأسس مطبعة في الموصل نشر فيها كتبًا سريانية عديدة. خدم اللغة السريانية بجدية وإخلاص، رحل إلى ربه [1955 م].

ومن الكتب التي نشرها، كتابًا ضمن كتاب المرجانة وجدول عبد يشوع الصوباوي، ومقالات مختارة من كبار الأدباء السريان الشرقيين والغربيين، قصيدة الحكمة لابن العبري، قصيدة الطير لابن معدني، وضع سلسلة كتب لتدريس اللغة السريانية الحديثة.

الشخصيات المدنية

* الأرخدياقون نعمة الله دنو: مواليد الموصل [1884 م]، برز في العلوم الدينية واللغة السريانية، قال عنه الأديب العراقي الكبير

الأستاذ: أنسطاس الكرملي «لينعم السريان حقًا بدنو وضريبيه أفرام (البطريرك) وساكا (القس يعقوب ساما) فهؤلاء الثلاثة يحملون مشعل الحضارة المسيحية السريانية وآدابها في القرن العشرين». له مؤلفات في الطقس واللغة ومقالاً طويلاً في الموسيقى السريانية.

* روفائيل بطي: ولادة الموصل [1901 م] أديب عراقي مرموق رئس تحرير جريدة العراق وأنشأ مجلة الحرية التي تعنى بالنهضة الفكرية في العراق والبلاد العربية. نقيب الصحفيين، أصدر جريدة «البلاد» سياسية أدبية، دخل المجلس النيابي لدورات عديدة، عين وزير دولة لشؤون الدعاية والصحافة لمدة سنة واحدة. توفي عام [1956 م] من تركته الأدبية: أمين الريحاني في العراق. الأدب العصري في العراق العربي. كتابان عن الشاعرين العراقيين: الزهاوي والرصافي، وسواهما.

* يوسف رزق الله غنيمة: مواليد بغداد [1885 م] توفي عام [1950 م] من أوائل الشخصيات المسيحية التي دخلت ميدان السياسة خلال الحكم الوطني، احتل عدة مراكز عالية في الدولة العراقية من درجة وزير إلى عضو في البرلمان لعدة دورات، كانت له مكانة مرموقة وله معطيات فكرية عددية تدل على وطنيته، منها اللغة العربية في طورها الأول. أبحاث اقتصادية واجتماعية. مباحث عراقية وسواها.

* الدكتور مجيد خدوري: دكتوراه من جامعة شيكاغو [1938 م]، مدرس في عدة جامعات عربية وأجنبية، أسس جامعة طرابلس الغرب في ليبيا ورئسها لفترة، من تركته الفكرية الانتداب في عصبة الأمم (أطروحة). محاضرات في تاريخ الشرق الأوسط. أسباب الاحتلال البريطاني للعراق. المسألة السورية، قضية إسكندرون. الاتجاهات السياسية في الوطن العربي. عرب معاصرون وسواها.

* الأخوان كوركيس وميخائيل عواد: من أبناء الموصل وسكنة بغداد، خدما الوطن والمسيحية بنتاجهما الفكري، وتركا عدة مصنفات قيمة وبخاصة الأستاذ كوركيس من أشهر أدباء العراق والعرب.

الطوائف المسيحية

* السريان الأرثوذكس: تواجدهم في العراق منذ القرن الميلادي الأول، قدّموا للوطن العربي خدمات جلى لاسيما من الناحية الفكرية وخاصة في العهد العباسي الأول والثاني، أسسوا مدارس علمية، فلسفية شتى، نظرًا للأحداث الأخيرة هاجر قسم كبير منهم إلى البلدان المجاورة أو الأوربية وأمريكا، ينوف عددهم اليوم على الخمسين ألف نسمة، معظمهم في بغداد والموصل، وهم ثلاث أبرشيات، بغداد والبصرة، الموصل وتوابعها، دير مار متى. لكل أبرشية مطران.

* السريان الكاثوليك: نشأت هذه الطائفة الكريمة في العراق، في منتصف القرن الثامن عشر، حيث أن قسمًا من السريان الأرثوذكس اتحدوا بروما وسموا «سريان كاثوليك» يتمركزون بصورة خاصة في بلدة قره قوش، قضاء الحمدانية - الموصل. ثم في بغداد، شأنهم في الهجرة شأن المسيحيين الآخرين عددهم نحو خمسين ألف نسمة أو يزيد.

* الكلدان: في منتصف القرن السادس عشر وعلى وجه التدقيق [1553 م]، انتمى بطريرك النساطرة إلى الكنيسة الكاثوليكية، ويدعى يوحنا سولاقا، واتبعه نفر من أقاربه وطائفته، فأعطوا اسم «الكلدان» من البابا أوجين الرابع، اليوم يأتون في طليعة الطوائف المسيحية من حيث العدد والشخصيات البارزة، يقيم بطريركهم غبطة مار عمنوئيل دللي الثالث في بغداد.

* كنيسة المشرق القديمة، وتعرف اليوم بكنيسة المشرق الآشورية: وهي قسمان، قسم ينتمي إلى البطريريك مار دنحا الرابع ومقره شيكاغو وهو يتبعون الكلدان الجديدة، والقسم الآخر ينتمي إلى مارادي الثاني ومقره بغداد. يعود تاريخ هذه الكنيسة في العراق إلى فجر المسيحية وقدم علماؤها خدمات مشكورة لاسيما من الناحية الفكرية إلى العرب عبر الترجمة والتأليف خاصة في أيام العباسيين. يقطن معظمهم المنطقة الشمالية في العراق، وكذلك في بغداد وكركوك وسواها.

* الطائفة الإنجيلية البروتستانتية: نشأت هذه الطائفة بفضل البعثات التبشيرية من الغرب، وتعايشت مع الطوائف المسيحية الأخرى. ومازالت، يدير شؤونها الروحية بعض القسس، يتمركزون في بغداد والبصرة خاصة.
* الأرمن الأرثوذكس: تأسس كيانهم في العراق على أثر اضطهاد عام [1915 م]، حيث هاجر عدد كبير منهم من الدولة الثمانية (تركيا) إلى العراق، فرسخت قدمهم في العراق، وهم يتميزون بالنشاط ويتمركزون في بغداد أولاً ومن ثم الموصل، يرأسهم مطران مقره في بغداد.
* اللاتين: طائفة صغيرة يتمركز أبناؤها في بغداد حيث مقر رئاستهم الروحية، ولهم بضع عوائل منتشرة في بعض المدن. كما أن لهم بعض الأديرة لمختلف الرهبانيات. كالدومينيكان والكرمليين وسواهم.

لمعة في تاريخ الأمة السريانية في العراق**

تمهيد، أبرشياتها، كنائسها المعروفة (تكريت/ الموصل/ نينوى/ بغداد)، أديارها، مدارسها، علماؤها، أطباؤها، أعيانها، دير مار متى، مطارنة دير مار متى

تمهيد

رغب إلينا الابن الروحي، الأديب المعروف الأفدياقون نعمة الله دنو، أن نكتب مقالة تتضمن خلاصة تاريخ كنيستنا السريانية المقدسة في بلاد العراق، فاقتطفنا من تواريخنا الثابتة هذه الفصول التالية، ثم رأينا نزولاً عند رغائب كثيرين من أفاضل العراقيين، أن ننشرها على صفحات المجلة، ليعم نفعها على القراء الكرام، لكي يلموا بشيء من تاريخ هذه الأمة الجليلة، فينسجوا على منوال السلف الصالح، آخذين بأسباب العمران الديني والأدبي المنشود بتوفيق الله وفضله.

الأمة السريانية ذات شرف باذخ، وماض مجيد، وهي إحدى الأمم العظيمة التي استوطنت بلاد العراق منذ العصور القديمة، وأخذت فيه بأسباب

العمران على أنواعه، ذاهبة في مضماره أشواطًا بعيدة، واعتنقت النصرانية في صدرها، وأسست كرسي رئاسة كهنوهًا العليا المعروفة بالجثلقة في سليق وقسطفون (المدائن) عاصمة الأكاسرة، ونشرت لواء المسيحية، وآداها السامية بواسطة رسلها ورهباها، حتى نزلت مترلة عليا في البلاد، وأثبتت اعتصامها بدينها بدماء شهدائها الألوف. ولما وقع الخلاف بين بنيها لأسباب مذهبية في النصف الثاني من المئة الخامسة للميلاد، والقسم الأول من المئة التالية، فانقسمت شطرين، أنشأت رئاستها العليا باسم مفريانية المشرق في مدينة تكريت، في قلب العراق، [سنة 599 م] ثم ضمت شملها، ورتبت أحوالها [سنة 628 م]، في عهد المفريان القديس ماروثا، الذي رتب لكنيستها اثنتي عشرة أبرشية في أنحاء العراق، ثم ضم إليها ثلاث أبرشيات (أو ولايات كنائسية) في بلاد العجم (فارس) والأفغان، ثم انتشر فيها العمران حتى بلغ عدد أبرشياهًا الثلاثين على تراخي العصور، وفي غضون القرن الثاني عشر للميلاد، نقل كرسي المفريانية إلى الموصل ونينوى، وجملة الأحبار جثالقة المشرق ومفارنته منذ عهد مار توما الرسول، حتى باسيليوس بهنام الموصلي [1859 م] مئة واثنان، ومنذ مار أحودامه واحد وثمانون مفريانًا.

أبرشياتها

1] باعرابيا: أول أساقفتها مار أحودامه [قبل سنة 559 م] وآخرهم المطران إياونيس موسى [الذي رسم في سنة 1278 م].

2] سنجار: بدأت أسقفيتها في أواسط القرن الثالث، وأول أساقفتها الذين يذكرهم التاريخ البيعي هو قاريس [نحو سنة 544 م] وآخرهم في أواسط القرن الرابع عشر.

3] معلثا (بقرب دهوك): يذكر أسقفها في العقد الثالث من المئة الخامسة.

4] أرزون: بدأت أسقفيتها في أواسط القرن الثالث، وأول من أورد التاريخ اسمه كان الأسقف دانيال [سنة 410 م].

5] كومل ومركا (المرج): أول أساقفتها إيثالاها (الله موجود) [سنة 628 م] ومنهم الأسقف مار حدبشبا [سنة 818 م].

6] بارمان أو بيت وزيق (البوازيج) على شاطىء البراب الأصفر: نعرف من أساقفتها ستة أولهم مازينا نحو سنة [620 م]، وآخرهم الأسقف ميخائيل مخلص الذي رسم سنة [1278 م].

7] كرمة: بلدة بجانب تكريت، حفظ التاريخ أسماء ستة من أساقفتها أولهم يوحنا سنة [700 م] وآخرهم باسيلوس. أسست أسقفيتها سنة [628 م].

8] جزيرة قردو (ابن عمر): أخذت مكانه أسقفية بازبدي القديمة المتصلة بعهد الرسل القديسين التي يذكر أسقفها مزرا سنة [120 م] فلما عمر المسلمون مدينة الجزيرة وضع فيها كرسي الأسقفية. وقد ذكر التاريخ ستة وثلاثين مطرانًا جلسوا في هذه الأبرشية، آخرهم يوليوس هنام العقراوي [المتوفى سنة 1927 م]

9] بانوهدرا (موقعها في قضاء دهوك): نعرف أسقفها الأول سليمان [424 م] ومنهم زكي [593–605 م]، وآخرهم إياونيس أيوب الحديدي الملفان الذي رسم سنة [1284 م].

10] فيرشابور (بيرو زشابور)، أو الأنبار وعرب بني نمر: أسست أسقفيتها سنة [628 م] وكان اسم أسقفها الأول آحو وهو من فضلاء النساك.

11] شهر زور: من أساقفتها يزيد بناه [628 م] وهي سنة تأسيسها، وإيوانيس [800 م].

12] الحيرة: ترتقي أسقفيتها إلى أوائل القرن الخامس، وكانت تشمل عرب بني بكر. وقد جاء في التاريخ اسم أسقفها شمعون [424 م] ومن أساقفتها يوحنا عام [628 م].

13] عانة والتغالبة: بنو تغلب عرب مسيحيون سريان أرثوذكسيون مذهبًا، ومنهم الأخطل الشاعر المشهور، وأحيانًا كان يقيم أسقفهم في بلدة دقلة (النخل). أسست أسقفيتهم في القرن السابع ومن

أساقفتهم يوحنا [628 م] وعثمان [ست834 م] ومرزوق ويعقوب الملفان أسقف عانة (القرن التاسع) وآخرهم ثاودورس في سنة [910 م]. ونعرف منهم أربعة عشر أسقفًا وقد انضموا في القرن التاسع إلى الكرسي البطريركي.

[14] نينوى والموصل: أول مطارنتها خرسطفورس [628 م] والمطران الحالي مار أثناسيوس توما.

[15] بغداد: دامت مطرانيتها نحو خمسة قرون وقد حفظ التاريخ أسماء تسعة من مطارنتها، أولهم حبيب [818 م] وآخرهم طيمثاوس يشوع الذي رسم سنة [1265 م].

[16] دير مار متى: كرسي أبرشية قديمة نعرف من مطارنتها [38] أولهم الشهيد برسهدا [نحو سنة 480 م] والمطران الحالي ديونوسيوس يوحنا.

[17] الكوفة: كرسي أسقفية العرب بني طيء وتنوخ وعقيل، ومن أشهر أساقفتها العلامة المشهور مار جرجس أسقف العرب [المتوفى سنة 725 م].

[18] نرسياد: يذكر من أساقفتها شربيل [نحو سنة 780 م] وإليا [834 م].

[19] كروم: يذكر من أساقفتها ثاودورا [818 م] وأدى [834 م].

[20] قرونتا (على الدجلة بنواحي تكريت بقرب الزاب الكبير): نعرف أسقفها أغناطيوس في النصف الثاني من القرن التاسع.

[21] بيت أرشم (بالقرب من المدائن): اشتهر أسقفها الملفان مار شمعون [505–523 م].

[22] الحصاصة (بلدة قديمة بقرب تكريت): عرف أسقفها متى الراعي (حوالي القرن العاشر).

[23] الطيرهان (بلدة بين تكريت والسن، أي: بارمان): أسست أسقفيتها سنة [628 م] وكان اسم أسقفها يشوع رحمة.

[24] بلد (أسكي موصل): يعرف أسقفها موسى [834 م].

[25] بيت صيدا (بقرب إربيل): ذكر أساقفتها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، أما أسقفية إربيل فهي قديمة جدًا.

26] سنجستان: أسست أبرشيتها في أواسط القرن السابع، ثم ضمت إلى الكرسي البطريركي (في بلاد فارس) ونعرف من مطارنتها واحدًا وعشرين، وذكر أسقفها الأول إفريد سنة [424 م].

27] هرات (في أفغانستان): أنشئت في أواسط القرن السابع ثم ضمت إلى الكرسي البطريركي يعرف أسقفها الأول يزودي سنة [424 م] عندنا أسماء [17] من أساقفتها آخرهم إيونيس.

28] أذربيجان (فارس): من مدنها تبريز. ذكر أسقفها سنة [1272 م] وأورمية. عرف مطرانها أغناطيوس جبرائيل سنة [1189 م]، أما نصيبين التي أنشئت أسقفيتها في أول القرن الرابع [300 م] ضمت في القرون الوسطى إلى كرسي المفريان ثم رجعت إلى البطريركية.

29] البحرين: جزيرة كبيرة في خليج البصرة، ذكر أهلها المسيحيون في أوائل القرن التاسع وعرف من أساقفتها جرجي سنة [834 م] ومرقس سنة [1175 م].

30] جولمرك (تابعة لولاية وان التركية وهي مركز لواء حكاري): عرف أسقفها يونان سنة [752 م].

31] دير مار بهنام: صار مركز أبرشية في القرن السادس عشر، ونعرف من مطارنته خمسة أولهم إياونيس يشوع الحديدي [1566–1576 م]، وآخرهم إياونيس بهنام الموصلي [المتوفى سنة 1776 م].

كنائسها المعروفة

كنائس تكريت

تكريت مدينة قديمة، بناها الملك شابور الأول بن أردشير [241–272 م] وفتحها المسلمون صلحًا بمساعدة المفريان مار ماروثا، وكانت النصرانية السريانية زاهرة فيها. وحكى ابن حوقل التاجر السائح الموصلي [المتوفى سنة 981 م] في كتابه «الممالك»، أنه كان لنا فيها عشر كنائس أشهرها:

1] كنيسة مار أحودامه الكاتدرائية المسماة: البيعة الخضراء.

2] كنيسة الشهيدين مار سرجيس وباخوس، كنيسة جليلة كبيرة، بنيت في عهد المفريان بريشوع [669–684 م].

3] بيعة مار كوركيس الشهيد، وفيها هيكل مار برصوم وقد هدمها حاكم تكريت نحو سنة [1085 م].

4] بيعة القلعة، شيدها مار ماروثا.

5] الكنيسة الجديدة، بناها المفريان دنحا الثاني [727 م].

وورد في تواريخنا أن الوجيه الشماس ثاودورس (هيبا) بن مرقس التكريتي، جدد الكنيسة الكاتدرائية الكبرى سنة [1041 م]، وان المسلمين اغتصبوها مرتين سنة [1089 م] ثم سنة [1258 م] بعدما قتل التتر معظم الشعب السرياني، فاغتصب المسلمون آنيتها ووقوفها وصيروها جامعًا.

كنائس الموصل

1] بيعة مار ثاودورس المعروفة بكنيسة صليبا كانت عامرة سنة [1245 م].

2] بيعة مار زينا الناسك وهي كنيسة التكريتيين الجديدة الكبرى (اليوم الجامع الخلال) في محلة القلعة.

3] كنيسة مار آحودمه المعروفة ببيعة كدانا (ܓܕܢܐ/ كَدانا/ Gdona) العتيقة في باب العراق، وهي بيدنا، وكانت مختصة بالتكريتيين أيضًا.

4] كنيسة مار توما الرسول في حي خزرج باقية جددت سنة [1848 م].

5] بيعة السيدة الطاهرة في الباب العمادي.

6] كنيسة العذراء في حي القلعة أنشئت سنة [1895 م].

كنائس نينوى

* في قرية قرقوش: كان لنا ثماني كنائس باسم القديسة شموني المقابية، ومار جرجي، ومار سرجيوس، وباخوس، وهي عامرة بيدنا، ومار

زينا، ومار أندراوس، والسيدة: بيد الكاثوليك (في برطلي) كنائس مار أحودمه ومار جرجي، وقد خربتا، والقديسة شموني والسيدة وهما عامرتان.

* في العقر: كنيسة مار كوركيس.
* في بعشيقه: كنيسة القديسة شموني.
* في بحزاني كنيسة مار جرجس.
* في سنجار: كنيسة العذراء أنشأها المرحوم عبد العزيز أفندي بيتون الموصلي سنة [1925 م].
* في كرملبس: بيعة الشهداء الأربعين كانت عامرة وفيها قدس الميرون المفريان إبراهيم سنة [1369 م].
* بيعة قرية (ܒܝܬ ܬܟܠܝܬܐ/ بيث تكليثو/ Beth Taklitho) نزل فيها المفريان أغناطيوس لعازر سنة [1153 م].

كنائس بغداد

* كان لنا فيها كنيستان: بيعة مار توما في باب المحول من جانب الرخ، وهي كاتدرائية وتسمى أيضًا: كنيسة قطيعة الدقيق (والقطيعة جمع قطائع وهي مواضع أقطعها الملك المنصور العباسي أناسًا من أعيان الدولة ليعمروها ويسكنوها) وكانت مجاورة لدار الروم، قال ياقوت الحموي في صفتها: بيعة كبيرة حسنة المنظر، عجيبة البناء، مقصودة لما فيها من عجائب الصور وحسن العمل، أحرقها المسلمون سنة [1002 م] وجددها المفريان أغناطيوس الأول سنة [1004 م] وكنيسة العذراء وقد بنى لنا اليوم كنيسة باسم القديس توما الرسول سنة [1934 م].
* في إربيل: بيعة القلعة أو البيعة الكبرى، وكانت على اسم البتول الطاهرة، أنشئت سنة [1262 م] وخربت سنة [1297–1375 م] على الأصح.
* في باصيدا: بنيت كنيسة سنة [1266 م].
* في سليق: بنيت لنا كنيسة نحو سنة [609 م].

* في بلد: كنيسة والدة الإله العذراء.
* في طكشبر (ܒܝܬ ܛܟܫܒܪ/ بيث طكشبر/ Beth Takshbar) من نواحي إربيل كنيسة مار دانيال الكاتدرائية، كانت عامرة في أواسط المئة الثالثة عشرة، نبغ فيها أستاذ فاضل ملفان بارع اسمه يوحنا.

أما أسماء كنائس بقية أبرشيات بلاد العراق فهي مجهولة.

أديارها

كانت للكنيسة السريانية أديار عديدة في بلاد العراق، تضم جمهورًا صالحًا من الرهبان أهل الزهد وعشاق النسك والفضيلة، وهي محط رجال طلبة العلم لأن معظم الأهلين كانوا يخرجون أولادهم في الديورة، ومنها يختار الأساقفة لرعاية الأبرشيات، وقد ذهب الزمان ليس بآثارها فحسب بل وبأسماء كثير منها، والذي ورد منها في تضاعيف التواريخ هو ما يأتي:

1] دير مار متى الناسك.

2] دير مار بهنام الشهيد المعروف بدير الجب، وهو الدير المعروف بجوار قرية قرقوش، بني في أواخر القرن الرابع للميلاد، وصار كرسي أسقفيته في القرن السادس عشر، حتى استولت عليه الفرقة التي انفصلت من الكنيسة السريانية سنة [1839 م].

3] دير مار دانيال المعروف بدير الخنافس العالي، بجانب قرية باصخرا (في نينوى) كان خاصًا بالرهبان وكان عامرًا في أوائل القرن الرابع عشر وقد ذكره الخالدي.

4] دير مار دانيال السفلي، كان خاصًا بالراهبات بجانب الدير العالي.

5] دير مار زينا وكان يعرف بدير القيارة، أنشئ في أواخر المئة السادسة، وكان فيه لأول عهده مئة وسبعون راهبًا، كان عامرًا في القرن الثالث عشر، ذكره ياقوت الحموي ثم ابن العبري في سنة [1210 م] وموقعه على شاطئ الدجلة في المكان المعروف اليوم بحمام العليل.

6] دير مار سرجيس ومار زعورا ومار باعوث في الجبل العطشان بسنجار، بناه مار أحودامه نحو سنة [570 م] وفيه تخرج العلامة مار موسى بن كيفا وكان آهلاً سنة [1345 م].

7] دير عين قنا في وسط باعربايا عمره مار أحودمه وكان عامرًا سنة [829 م].

8] دير بيت آسا (ܒܝܬ ܐܣܐ/ بيث أسود / Beth Aso): بقرب قرونتا جاء ذكره في سيرة مار أحودامه واسم رئيسه يشوعزخا.

9] دير أفماريه (أبو ماريه: قرب قرية تلعفر).

10] دير تكريت فيها ذكر في سيرة مار أحودمه.

11] دير جعتني باسم القديس أحودمه في البرية (ܓܥܘܬܢ/ كَعوثان/ G'othan).

12] دير مار شموئيل الجبلي على ضفة الدجلة الشمالية مقابل دير مار سرجيس، الذي كان بقرب مدينة بلد، كان فيه أربعون راهبًا، وفيه درس مار ماروثا (القرن السادس).

13] دير نردس (في دهوك) باسم مار لعازر الشهيد الذي استشهد نحو سنة [480م] بقرب قرية (ܒܝܬ ܡܠܘܕ/بيث ملود/ Beth Malud) وهو لأهل النسك والعبادة، وكان فيه يومًا سبعون راهبًا، وكان ديرًا مشهورًا، أمره أكثر من سائر أديار الشرق في القرن السادس، وفيه درس وترهب القديس ماروثا المفرياني اشتهر فيه رئيسه مار جوسي (ܓܘܣ/ كوس/ Gaus) والقديس مسكينا.

14] دير بير قوم قرب مدينة بلد على ضفة الدجلة فيه ترهب بعض المفارنة.

15] دير شيرين في المدائن بنته الملكة شيرين المسيحية قرب البلاط نحو سنة [598 م].

16] دير شابور في عاقولا وهي الكوفة كان عامرًا سنة [605 م].

17] دير مار سرجيس المسمى دير العجاج، أنشأه مار ماروثا بين تكريت وهيت على طريق دجلة إلى الفرات والكوفة ذكره ياقوت (ܥܝܢܓܓܐ/ عينجاجا/ 'Ainjaja).

18] دير العذراء في تكريت ويسمى (ܒܝܬ ܐܒܘܪܐ/ بيث إيبوري/ Beth Ebore) للراهبات.

19] دير العذراء بناه الرئيس إبراهيم بن يشوع حاكم تكريت السرياني في جوارها، في أواسط القرن السابع.

20] دير (ܟܢܘܫܝܐ/ كنوشيو/ Knoshyo) كنوشيا في جبل سنجار، وفيه تخرج الملفان السرياني داود بن بولس.

21] دير علوك في تكريت منه نشأ المفريان سرجيوس [872–883 م].

22] دير كوختا (ܟܘܟܬܐ/ كوكتو/ Kukto) ويعرف بدير كوخي باسم مار إبراهيم مجاور لدير مار متى اشتهر رئيسه اللغوي أثناسيوس في القرن الثامن، ولا تزال أطلال هذا الدير ماثلة.

23] دير في سنجار أنشأه القديس شمعون الزيتوني مطران حران [734 م] ذكر في سيرته.

24] دير بيزنيتا (ܒܝܙܢܝܬܐ/ بيزونيثو/ Bizonitho) (في نينوى ولعله كان في موقع قرية بحزاني الحالية) وهو دير قديم فيه قتل برصوما النصيبيني الغاشم تسعين راهبًا كاهنًا لحو سنة [480 م].

25] دير مار كوركيس الشهيد في برطلي وكان عامرًا آهلاً سنة [1701 م].

26] دير مار يوحنا (ܒܪ ܢܓܪܐ/ بار ناكوري/ Bar Nagore) ابن النجارين وأخته سوسان الشهيدين في برطلي، أنشأه العلامة المفريان مار غريغوريوس أبو الفرج بن العبري سنة [1284 م] وكان آهلاً بالرهبان سنة [1593 م].

27] دير شهداء برطلي الأربعين في شماليها، وقد جاء ذكر هؤلاء الشهداء في كلندار القديسين.

28] دير الراهبات في خديدة وهي قرقوش ذكره ابن العبري في التاريخ المدني السرياني سنة [126 م].

29] دير مار يوحنا الديلي المعروف بنقور ثابا بين قرقوش وكرمليس كان عامرًا حتى سنة [1734 م] وقد بقيت منه آثار.

30] دير بجانب جزيرة ابن عمر ورد ذكره في تاريخ المفارنة سنة [1172 م].

31] دير الراهبات (الأخوات) في بغداد كان عامرًا سنة [1002 م].

32] دير الغراب (ܥܘܪܒܐ/ عوربو/ 'Urbo) على جانب تكريت نزل فيه القديس يوحنا مطران دير مار متى سنة [685 م].

وكان لنا ديورة في المدائن عاصمة الفرس منها دير شيرين، ولكنها خربت بعد وفاة جبرائيل السنجاري رئيس أطباء الملك نحو سنة [610 م].

مدارسها

لم يتناول التاريخ بحث المدارس بوجه خاص، والذي نعلمه أن معظم الديورة كانت تلقن صبيان المدن والقرى المجاورة، لها علوم الدين واللغة السريانية، التي كانت لغة المسيحيين على أننا وقفنا على أسماء بعض المدارس بطريقة العرض ومن ذلك:

* مدارس بيت قيقي، وبيت ترلي، وتل صلما، وبيت نبي، وشورزق (ܒܝܬ ܩܝܩܝ/ بيث قيقي/ Beth Qiqi، ܒܝܬ ܬܪܠܝ/ بيث تيرلي/ Beth Terlai، ܬܠ ܨܠܡܐ/ بيث تَل صالمو/ Tal Salmo؛ ܒܝܬ ܒܢܝ/ بيث بناي/ Beth Bnai؛ ܫܘܪܙܩ/ شورزاق/ Shurzaq) وهي قرى مجاورة لبلدة بانو هدره (دهوك)، أسس هذه المدارس الشعب السرياني في أواخر المئة السادسة (راجع سيرة مار ماروثا ص 65).

* مدرسة بيت شاهاق (ܒܝܬ ܫܗܩ/ بيث شهاق/ Beth Shhaq) من قرى نينوى، أنشأ فيها مدرسة جليلة الأستاذ سبروي ولما نشأ ولداه الأستاذان راميشوع وجبريلي وحفيده الأستاذ سبريشوع، أحسنوا إلى اللغة بضبط قراءتها، وتصحيح الكتب بمهارة ولباقة محمودة، وذلك في دير مار متى، وأخذ عنهم اللغويون الفضلاء الأساتذة يشوعسبران وأثنانوس (ܐܬܢܣ ܕܩܘܩܛܐ/ أثانوس/ Athanus Dkukto)

رئيس دير كوختا وساويرا بن زديقا واليا الأردي (ܐܪܕܘܝܐ/ أردويو/ Ardoyo) والراهب أفرام وغيرهم.

* وأنشأ الأستاذ جد الملفان الراهب داود بن فولوس آل بيت رابان، مدرسة عظيمة في نينوى، ضمت ثلاثماية وثمانية عشر تلميذًا، وذلك في أواسط القرن السابع، نشأ منهم مصنفون وضعوا أناشيد لطقس الأعياد ومقالات جدلية تفنيدًا لأهل البدع.

* وكان في دير مار متى مدرسة تعلم علم اللاهوت الذي وضع أصوله فيها القديس المفريان ماروثا قبل أن يتقلد زمام المفريانية، ولم يزل رهبان هذا الدير ينصرف منهم كثيرون إلى دراسة العلوم حتى أواخر القرن الثالث عشر، وكان فيه خزانة كتب نفيسة، كما يستدل على ذلك من رسائل طيمثاوس الأول جاثليق النسطورية [820 م]، ورسائل الربان داود بن فولوس [780 م]، ومخطوطات مكتبة فلورنسا، ومن ذلك نسخة نفيسة جدًا من كتاب الأيام الستة للعلامة مار يعقوب الرهاوي خطت سنة [820 م] وهي اليوم في خزانة بطركية الكلدان بالموصل.

وإننا لنأسف لعدم معرفتنا أسماء مدارس تكريت وبغداد وسنجار وغيرها، من أمهات أبرشيات المشرق، التي نبغ منها العلماء الأعلام الآتي ذكرهم، أضف إلى هذا مدرسة مار سرجيس في جبل سنجار المعروف بالعطشان، وكفى دليلاً على فضلها وشهرتها نبوغ العلامة مار موسى بن كيفا منها.

علماؤها

1] ططيانس المشهور بالأثوري ولد وثنيًا ثم اعتنق النصرانية، ودرس العلوم اليونانية، ثم قرأ على القديس يوسطينوس الفيلسوف، وألف رسالة احتج فيها عن النصرانية، وجمع من الأناجيل الأربعة إنجيلاً واحدًا سماه دياطسرون، ثم ابتدع جديدة وقال بالهين نحو سنة [173 م].

2] ارخلاوس أسقف كشكر وكان عالمًا جادل ماني المبتدع المشهور نحو سنة [281 م].

3] مار شمعون ابن الصباغين جاثليق المشرق الذي استشهد سنة [341 م] وألف رسائل وأناشيد تتلى في أوقات الصلوات.

4] مار ميليس أسقف شوشان المجوسي الأصل، الذي تنصر وترهب واستشهد سنة [341 م] وكتب رسائل وميامير متنوعة.

5] أفرهاط المعروف بالحكيم الفارس، الذي ترهب وتسقف وصنف في سنة [337 إلى 345 م] كتابًا جليلاً دينيًا، يتضمن ثلاثًا وعشرين مقالة وسماه بكتاب البراهين (ܬܚܘܝܬܐ/ تحويثو/ Tahwitho) فيه تتجلى معرفته العميقة بالكتب المقدسة.

6] غريغوريوس رئيس الدير الأهوازي المولد، الذي أقام زمانًا في جزيرة قبرص وعرف سنة [366 م] ووضع في السيرة الرهبانية كتابًا كبيرًا في ثلاثة أجزاء.

7] آحو جاثليق المشرق [415 م] كتب قصص الشهداء على عهد شابور الثاني، وكان رجلاً فاضلاً متنسكًا محبًا للغرباء وملفانًا.

8] مار شمعون الارشمي الذي تميز بعلم الكتاب العزيز وقوة الحجة في الجدل حتى اشتهر بلقب المجادل الفارسي (ܕܪܘܫܐ/ دوروشو/ Dorusho)، وخدم أسقفية بلدة بيت أرشيم أكثر من ثلاثين سنة، وحامي الكنيسة الأرثوذكسية مقاومًا النساطرة، وطاف بلادًا عديدة في هذا السبيل، حتى قبضه الله شيخًا كبيرًا في القسطنطينية نحو سنة [540 م] كتب رسالة في تاريخ انتشار النسطرة في بلاد فارس، ورسالة قيمة في الشهداء الحميريين الذين استشهدوا في بلاد اليمن ورسائل في الإيمان.

9] القديس اخسنايا مطران منبج العلامة المشهور إمام اللغة السريانية المعترف [المتوفى سنة 523 م] الذي ولد في بعض بلاد باجرمي، ودرس في دير قرتمين والرها، وصنف كتبًا نفيسة في التثليث والتجسد وتفنيد النساطرة والخلقيدونيين وفي السيرة النسكية، وله رسائل قيمة وقوانين وليتورجية.

10] مار أحودامه جاثليق المشرق الشهيد، كان أسقف بيت عربايا ثم جعل جاثليقًا وتوفي سنة [575 م] بشر العرب وهدى كثيرين من بني طي وعقيل وتنوخ إلى النصرانية، ونصر بعض المجوس، ومنهم

أمير فارسي سماه جرجس، وبسببه نال الاستشهاد ووضع كتبًا في المنطق، وفي تركيب الإنسان والحرية.

11] مار ماروثا الذي ولد في بعض قرى بانوهدره، ورحل في طلب العلم حتى أصاب منه حظًا وافرًا فدرس علم اللاهوت في دير مار متى، ثم صير مفريانًا لتكريت وسائر المشرق عام [628 م] وتوفي [649 م] بعد ما رتب الكنيسة السريانية الشرقية، وكان حبرًا همامًا محنكًا يحسن تصريف الأمور، وبعنايته فتحت قلعة تكريت أمام المسلمين العرب، فدخلوها صلحًا وقد ألف شرحًا للإنجيل المقدس وتراجم (مواعيظ) ونقض كتاب بعض علماء النساطرة.

12] دنحا الأول مفريان المشرق، درس العلم في دير مار متى، وقرأ على سلفه مار ماروثا وخلفه في كرسيه، وتوفي عام [659 م] وكان رجلاً همامًا وصنف سيرة سلفه.

13] جد الربان داود بن فولوس الذي اشتهر في أواسط القرن السابع وانشأ مدرسة عظيمة في نينوى وألف في ما قال حفيده: خمسة كتب جدلية، وفي بعضها رد على ستين سؤالاً عرضها عليه أحد معلمي النساطرة.

14] هارون المعروف بالحكيم الفارسي الذي أثنى عليه العلامة يعقوب الرهاوي، ونوه بفضله وعلمه عاش في النصف الثاني من المئة السابعة وله مصنف.

15] إبراهيم المعروف بالصياد (ܢܚܫܝܪܬܢܐ/ نحشيرتونو/ Nahshirtono) المتوفى على الأرجح سنة [685 م] وله ناقورة معروفة وهو أحد مفارنة المشرق.

16] أثناسيوس الثاني البطريرك الانطاكي المعروف بالبلدي نسبة إلى مدينة بلد المتوفى سنة [687 م] قرأ العلوم في دير قنسرين وتميز فيها، ونقل من اليونانية إلى السريانية بعض الكتب الفلسفية، منها فلسفة فورفوريوس وتاليف القديس غريغوريوس الزينزي، وبعض رسائل القديس سويريوس البطريرك، وله رسالة في تصرف النصارى مع المسلمين.

17] كميوركي تلميذ البطريرك مار أثناسيوس البلدي.

18] أبو مالك غياث بن غوث المعروف بالأخطل التغلبي الشاعر المشهور سنة [705 م].

19] القطامي التغلبي الشاعر نحو سنة [719 م].

20] آل رامبشوع، جبريل وسبير يشوع وتلا.ميذهم الأساتذة الذين مر ذكرهم، وكانوا أئمة اللغة السريانية، وقد ضبطوا قراءات الكتاب العزيز وغيره من كتب آباء الكنيسة، وحملوا لواء العلم في ديارهم في أواخر المئة السابعة وأوائل الثامنة.

21] إيليا أسقف سنجار الذي اشتهر سنة [755 م] وكان رجلاً حكيمًا وملفانًا، وقد شرح المجلد الأول من مجموعة النزينزي شرحًا عجيبًا.

22] الربان داود بن فولوس رئيس الدير من بيت علم وفضل، ولد في إحدى قرى نينوى، وأزهر في النصف الثاني من القرن الثامن، ووضع كتابًا في النحو ورسائل كثيرة بليغة منظومة في مواضيع مختلفة.

23] مار قرياقس التكريتي بطريرك إنطاكية المتوفي سنة [817 م] كان حبرًا عالي الهمة، قديسًا وعلامة عقد ثلاثة مجامع سن فيها القوانين النافعة لبنيان الكنيسة وتهذيبها، وشرطن ستة وثمانين مطرانًا وأسقفًا، وله كتاب كبير نفيس في العناية الإلهية في ثلاثة مجلدات، وكتاب رسائل بديعة، وخطب بليغة وقوانين وكتاب نافور للقداس.

24] شمعون الثاني التكريتي ابن عمرايا (ܥܡܪܝܐ/ عومرديي/ 'Omroye') مفريان الشرق نحو [805–815 م] له ميمر في القديس توما الرسول.

25] حبيب بن خدمة أبو رائطة التكريتي الفيلسوف، الذي تأدب بآداب الفلسفة وعلم اللاهوت، وهو من جملة نقلة السريانية إلى العربية، وهو أول من كتب بالعربية عندنا، وقد بقي من نفثات يراعته أربع رسائل في التثليث والتجسد وصلاة التقاديس الثلاثة، وفيها يحتج عن دينه ومذهبه عرف سنة [828 م].

26] لعازار ابن العجوز مطران بغداد الذي كان موجودًا سنة [829 م] صنف تفسيرًا مختصرًا للقداس والعماد وميمرًا بليغًا في الميرون وليتورجية.

27] الراهب أنطون التكريتي العلامة إمام الفصاحة السريانية المشهور، وحجة اللغة الآرامية بلا منازع صاحب كتاب علم الفصاحة، الذي لم يصنف نظيره عند السريان المغاربة والمشارقة، وهو كتاب تاهت في محاسنه العقول، ودالت بفضله الفحول، بما حواه من جزالة الألفاظ، ونفاسة المعاني: وله أيضًا ديوان شعر، ورسائل منظومة سبكها برشاقة وبراعة ساحرة، ووشاها بفنون البديع، فجاءت تدل على جودة سليقته ونبوغه في فن القريض، وكتاب في العناية الإلهية والثواب والعقاب والقضاء والقدر، ومقال في سير الميرون، وصلوات، وكان معاصرًا للبطريرك مار ديونوسيوس التلمحري [818– 845 م].

28] يعقوب أسقف عانه الذي عاش في أواسط القرن التاسع، وكان أسقف العرب التغالبة، نقل عنه ابن الصليبي في بعض شروحه للإنجيل.

29] يوحنا بن جزوي الراهب التكريتي، ذكر له العلامة ابن كيفا ميمرًا في المبخرة، وهو من كتبة المئة التاسعة على الأرجح.

30] البطريرك ثاودوسيوس الانطاكي [887–896 م] التكريتي المولد والمنشأ، له مصنف في تفسير كتاب ابرثاوس، وكتاب في الطب.

31] سويريوس موسى بن كيفا بارمان وبيت كيونا والموصل البلدي المولد، الذي أزهر في النصف الثاني من القرن التاسع وتوفي عام [903 م] العلامة المشهور والملفان الخطير، صاحب التصانيف العديدة الحسان في علم اللاهوت والفلسفة والتفسير، منها شرح الكتاب المقدس، وتفسير أسرار الكنيسة، وكتاب نفيس جدًا في النفس، وآخر في الأيام الستة، وشرح لمنطق أرسطو، وكتاب في القيامة، وآخر في الفردوس، وشرح لمقالات الغريغري، وكتاب في الجدل، وكتاب تاريخ كنائسي، وكتاب أسباب الأعياد السيدية في ثلاثة مجلدات، وليتورجيات وخطب شتى وليتورجيتان.

32] أبو زكريا دنحا السرياني، كان متفلسفًا جدلاً نظارًا ناظره المسعودي في بغداد، وفي الكنيسة الخضراء في تكريت سنة [925 م]، وذكر له تاريخًا مفقودًا في ملوك الروم وفلاسفتهم وسيرهم وأخبارهم.

33] أبو إسحاق إبراهيم بن بكوس كان فيلسوفًا وطبيبًا مشهورًا، وألف كتبًا جليلة في الحكمة، ونقل كتبًا كثيرة إلى لغة العرب، ونقله مرغوب فيه، وكان ابنه علي يدري صناعة الطب في البيمارستان العضدي لما بناه عضد الدولة، ولأبي إسحاق من الكتب كناشه (كناش متوسط ما بين الكبير والصغير) وكتاب الاقراباذين ومقالة بان الماء القراح ابرد من ماء الشعير، ومقالة في الجدري.

34] ابنه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكوس، كان طبيبًا فاضلاً عالمًا بصناعة الطب، مشهورًا بها كان يدرس الطب في البيمارستان العضدي الذي أنشأه عضد الدولة بن بويه، وكان جيد المعرفة بالنقل، وقد نقل كتبًا كثيرة إلى العربي، وكلاهما عاش في القرن العاشر، وكان عارفًا مبرزًا في علمه وعمله، وكان مكفوفًا قليل التصنيف، وعمل مقالات صغارًا توفي في [14 أيلول 1004 م].

35] أبو زكريا يحيى بن عدي، المنطقي الفيلسوف المشهور التكريتي المنبت البغدادي المنزل، قال في حقه شهاب الدين العمري: (حكيم علمه والورق سيان، وقلمه والبرق سيان كان أول حاله علمًا في ملته ومعلمًا لأهل قبلته، وعرف بالمنطق مع أنه بعض علومه، ومن جملة ما دخل في الخصائص في عمومه، وأضاءت له مع الأدب لمع تمت فضائله، وأتمت هلاله والبدور الكوامل متضائلة).كان جيد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وكتب بخطه عدة كتب، وذكر له سبعون رسالة ومقالة وكتاب، منها تفسير كتاب طوبيقا لأرسطو، ومقالة في سياسة النفس، ومقالة في صناعة المنطق، وكتب في علم اللاهوت، وكتاب نفيس في تهذيب الأخلاق، وتوفي سنة [974 م].

36] (الخمار) أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار البغدادي، من أكابر الفلاسفة وأفاضل الحكماء الموصوفين بتوقد الذكاء وسعة الإطلاع على علوم الأوائل، نقل كتبًا كثيرة من السرياني إلى العربي، مع الإجادة والإتقان، وكان في الطب على طريقة بقراط وجالينوس، وله مصنفات كثيرة منها كتاب الوفاق بين قول الفلاسفة والنصارى، وكتاب الصديق والصداقة، وآخر في سيرة الفيلسوف، وكتاب الآثار المختلفة في الجو الحادثة عن البخار المائي، وكتاب في خلق الإنسان وتركيب أعضائه، وكتاب تدبير

المشايخ، ومقالة في الصرع، ونقل إلى العربي تقاسيم ايساغوجي (المقولات العشر) لالينوس الإسكندري، وشرحه واشتغل عليه كثيرون اشهرهم الأستاذ العالم أبو الفرج علي بن هندو وعاش في النصف الثاني من المئة العاشرة.

37] أبو علي عيسى بن زرعه، الفيلسوف البغدادي المتوفي سنة [1008 م] وهو احد المبرزين في علم الفلسفة والطب، والنقلة المجودين من السريانية واليونانية إلى العربية، له تصانيف ونقول ورسائل أربعة وعشرون، منها اختصار كتاب أرسطو في المعمور من الأرض، ومقالة في العقل، ومقالات لاهوتية جدلية في إثبات دين النصرانية، بإنشاء كأنه الوشي المنشور أو اللؤلؤ المنثور، وكان رجلا محدثًا، مليح المجلس، ملازمًا للتدريس والتصنيف والنقل.

38] أغناطيوس مرقس ابن قيقي مفريان المشرق من سنة [991 م] حتى سنة [1016 م] الذي سقط من رتبته، وكان شاعرًا مجيدًا في السريانية، وله فيها قصيدتان تدلان على سعة إطلاعه.

39] إسحاق بن زرعه البغدادي المتوفي سنة [1056 م] نقل من السريانية إلى العربية رسالة دامسطيوس اليوناني في السياسة.

40] أبو سعد الفضل بن جرير التكريتي، كان كثير الإطلاع على العلوم، خبيرًا في صناعة الطب، وخدم بها الأمير نصير الدولة بن مروان، وله مقالة في أسماء الأمراض واشتقاقاتها، وكتاب حسن في القرابين، توفي في أواسط المئة الحادية عشرة.

41] أخوه أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي، كان نظيره في العلم والفضل والتميز في الطب، وكان موجودًا في سنة [1079 م] وله كتاب الاختبارات في علم النجوم، ورسالة في منافع الرياضة وجهة استعمالها، وكتاب المصباح المرشد في أصول النصرانية، ومجموع كبير يعرف بالفائق، وكتاب في التاريخ من عهد آدم إلى دولة بني مروان.

42] سويريوس يعقوب بن شكو البرطلي مطران دير مار متى وأذربيجان المتوفي سنة [1241 م] كان ملفانًا لاهوتيًا وإمامًا لغويًا مبرزًا في النحو والفلسفة، متوقد الذهن، وله من الكتب كتاب الديالوغ (الأسئلة والأجوبة) مجلدان في النحو والفصاحة والشعر واللغة والمنطق والفلسفة، وكتاب الكنوز في التثليث والتوحيد، والتجسد الإلهي، ودحض البدع، واثبات الدين المسيحي، وفيه

فوائد في علمي الجغرافية ورسم العالم لا تخلو من بعد نظر، وكتاب الحق المبين في حقيقة دين النصرانية، وآخر شرح الرتب البيعية، وأسرار الكنيسة، وكتاب في الموسيقى البيعية، والنتان وعشرون رسالة في الألفاظ المسجعة وقصائد.

43] أبو نصر البرطلي وهو زاخي ومن آل حبوكني رئيس دير مار متى، كان فاضلاً متنسكًا موجودًا سنة [1290 م] وهو كاتب بليغ باللغة السريانية، له صلوات عديدة للاستغفار (حسايات) وسيرة مار متى الناسك منظومة شعرًا وكان يكتب الخط الأنيق.

44] ديوسقورس جبرائيل البرطلي، مطران جزيرة ابن عمر المتوفي عام [1300 م] كان عارفًا بفن الهندسة، ونظم شعرًا سيرة ابني العبري المفريانين أبي الفرج وبرصوم الصفي، وصنف ليتورجية للقداس، وبعض صلوات، ولم تخل العصور المتأخرة على ما أصيبت به من الانحطاط العلمي، على أثر التقهقر المدني، من بعض الكتاب المتوسطين الذين لم يهملوا لغتهم العزيزة منهم.

45] القس حسن بن زورقا الموصلي الذي عاش في المئة الخامسة عشرة، وله ميمر يتلى في ختام القداس.

46] دإيونيس هداية الله ابن شمو الحديدي أسقف ملبار الهند، الذي رفع لواء الكنيسة السريانية على تلك الديار، له قصيدة في مدح السيدة العذراء عليها السلام، ورسالة عامة تحوي بعض القوانين والأنظمة توفي سنة [1690 م].

47] وقورلس رزق الله الموصلي أسقف الموصل المتوفي سنة [1772 م] له صرف سرياني مختصر.

48] والقس يعقوب ساكا البرطلي المتوفي عام [1931 م] كان شاعرًا سريانيًا مطبوعًا وله ديوان فيه قصائد من جيد الشعر ورسائل.

أطباؤها

اشتغل بعض فضلاء السريان العراقيين بعلم الطب، وتميزوا فيه، وخدموا بعض الملوك والأمراء وصنفوا فيه الكتب القيمة والمقالات النافعة وقد مر بك

ذكر بعضهم:

1] كيحي بن عدي.
2] إبراهيم بن بكوس.
3] وعلي ابنه.
4] الحسن ابن الخمار.
5] عيسى بن زرعة.
6] الفضل بن جرير.
7] أبو نصر يحيى بن جرير.

ومن الأطباء الذين وقفنا على أسمائهم:

8] جبرائيل الفجاري المشهور، رئيس أطباء الملك كسرى الثاني أبرويز، وكان من أعيان السريان وعظماء المملكة الفارسية، ذا جاه عريض، وبسطة من النفوذ وهمة عالية [590–610 م].

9] الحكيم أبو الكرم أمين الدولة صاعد بن يحيى بن توما البغدادي، الذي خدم بعلم الطب لنجم الدولة أبا اليمن تجاحا الشرابي، وصار وزيره وكاتبه، ثم دخل في جملة أطباء الخليفة العباسي الناصر، وحظي الحظوة التامة لأمانته، وحسن إدارته، فسلم إليه عدة جهات يخدم فيها، وكان بين يديه فيها عدة دواوين، وكتاب وتقدم على أن كان بمنزلة الوزراء فاستوثقه الخليفة على حفظ أمواله وخواصه، وكان يرسله في أمور خفية إلى وزيره مؤيد الدين القمي، ونزل من نفسه منزلة خاصة حتى استودعه شؤون بنيه وبناته ونسائه، وكان أبو الكرم حسن العلاج كثير الإصابة، حسن الوساطة، جميل المحضر، قضيت على يده حاجات، واستكفيت بوساطته شرور وسالمته الأيام مدة طويلة، ولم ير له غير شاكر أو ناشر، وكان من ذوي المروءات والأمانات، وعاداه بعض السفلة لأجل أمانته، فقتلاه غيلة عام [1223 م] وأمر الخليفة فصلب قاتلاه، وقومت تركته بمليون دينار، وخلف ثلاثة بنين أجلاء أطباء وهم:

10] شمس الدولة أبو الخير سهل، الذي نشأ في الجاه والحرمة، والقرب من الخلفاء وبسط اليد في الأموال والتصرف بالأعمال، ولم يزل على ذلك منذ أيام الخليفة الناصر، وكان الخليفة المستنصر بالله يراسل به الوزير مؤيد الدين القمي، ثم ابن الناقد في تقرير القواعد والولايات وغيرها، توفي سنة [1245 م] فكانت تركته ستمئة ألف دينار.

11] الارخدياقون فخر الدولة ماري ابن توما، رتب بأمر الخليفة في جميع الأشغال التي كانت منوطة بأخيه شمس الدولة، من الوكالات للأبواب والنظر في الأراضي، وغير ذلك، وكان قبل سنة [1236 م] وكيلاً للخليفة المستنصر الذي خلع عليه لحسن إدارته وأمانته.

12] الشماس تاج الدولة أبو طاهر صاعد بن توما، رتب بعد وفاة أخيه وكيل باب عنبر المختص بابنة الخليفة المستنصر بالله، وكان حيًا سنة [1277 م] التي كان فيها صيره المفريان ابن العبرى شماسًا، وبالجملة فقد كان هؤلاء الأعيان الأربعة، يتقبلون في خدمة الخلفاء العباسيين في عصرهم، ويتولون تدبير البلاط الملكي، وقد فازوا بحظوظ عالية، ورتب سنية وأموال طائلة، وكانوا من أصحاب المكارم.

13] القس أبو الفرج الموصلي كان طبيب ملك الموصل سنة [1112 م].

14] وهكذا كان القس إبراهيم الموصلي سنة [1159 م].

15] أبو العز ابن دقيق الموصلي الطبيب، كان موجودًا سنة [1258 م] وآل دقيق أسرة شريفة، عرفت في المئة الثالثة عشرة، ونبغ فيها القس الراهب الفاضل أبو السعادات آل دقيق سنة [1246–1290 م] وكان يجمع بين الفضل والأدب وأشرف النسب.

16] الشماس همام ابن القس مبارك من آل حبوكني البرطليين كان يشتغل بالطب عام [1292 م] وقد نبغ من هذه الأسرة الكريمة الراهب أبو نصر الذي مر بك والبطريرك همام الانطاكي [1454 م].

17] القس جمال الدين الإربيلي الطبيب سنة [1369 م].

أعيانها

من أعيان سريان العراق الذين أوقفنا التاريخ على بعض أخبارهم:

1] جبرائيل السنجاري رئيس أطباء الملك كسرى أبرويز وقد مر ذكره.

2] إبراهيم بن يشوع التكريتي رئيس مدينة تكريت، وقائدها في أواسط المئة السابعة، وكان رجلاً حكيمًا، ميمون النقيبة ماجد الأعراق، من أهل الصلاح والغيرة على الدين، يتناول الناس ببره،

حتى عمت منافعه، وطابت مرافده وقد انشأ أديارًا، وهياكل في مدينة تكريت وضواحيها، منها دير العذراء، والهيكل الكبير، وانتشر إحسانه فيها حتى زهت وعلا ذكرها.

3] الرئيس ماروثا بن حبيب التكريتي، كان كاتبًا لأحد أمراء مصر، ذا شأن ونفوذ مع تبسط في إدارة تلك البلاد، ومن مآثره الخالدة انه ابتاع ديرًا من البطريرك الإسكندري القبطي باثني عشر ألف دينار، وأوقفه على رهبان السريان، وذلك في المئة الثامنة للميلاد على الأرجح، واشتهر ذلك الدير، ولم يزل معروفًا باسم دير السريان إلى اليوم، وموقعه في وادي النطرون في برية الاسقيط.

4] علي بن سوار ابن الخمار البغدادي، من سراة السريان في القرن العاشر، استكفاه افتكين القائد التركي مولى معز الدولة بن بويه، أمر كتابته واصطحبه معه في محاربته بلاد الشام، التي غلب عليها، وقطع خطبة المعز الفاطمي، وخطب للخليفة العباسي الطائع لله، وفي أول أمره غلب عسكر مصر، ولكن العزيز أخذه أسيرًا، وقتل علي رحمه الله عند انكساره، فمضى ناضر العود غزير الجود سنة [977 م] وكفاه فضلاً انه بذل جانبًا من ثروته الطائلة، في تجديد قبة كنيسة القيامة قبلة النصرانية في القدس الشريف، وهو اخو الفيلسوف الحسن أبي الخير ابن الخمار.

5] آل أبي عمران التكريتيون وهم تاج أعيان السريان العراقيين، وكانوا ثلاثة أخوة أكبرهم الشيخ أبو سالم ثقلت عليهم وطأة بعض حكام تكريت، فهجروها عام [991 م] واستوطنوا مدينة ملطية، ونسجوا على منوال كرام مواطنيهم، الذين كانت لهم كنائس بديعة خاصة بهم في بلاد كثيرة، ومنها كنيستان كبيرتان في مدينة الموصل، فانشأ آل أبي عمران كنائس وديورة للرهبان والراهبات في ملطية وضواحيها، وكانوا في أيام الجمع يطوفون على أهل البؤس والفاقة، يتعهدونهم بالصدقات، وذلك من الصباح حتى الظهر، ومن أدلة ثرائهم الواسع، أنهم ضربوا دراهم للدولة الرومية سنة بأمر القيصر باسيل الثاني، فلم تنقص ثروتهم، واقرضوه نحو مليون دينار ذهب، ومن أخبارهم الحسان التي تدل على سماحتهم وطيب نفوسهم، أن الشيخ أبا سالم افتدى خمسة عشر ألف، بخمسة وسبعين ألف دينار أداها عنهم إلى الأتراك.

6] الشماس يهبيا (ثاودورس) بن مرقس التكريتي، التاجر الشريف الذي بنى في تكريت كنيسة جديدة، باسم العذراء الطاهرة والرسل والقديس أحودامه، وأوقف عليها كتاب انجيل نفيس، كتب على رق بخط اسطر نجيلي بديع سنة [1041 م]، وكان سليل بيت رفيع ذي مجد مؤثل، وحسب شريف وأخباره في العفة، وشرف النفس، ومحبة العلم مأثورة، وهمته إلى عمارة بيوت الله وزخرفتها معروفة.

7] آل الطيب التكريتيون [نحو سنة 1120–1273 م]، وهي أسرة سريانية عراقية الأصل كريمة، كان رجالها يعانون التجارة، وانتقل جدها الأعلى الطيب بن يوسف إلى مصر، وتوطنها واختلطت عائلته بالأسر القبطية، ونشأ له أحفاد نجباء، دخلوا في دواوين الدولة الفاطمية، واشتهروا بالدقة والأمانة، والاعتصام بالتقوى، وظهر منهم أربعة أخوة أساقفة، ومنهم الشيخ جرجس المكين المعروف بالعميد، صاحب التاريخ المعروف بالمجموع المبارك من أول العالم إلى أيامه.

8] آل توما البغداديون مرت بك أخبارهم.

9] آل دقيق الموصليون راجع ما قيل أعلاه.

10] رئيس الكتاب صفي الدولة سليمان ابن الجمل البغدادي، من سراة زمانه وأجلائهم، رتب كاتبًا للسلة، وهو ديوان الزمام، وكان رأس الدواوين، وذلك نحو سنة [1258 م] وخدم هذا الديوان إحدى وثلاثين سنة حتى وفاته في أواخر سنة [1289 م] ومن حسناته أنه بمساعدته تجددت لنا كنيسة في بغداد بجوار دار الخلافة سنة [1274 م].

دير مار متى

أشهر أديار بلاد العراق وأقدمها واجلها آثارًا، وأكثرها رهبانًا ونساكًا وأحبارًا، وأبقاها على الأيام، بني في طرف جبل الفاف العالي، الكثير الشعاب، المعروف أيضًا بالجبل المقلوب، وهو حسن المستشرف، إذا جلس الرجل في صحنه نظر إلى مدينة الموصل، اختطه القديس متى السرياني الامدي الأصل، الناسك المشهور المعروف بالشيخ في الربع الأخير من المئة الرابعة

للميلاد، وهو رجل فاضل قديس، ولد في ابجر شاط من قرى ديار بكر، ومال إلى حياة النسك والعبادة تقربًا من الله سبحانه، وتخرج في دير صغير مجاور لقريته، ثم أكمل علومه الدينية في دير زوقنين الشهير، ثم رحل في فئة من فضلاء النساك إلى بلاد نينوى، الواقعة تحت حكم بني ساسان لحيف نزل بهم من القيصرين الرومانيين يليانس المنافق، ووالیس اعتصامًا منهم بدينهم، وتفرقوا في تلك البلاد، وأقام مار متى في هذا الجبل عابدًا الله، والتف حوله جمهور من طلاب النسك والزهادة، فدربهم في طرائق الفضيلة، ولما اهتدى إلى النصرانية على يده بهنام بن سنحاريب حاكم ولاية آثور (نینوی) وتوابعها واستشهد، اقترح القديس على أبيه، فعمر له كنيسة جليلة في ذلك الجبل، وانتشرت طريقة الرهبانية فيه انتشارًا عظيمًا، حتى بلغ عدد رهبان هذا الدير ونساك الجبل، نحو سبعة آلاف في عصره الذهبي، بشهادة الفاضل أبي نصر البرطلي احد رؤسائه الذي كان حيا سنة [1290 م] وصار الدير كرسيًا أسقفيًا ثم مطرانيًا في الربع الأخير من المئة الخامسة، وأول أساقفته الشهيد مار برسهدا الذي استشهد في سنة [480 م] اعتصامًا بالمذهب القويم، الذي كان يقاومه برصوم النصيبيني النسطوري، وكان مطرانه يتولى رعاية أبرشية نينوى وآثور والموصل الواسعة، أزمنة طويلة، وله الرتبة الثانية بعد مفريان المشرق وامتيازات خاصة، قررت في المجمع الذي عقد برئاسة مار ماروثا المفريان سنة [628 م].

وعندنا سلسلة مطارنته المعروفين منذ سنة [480 م] حتى الآن، وهي تشتمل على ثمانية وثلاثين مطرانًا، وأنشئت فيه مدرسة لتثقيف الرهبان بالعلوم الكتابية واللاهوتية، وقد زاد في نظامها ورقيها المفريان مار ماروثا الذي درس فيها علم اللاهوت، وازداد نجاحها في المئة السابعة والثامنة، بأساتذة اشتغلوا بضبط قراءات الكتاب العزيز، وكتب آباء البيعة، ووضعت فيه خزانة كتب ضمت مخطوطات نفيسة وآخر عهدنا بها سنة [1290 م]،

وكانت محفوظة إلى سنة [1357 م]، ولا شك أنها تبددت سنة [1369 م]، ولا يزال بعضها موجودًا، وقد نشأ من هذا الدير بطريركان، وسبعة مفارنة ومطارنة وأساقفة كثيرون، خدموا الأبرشيات السريانية، وجدنا منهم في التواريخ السريانية اثنين وثلاثين مطرانًا، وفي القرن الثالث عشر وما بعده، أقام فيه بعض المفارنة، ودفن فيه خمسة منهم اجلهم واشهرهم تاج علمائنا وإكليل مفارنتنا وأحبارنا مفخرة الشرق وعماد السريان العلامة المشهور مار غريغوريوس أبو الفرج ابن العبري نور الله ضريحه [1286 م]، وقد تقلبت الأحوال على هذا الدير الشهير وهبط عدد رهبانه هبوطًا محسوسًا في القرون المتوسطة، نذكر فيه ياقوت الحموي [1225 م] صاحب معجم البلدان نحو مئة راهب، قال وهم لا يأكلون الطعام إلا جميعًا في بيت الشتاء، أو بيت الصيف، وهما منقوران في صخرة، كل بيت منهما يسع جميع الرهبان، وفي كل بيت عشرون مائدة منقورة من الصخر، وهجم عليه الأكراد المجاورون له أربع مرات: سنة [1171 م] وسنة [1261 م] وسنة [1396 م] وسنة [1820 م]، وجدد الدير وهيكله أولا سنة [1609 م] ورم الدير ثانية سنة [1672 م]، وثالثة في عهد البطرك جرجس الرابع [1768-1781 م]، وفي سنة [1796 م] جدده رئيسه الهمام المطران اسطاثاوس موسى، وجدد كنيسته الأسقف قورلس دنحا سنة [1858 م]، وأخذ بعض كرام أهل الموصل وقراها، يبنون فيه غرفًا للزائرين في عهد المطران قورلس إلياس، ثم أنشئت فيه غرف جميلة على الطراز الحديث منذ سنة [1923 حتى 1935 م].

مطارنة دير مار متى***

1] مار برسهدا الشهيد سنة [480 م]
2] كرملي [544 م]
3] طوبانا

4] يشوعزخا
5] سهدو
6] شمعون
7] خرسطفورس الأول [628 م]
8] يوحنا الأول [685 م]
9] يوحنا الثاني [752 م]
10] داليال [817 م]
11] قرياقس [834 م]
12] خرسطفورس الثاني (سرجيس) [914 م]
13] طيمثاوس سوغدي [1075–1120 م]
14] ابن كوتلا [1142 م]
15] مجهول [1153 م]
16] صليبا [1189–1212 م]
17] سويريوس يعقوب [1232–1241 م]
18] أغناطيوس [1296 م]
19] سويرا يشوع [1296–1272 م]
20] باسيليوس إبراهيم [1278 م]
21] إياونيس [1290 م]
22] جمعه ابن جبير [1665 م]
23] سويريوس إسحاق [1684–1687 م]
24] سويريوس ملكي [1694–1700 م]
25] إياونيس متى الأول [1701–1713 م]
26] غريغوريوس لعازر [1728–1730 م]
27] طيمثاوس عيسى [1737–1739 م]
28] إيونيس يوحنا 3 [1743 م]
29] قورلس رزق الله [1760–1770 م]

30] قورلس متى 2	[1770–1782 م]
31] قورلس عبد العزيز	[1782–1793 م]
32] اسطاثاوس موسى	[1793–1828 م]
33] غريغوريوس إلياس	[1828–1838 م]
34] قورلس متى 3	[1846–1857 م]
35] قورلس دنحا	[1858–1871 م]
36] قورلس إلياس 2	[1872–1921 م]
37] قليميس يوحنا 4	[1923–1926 م]
38] ديونيسيوس يوحنا 5	[1935– م]

الهوامش

مقدمة

1] مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم: منارة أنطاكية السريانية، ط 1، 1992، ص XXVI – I.

توطئة: في الشعوب التي هبطت العراق قبل النصرانية

1] لم يكن الرافدان في العصور القديمة على ما نشاهدهما الآن، بل كان أحدهما يبعد عن الآخر زهاء عشرين فرسخًا، وهما يصبان في مستنقع عظيم أي في خليج فارس اليوم.

2] لم يتوصل الآثاريون إلى تعيين موقع شنغار تعينًا مدققًا وأن أغلب القول على أنه أرض بابل. وقد وردت هذه الكلمة في العهد القديم (التكوين 10: 10 و11/ 2 و14 / 9) و(إشعيا 11/ 11) و(دانيال 1/ 2 . .).

3. C.H.W. Johns: Ancient Babylonia, p. 18-19; L.W. King: A.History of Babylon. P. 119-120.

4. S. Lloyd: Twin Rivers .P16-38.

5] كان حمورابي معاصرًا إبراهيم الخليل وهو المعروف في التوراة باسم أمرافيل (التكوين 14/ 1) على ما أثبتته النقاب الأب غيل الدومنيكي في مجلة (لغة العرب. 1–318).

6] (العصور القديمة. ص 115).

7. Clay: Light on the Old Testament from Babel. P. 16-138-146; G.Rawlison: Five Great Monarchies, Vol . II , P. 435-497.

8] ورد في العهد القديم (التكوين 10: 12–30) أن الأرميين من أصل إرم خامس أنجال سام بن نوح. ووافت كلمة إرم فيه مضافة إلى عدة أسماء يراد بها موطن أو قبيلة أو أرض عالية مثل: إرم صوبا وإرم النهرين وإرم دمشق (التكوين 24/ 10 و25/ 20) و(أخبار الأيام الأول 1/ 17 و2/ 23 و19/ 6)، و(العدد 23/ 7)، و‹قاموس الكتاب المقدس 1/ 57›.

وعد العرب القبائل البائدة ساميين من نسل إرم بن سام إلا العمالقة فيقولون إنهم من نسل لاوذ أخي إرم. راجع ‹تاريخ العبر› و‹ديوان المبتدأ والخبر. 2/ 19 و71 و259›، و‹تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء. ص 81–85› و‹الكشاف 4/ 208–209›.

9] راجع مقالنا عن الآراميين في ‹مجلة سومر 318–320›.

10] (آراميا 5–15). 11] ‹تاريخ بابل وأثور. ص 15›، و(إشعيا 13/ 19).

12] ‹العصور القديمة. ص 129–136›.

13] كان أصل الفرثيين من الشعب الأشكاني أو الأشغاني. وهم ساكنو البلاد الجبلية التي في شرقي بحر قزوين وجنوبه.

14] طالع ‹اللمعة الشهية 1/ 8–13›، و‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ ج – ز›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 28 و2/ 194 –201 و240›، و‹دليل الراغبين. ص 9–11›، ومجلة ‹المشرق 3/ 817–819›.

15] قال نسطور إن في المسيح المتجسد أقنومين وطبيعتين. وقال أوطاخي إن فيه أقنومًا واحدًا وطبيعة واحدة.

16] ‹مروج الذهب 2/ 328›، و‹النصرانية وآدابها 1/ 86–78›، و‹العرب قبل الإسلام. ص 200›.

1] نصارى العراق في عهد الفرثيين

1] انظر التوطئة.

2] بنى مدينة طيسفون الملوك الفرثيون على الجانب الأيمن من نهر دجلة. ويشهد في موقعها اليوم ديوان كسرى وقبر سلمان الفارسي (سلمان بك).

3] ‹تاريخ كلدو وأثور. 1/ 163–169›، و‹تاريخ الموصل. 1/ 16–18 و2/ 10–12›، و‹الحيرة. ص 3–4›.

4] ‹فجر الإسلام. ص 98–107›، و‹تاريخ الموصل 2/ 8–9›، و‹الحيرة. ص 5›.

5] مار: كلمة آرامية معناها السيد وتطلق على القديسين والبطاركة والأساقفة.

[6 (لوقا 10).

[7 ‹المجدل. ص 1–2›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 1 – 5›.

[8 راجع ‹التاريخ الكنسي. 2/ 11 – 14›، و‹النصرانية وآدابها. 1/ 74 – 75›، و‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 1 – 14›، و‹الدرر النفيسة. ص 76– 197›، و‹ذخيرة الأذهــان. 1/ 32 – 39 و2/ 241 – 259›، ومجلة ‹المشرق. 1/ 100 و257 – 261 و3/ 817 – 819›، ومجلة ‹النجم. 6/ 242 و10: 10–13 و65–66 و71›، و‹سير الشهداء والقديسين. 1/ 45–94 و2/ 512›، و‹المكتبة الشرقية 4/ 5–30›، و‹Assemani: Bibliotheca Orientalis, Vol . IV 5-30›.

[9 الجاثليق: كلمة يونانية معرّبة تعني: العام، أي: الأب العام.

[10 جاء في ‹معجم البلدان عن المدائن. 4/ 445–446› «أن هذا الموضع كان مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم. فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسم[ا]. فأولها المدينة العتيقة التي لزاب ثم مدينة الإسكندر ثم طيسفون من مدائنها، ثم أسفانير ثم مدينة يقال لها رومية فسميت المدائن بذلك والله أعلم. وإنما سمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة».

[11 ‹مجلة النجم 10: 11›.

[12 العباد أو العباديون نصارى من عدة بطون وقبائل نزلوا الحيرة قبل الإسلام فاستوطنوها، أما سبب تسميتهم بالعباد فعللها أبو الفرج في ‹الأغاني. 11– 156›، قائلاً «ثم أغار عليهم سابور الأكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذ: آل عباد الله، فسموا العباد»، راجع عن العباديين ‹معجم البلدان. 2/ 379›، و‹كتاب التنبيه والأشراف. ص 143–148› و‹معجم ما استعجم. ص 18›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 250›، و‹مـــروج الذهب. 2/ 328›، و‹النصرانية وآدابها. 1/ 133– 134 و154 و2/ 445 و457›، و‹الحيرة. ص 16›، و‹العرب قبل الإسلام. ص 200›.

[13 البطاركة مفردها البطريرك كلمة يونانية الأصل معناها رئيس الآباء.

[14 السليح كلمة مأخوذة من <شليحا> الآرامية بمعنى الرسول.

[15 بر كلمة آرامية معناها: الابن.

[16 قال الحموي ‹2/ 687›: «دير قُنّى بضم أوله وتشديد ثانيه مقصور يقع على ستة عشر فرسخًا من بغداد منحدرًا بين النعمانية وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهر وأن بينه وبين دجلة ميل . .».

[17 كسكر مدينة تقع قرب واسط مدينة الحجاج على نهر دجلة المندرس بين بغداد والبصرة.

[18 كتاب ‹التنبيه والأشراف. ص 149›.

[19 ‹أعمال الرسل 2/ 9›.

[20 ‹ذخيرة الأذهان 1/ 49–50›، و‹التاريخ الكنسي 2/ 19›، و‹المكتبة الشرقية 3/ 2، ص 38–40›، ومجلة ‹المشرق 3/ 819›.

[21 ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 14–18›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 51–52›، و‹شهداء المشرق 1/ 42–68›، و‹المكتبة الشرقية 3/ 2. ص 40–73›، و‹الحيرة. ص 3›.

[22 الأسقف كلمة يونانية بمعنى الرقيب أو الناظر وهو رئيس الكهنة.

[23 <أحاد أبوي> كلمة آرامية مركبة معناها: أخو أبيه، لأنه كان أشبه الناس بأبيه.

[24 ‹المجدل. ص 3–5›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 5–7›، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 11›.

[25 ‹ذخيرة الأذهان 1/ 43–44›. 26] ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 10–11 و13›.

[27 الحديابي نسبة إلى حدياب. فكانت قبل الميلاد تمتد من الزاب الكبير إلى الزاب الصغير ومن دجلة إلى أذربيجان، وبعد الميلاد اتسعت فشملت أذربيجان وبقعة نينوى كلها وسماها العرب [حزة].

[28 ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 19›.

[29 حطارا هي مدينة الحضر وكانت مدينة عظيمة عن يمين نهر الثرثار إزاء تكريت في جنوبي الموصل تبعد عنها نحو خمسة وثمانين كيلومترًا. أما في عهد الدول الفرثية فكانت إمارة آرامية مستقلة ‹تاريخ الموصل 1/ 30›.

[30 الرها [Edesse]: مدينة في الجزيرة كانت تسمى في عهد السلوقيين كالروى، وتأويلها: الينبوع الحسن، فاختصر السريان هذا اللفظ وقالوا [أورهاي] وأخذه عنهم العرب وقالوا [الرها] وتسمى اليوم أورفة ‹تاريخ مختصر الدول، ص 7›.

[31 راجع عن برديصان ‹مجلة المشرق 977/18›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 125›، و‹التاريخ الكنسي، 1/ 45›، و‹الدرر النفيسة. 248–251 و415›، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 20–22›، و‹Duval: La Litterature Syriaque, p. 235-241›.

[32 ‹النصرانية وآدابها. 2/ 338–342›.

[33 ‹ذخيرة الأذهان 1/ 150–153›، و‹النصرانية وآدابها 2/ 393›.

[34 ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 6›.

[35 راجع عن نفوذ كرسي المدائن ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 8– 46›، و‹المجدل. ص 13–16›، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 7›، ومجلة ‹النجم 1/ 68–70›،

و«ذخيرة الأذهان 1/ 37—40»، و« Labourt: Le Christianisme dans L'Empire Perse, p. 15-27».

36] «تاريخ الموصل 2/ 8».

37] «المجدل. ص 8»، و«أخبار فطاركة كرسي المشرق 4—5»، و«كتاب التنبيه والأشراف. ص 149»، و«مجلة سومر 3/ 100 و107»، ومجلة «النجم 6/ 54—58»، ومجلة «المشرق 37/ 180—198».

38] «تاريخ كلدو وأثور 3/ 5».

39] كرخ سلوخ الاسم القديم لمدينة كركوك.

40] فرات ميشان، أو برات ميشان، أو ميشيان، أو ميسيان، أو دستيسان، من الأسماء القديمة لمدينة البصرة «الديورة في مملكتي الفرس والعرب. ص 1 و3»، و«أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 4».

41] «تاريخ كلدو وأثور 2/ 11»، و«ذخيرة الأذهان 1/ 41 و56»، و«مقدمة شهداء المشرق. ص د»، و«الحيرة. ص 55»، و«Duval: La Litterature Syriaque, p. 4».

42] «أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 7»، و«المجدل. ص 12»، و«ذخيرة الأذهان 1/ 56»، و«التاريخ الكنسي 2/ 25—27»، و«عصر السريان الذهبي. ص 6»، و«تاريخ كلدو وأثور 2/ 8».

43] «اللؤلؤ المنثور. ص 16»، و«اللمعة الشهية. ص 192—193»، و«العرب قبل الإسلام. ص 80»، و«تاريخ اللغات السامية. ص 125 و144—149»، و«العصور القديمة. ص 100—109 و124—125 و140»، و«تاريخ كلدو وأثور 1/ 160—162»، و«الآداب السريانية لدوفال. ص 4»، و« Maspero: Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient, p. 775-776»، و«W. Wigram: The Assyrians and their Neighbours, p. 27-29».

44] «تاريخ كلدو وأثـــور 2/ 19»، و«الدرر النفيسة. ص 244—247»، و«اللؤلؤ المنثور. ص 521—522»، و«تاريخ مختصر الدول. ص 124»، ومجلة «المشرق 4/ 100—102»، و«Duval: La Litterature Syriaque, p. 38-54»، و« A-S. Marmardgi: Diatessaron de Tatien, p. VIII-XI».

2] نصارى العراق في عهد الساسانيين

1] «مختصر تاريخ العرب. ص 25».

2] انظر قسم (انتشار النصرانية)، في الفصل الأول.

3] «ذخيرة الأذهان 1/ 59—60»، و«شهداء المشرق 1/ 74—142».

[4 ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 28-60›. 5] ‹ذخيرة الأذهان 1/ 76›.

[6 باجرمي: البقعة الواقعة بين دجلة والزاب الصغير وجبال حمرين ونهر ديالة.

[7 ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 13›، و‹المجدل. ص 18›.

[8 ‹كتاب التنبيه والأشراف. ص 149›.

[9 ميافارقين أشهر مدن ديار بكر وسميت: مدينة الشهداء، لما حوته من ذخائر القديسين الذين استشهدوا في حكم سابور الثاني [309-379 م] كان قد نقلها ماروثا إليها.

[10 ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 29-31›، و‹المجدل. ص 22-24›، و‹التاريخ الكنسي 2/ 47 -48›، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 24 و95 و98-102›، و‹ Labourt: Le Christianisme dans L'Empire Perse, p. 87-92›.

[11 ‹ذخيرة الأذهان 1/ 72›، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ و›.

[12 ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 107-111›.

[13 ‹شهداء المشرق 2/ 224-237››، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 106-18›.

[14 ‹ذخيرة الأذهان 1/ 100-110›.

[15 نسبة إلى الطقس: كلمة آرامية معناها: ترتيب، أو نظام، وقد أطلقت على مجموع صلوات وتضرعات منسقة ومنظمة لأيام السنة كافة.

[16 يقع عيد الدنح بعد رأس السنة بسبعة أيام وهو عيد الغطاس، والكلمة مشتقة من الفعل الآرامي <دنح> بمعنى: أشرق، أو لاح، أو ظهر.

[17 ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 102-103›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 106 و109-110›، و‹المكتبة الشرقية 3/ 1. ص 363 و370-376›، و‹ Labourt: Le Christianisme dans L'Empire Perse, p. 92-99›، و‹[السنهادوسات أي: المجامع النسطورية]/ Chabot: Synodes Nestoriens , p . 17-22›.

[18 بيت أرماني سميت مع أراضي البصرة بعد فتوحات الإسلام العراق العربي.

[19 ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 12›.

[20 كان مولد ماني سنة [240 م] في شوشن، ولما ترعرع تنصر، ثم ادعى الروح القدس وانقطع إلى الإشتغال بالعلوم الفلسفية والتبحر في الآداب الدينية، وادعى بإلهين إله الخير وإله الشر. وقد شاعت تعاليمه في الشرق.

[21 ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 43›، و‹المكتبة الشرقية 2/ 2. ص 43-47›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 61›، و‹شهداء المشرق 1/ 80-96›، و‹الدرر النفيسة. ص 417›.

[22 <بربعشمين> كلمة آرامية مركبة معناها: ذو الأسماء الأربعة.

[23 «التاريخ الكنسي 2/ 39»، و«شهداء المشرق 1/ 282–290»، و«ذخيرة الأذهان 1/ 85–86».

[24 القناني: نسبة إلى (دير قنى).

[25 كان تومرصا من بلاد كسكر، ويسميه ابن العبري تموزا، واشتهر بميله إلى بناء الكنائس والديرة «أثر قديم في العراق. ص 78».

[26 «النصرانية وآدابها 1/ 79».

[27 يؤخذ من أخبار المؤرخين أن دير قنى قد استولى عليها الخراب في أوائل القرن الرابع عشر للميلاد، ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى أطلال عمارات قديمة تعرف عند الآهلين هناك باسم (الدير)، ولا تبعد أن تكون تلك الأطلال بقايا دير قنى ودير العساقول ودير مار ماري (مجلة «المشرق 37/ 198»)، و(مجلة «الاعتدال 4. النجف 1937 م، ص 195»)، «طه الهاشمي: مفصل جغرافية العراق. بغداد 1930 م، ص 529»، ومجلة «النجم 10: 52».

[28 «تاريخ كلدو وأثور 2/ 30»، و«ذخيرة الأذهان 1/ 95 – 96 و107».

[29 «كلدو وأثور 2/ 104»، و«المجدل. ص 25»، و«أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 31».

[30 (دسكرة) قرية كبيرة بنواحي نهر الملك، كمدينة صغيرة على ضفة نهر الملك «المراصد 1/ 452».

[31 «النصرانية وآدابها 1/ 79–80»، و«تاريخ كلدو وأثور 2/ 104–105»، و«أخبار فطاركـــة كـــرسي المشرق. ص 32»، و«المجدل. ص 26»، و«المكتبة الشرقية 3/ 1. ص 370»، و«التاريخ الكنسي 2/ 53»، و«ذخيرة الأذهان 1/ 96».

[32 «النصرانية وآدابها 1/ 86»، و«تاريخ كلدو وأثور 2/ 128–171»، و«ذخيرة الأذهان 1/ 132–ε٥ ?»، و«التاريخ الكنسي 1/ 404»، و« Labourt: Le Christianisme dans L'Empire Perse, p. 248-60»، و« A.H. Hourani: Minorities in the Arab World, p. 4-5».

[33 تعني كلمة (السريان) باللاتينية واليونانية: أهل الشام؛ راجع: «المعجم اللاتيني والفرنسي تأليف ل. كيشبرة وأ. داملوي [باريس 1872 م] 2/ 151». و«المعجم اليوناني الفرنسي تأليف م.ا بايي [باريس 1894 م]. ص 1874».

[34 انظر الفصل الثاني (الحكم الساساني).

[35 «الحيرة ص 5».

[36 «تاريخ كلدو وأثور 2/ 156 و161».

[37 (الهياطلة): جيل من الناس كانت دياره في شرقي بحر الخزر على شاطئ نهر جيحون [أي: ما وراء النهر] وفي جنوبي تركستان اليوم.

38] ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 169 و182–183 و201 و205›.

39] نسبة إلى مدينة أرزن أو أزرون. كانت واقعة بين سعرد وميافارقين، وترى أخربتها الآن في محل يقال له: خراب بازار، أي: المدينة الخربة. وتبعد نحو عشر ساعات من سعرد.

40] ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 207›، و‹Labourt: Le Christianisme dans L'Empire Perse, p. 206-14›.

41] ‹ذخيرة الأذهان 1/ 245›.

42] ‹مجلة النجم 2/ 166›.

43] ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 212 و231›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 68›.

44] ‹ذخيرة الأذهان 1/ 195–200 و245–249›، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 236– 239›، و‹المكتبة الشرقية 3/ 1. ص 449–453›.

45] ‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 243–246›، ومجلة ‹النجم 10: 306 – 307›.

46] ‹تاريخ مختصر الدول. ص 169›.

47] ‹تاريخ الأمم والملوك 4/ 12›، و‹تاريخ الكامل 2/ 147–150›.

48] بين القادسية والكوفة خمسة عشر فرسخًا.

49] ‹تاريخ التمدن الإسلامي 3/ 128›.

50] ‹فجر الإسلام. ص 18›.

51] تقع مدينة الحيرة جنوب الكوفة على بعد ثلاثة أميال منها، وتشاهد اليوم أطلال مبانيها وقصورها وديرها وبيعها. وقد بدأ خرابها عندما شاد المسلمون الكوفة [17 هـ/ 638 م]. انتشرت النصرانية في ربوعها منذ القرون الأولى للميلاد، وقوي شأنها في القرن الرابع. وقضت السياسة إذ ذاك على أمرائها أن يطيعوا الدولة الساسانية ويحاربوا في صفوف جنودها ضد ملوك الروم لكي يعفوا من دفع الأتاوة ‹النصرانية وآدابها 1/ 87–92 و2/ 452–453›، و‹فجر الإسلام. ص 16›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 148›، و‹الحيرة. ص 99 و115›، و‹الفخري. ص 23›.

52] ‹تاريخ الموصل 2/ 19›، ومجلة ‹النجم 4/ 9›، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 160–161›.

53] ‹كتاب الرؤساء. ص 351›. و‹Labourt: Le Christianisme dans L'Empire Perse, p. 289›.

54] النتفري نسبة إلى نتفرى إحدى مدن حدياب في جوار إربيل.

55] ‹ذخيرة الأذهان 1/ 182›، و‹المكتبة الشرقية 3/ 1. ص 191 و431›، و‹تاريخ الموصل 2/ 20›.

56] ‹مشيحز خاص. 75›، و‹المكتبة الشرقية 3/ 2. ص 927›، و‹تاريخ كلدو وأثور 2/ 280›.

57] ‹اللؤلؤ المنثور. ص 287›.

58] تقع بلد على دجلة ومنها إلى الموصل ستة فراسخ ‹تقويم البلدان. ص 285›.

[59 الرستاق أو الرزداق عن أصله الآرامي <رستانا> ومعناه: السواد والقرى. جاء في ‹معجم البلدان› عن مرج الموصل: مرج الموصل ويعرف بمرج أبي عبيدة عن جانبها الشرقي موضع بين الجبال منخفض من الأرض شبيه بالغور فيه مروج وقرى. ولاية حسنة واسعة على جبالها قلاع.

[60 ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 50 و60›، و‹المجدل. ص 40 و51›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 188 و244›.

[61 ‹الديورة. ص 28 و43–44 و52 و58 و66›.

[62 ‹الحيرة. ص 54–55›. 63] ‹النصرانية وآدابها 2/ 346›.

[64 ‹تقويم البلدان. ص 299›. 65] ‹معجم البلدان 1/ 796›.

[66 ‹ذخيرة الأذهان 1/ 102›.

[67 كان للنصارى في تكريت حي باسمهم ‹معجم البلدان 1/ 862›. وقد وردت أخبارهم في ‹رحلة تافرنييه. ص 74›. واشتهرت هذه المدينة بكرسي مفارنة المشرق من سنة [628 م] حتى منسلخ المئة الثانية عشرة ‹اللؤلؤ المنثور. ص 506›. ووجد فيها رقيم يرتقي عهده إلى القرن الثالث عشر، وقد سطر عليه باللغة الآرامية ما تعريبه: توفي بموجب التاريخ اليوناني في [22 آب سنة 1528] [1217 م]. غفر الله لأبي الناصر الشماس ‹مجلة لغة العرب 3/ 42›.

[68 المفريان كلمة آرامية تعني: المثمر، وهو اسم لصاحب رتبة كنسية خاصة بالكنيسة السريانية مرادفة للجاثليق. فهو دون البطريرك وفوق السقف ‹اللؤلؤ المنثور. ص 502›.

[69 ‹ذخيرة الأذهان 1/ 326›.

[70 ‹النصرانية وآدابها 1/ 85–86 و201–210 و2/ 445›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 344›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 48–50 و35 و59–61›.

[71 كانت ديارات الأساقف بالنجف ظاهر الكوفة وهو أول الحيرة. وهي قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير. عن يمينه قصر أبي الخصيب وعن شماله السدير ‹معجم البلدان. ص 2/ 642›.

[72 ‹الأغاني. ص 2/ 24–25›، و‹الحيرة. ص 25 و52›.

[73 ‹معجم البلدان. ص 2/ 639›. 74] ‹معجم البلدان. ص 2/ 639›.

[75 يقال لها: هند الكبرى، تميزًا لها من هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر، المعروفة بالحرقة.

[76 ‹معجم البلدان. ص 2/ 709›. 77] ‹معجم البلدان. ص 2/ 644›.

[78 ‹مراصد الاطلاع. ص 1/ 427›، و‹معجم البلدان. ص 2/ 651 و677›.

79] ‹معجم البلدان. ص 2/ 656›.

80] ‹مراصد الاطلاع. ص 1/ 427›، و‹معجم البلدان. ص 2/ 660›.

81] <العمر> كلمة آرامية تعني: البيت، أو المنزل، أو الدير.

82] ‹مجلة لغة العرب 1/ 82›.

83] ‹معجم البلدان. ص 2/ 667›.

84] ‹معجم البلدان. ص 2/ 672›.

85] ‹معجم البلدان. ص 2/ 678–681›.

86] ‹معجم البلدان. ص 2/ 694›.

87] ‹معجم البلدان. ص 2/ 651›.

88] ‹معجم البلدان. ص 2/ 689›.

89] طالع عن الديرة وأسمائها، وعن انتشار الرهبانيات في الشرق ‹معجم ما استعجم. ص 358–381›، و‹معجم البلدان. ص 2/ 639–710›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 58–59›، و‹الحيرة. ص 41–49›، و‹مراصد الاطلاع. ص 1/ 426–440›، و‹مالك الأبصار 1/ 254–273›، و‹Labourt: Le Christianisme dans L'Empire Perse, p. 302-324›، و‹كلدو وأثور 2/ 33–39 و256–270›، و‹أثر قديم في العراق. ص 59–67›، ومجلة ‹المشرق 2/ 262 – 265›.

90] ‹معجم البلدان. ص 2/ 687 و703›.

91] ‹النصرانية وآدابها 2/ 346 و357›، ومجلة ‹النجم 4/ 258–262›، و‹الحيرة 49–53›، و‹التصوير عند العرب. ص 35›، و‹Bell, Gertrude L., Amurath to Amurath [London, 1924]›.

92] ‹الحيرة. ص 49–53›.

93] ‹عصر السريان الذهبي. ص 92–108›، ومجلة ‹المشرق 22/ 423 و550 و523›، ومجلة ‹النجم 8/ 165–170›.

94] ‹كتاب الرؤساء. ص 36–37›، ومجلة ‹المشرق 10: 845 و15/ 708 و16/ 840›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 411›، ومجلة ‹النجم 8/ 171 و10: 2–4 و341›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 56– 57 و80–92›.

95] الليتورجيات أو النافورات مفردها الليتورجية أو النافورة [آنا فورا] كلمتان يونانيتان معناهما: خدمة، أو صلوات القداس.

96] <الحسايات> مفردها الحساية؛ كلمة آرامية النجار يراد بها صلاة الاستغفار أو الدعاء.

97] ‹كتاب الرؤســاء. ص 17›، و‹تــاريخ كلدو وأثور 2/ 286›، و‹مدرسة نصيبين. ص 46–47 و53 و70›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 42 و74–75 و106–107 و265›، ومجلة ‹النجم 1/ 301 و7/ 171–173 و9/ 369 – 370›.

98] <الربان> كلمة آرامية بمعنى الأستاذ، ونريد بها إصطلاحًا الراهب القسيس ‹اللؤلؤ المنثور. ص 499›.

99] ‹ذخيرة الأذهان 1/ 231–233 و368 و2/ 277–279›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 62–69›، ومجلة ‹النجم 9/ 368–374›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 53 و71 و287–288›.

100] ‹المستطرف في كل فن مستظرف. ص 2/ 131. مصر 1285 هـ›.

101] البربط آلة تشبه العود المزهر.

102] ‹الأخبار الطوال. ص 53›، ومجلة ‹النجم 4/ 354 و357›.

103] ‹الأغاني 14/ 5›، و‹الديارات النصرانية. ص 90›.

104] ‹الأغاني. ص 2/ 116–124 و5/ 34 و46 و10: 128 و135›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 70–73›، و‹النصرانية وآدابها 2/ 360–363›، و‹الحيرة. ص 89–91›.

105] ‹النصرانية وآدابها 2/ 381›.

106] اللطيمة هي العير التي تحمل الطيب وبز التجارة ‹تاج العروس 9/ 60›.

107] ‹الأغاني 19–75›.

108] ‹الأغاني 16/ 95›.

109] مجلة ‹لغة العرب 2/ 427–429›، ومجلة ‹المشرق 16/ 68›، و‹فتوح البلدان. ص 471›.

110] ‹فجر الإسلام. ص 13–14 و17›.

111] ‹الأغاني. ص 20: 87›، و‹الديارات النصرانية. ص 84›.

112] ‹عيون الأنباء 1/ 185›.

113] ‹شعراء النصرانية. ص 449›.

114] ‹الأغاني 8/ 48 – 49 و76 و20: 132›، و‹تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر. 2/ 309 – 313›، و‹الحيرة. ص 82–84›، و‹النصرانية وآدابها. 2/277›.

115] ‹مروج الذهب. 1/ 221›.

116] ‹معجم ما استعجم. 1/ 366›.

117] ‹الأغاني. ص 2/ 121 و9/ 165›، و‹شعراء النصرانية. ص 478›، و‹الحيرة. ص 103›.

118] سمي العرب المسيحيون القربان: الشبر ‹النصرانية وآدابها. 1/ 209–210›.

119] ‹الأغاني. 2/ 24 و31 و112 و121–122 و8/ 81–82 و17/ 129›، و‹النصرانية وآدابها. 2/ 467›، و‹شعراء النصرانية. 2/ 452–453›.

120] ‹شعراء النصرانية. ص 469 و445 و643 و713›، و‹الأغاني. 2/ 38 و118 و5/ 185 و9/ 157 و19/ 131›.

121] ‹تاريخ كلدو وآثور. 2/ 179–180›، و‹Chabot: Synodes Nestoriens , p .80P›.

[122] ‹[التاريخ السعردي]/ A. Scher, Histoire Nestorienne [Chronique de Seert] vol. II, p. 498, 510, 525›.

[123] ‹مدرسة نصيبين. ص 57›، و‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 269›.

[124] كناشات، مفردها كناشة: أوراق تجعل كالدفاتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط ‹تاج العروس. 4/ 347›، وهي كلمة آرامية الأصل من فعل <كنش> أي: جمع وضم.

[125] ‹أخبار الحكماء. ص 57›، و‹عيون الأنباء. 1/ 109 و163›، و‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 364›.

[126] ‹فجر الإسلام. ص 28›.

[127] ‹ذخيرة الأذهان. 1/ 96›، و‹المكتبة الشرقية. 3/ 2/ 869–871›.

[128] الباهذري نسبة إلى باهذرا. كانت تشمل قضاء زاخو وقسمًا من قضاء دهوك إذ امتدت من نهر الخابور إلى نهر دجلة.

[129] ‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 226–232 و291–292›، و‹ذخيرة الأذهان. 1/ 245–246›، و‹A. Scher, Histoire Nestorienne [Chronique de Seert] vol. II/522, 524f›.

[130] معلثايا قرية صغيرة تعرف اليوم بهذا الاسم في جوار دهوك.

[131] كان مؤسس هذه الكلية مار يعقوب أسقف نصيبين [المتوفى سنة 388 م]، وقد انتقلت إلى الرها على يد الملفان مار أفرام [المتوفى سنة 373 م] ومدرسيها بعدما استولى الملك سابور على نصيبين، عرفت يومئذ بمدرسة الفرس.

[132] ‹تاريخ الموصل. 2/ 20›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 44›، و‹المكتبة الشرقية. 3/ 1/ 55›، و‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 274–275›، و‹ذخيرة الأذهان. 1/ 144–154›، و‹Duval: La Litterature Syriaque, p. 344f›.

[133] تقع نحل في جنوب غرب كركوك.

[134] دير تلعدا أو الدير الكبير في كورة إنطاكية.

[135] ‹اللؤلؤ المنثور. ص 227›، و‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 135 و155 و164–165 و301›، و‹المكتبة الشرقية. 2/ 10–46›، و‹Duval: La Litterature Syriaque, p. 354-8›، و‹ذخيرة الأذهان. 1/ 210–211›.

[136] ‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 230 و282– 428›، و‹تاريخ الموصل. 2/ 20–21›، و‹كتاب الرؤساء. ص 53–54 و64–66›، و‹مدرسة نصيبين. ص 42–45›، ومجلة ‹المشرق 5/ 848›، و‹ذخيرة الأذهان. 1/ 185›.

[137] ‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 257– 258›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 175–181›، و‹الديورة. ص 28›.

3] تاريخ اللغة الآرامية

[1 المراد باللغات السامية اللهجة التي كانت ألسنة أبناء سام بن نوح ومن أخذ أخذهم وهم سكان القسم الجنوبي من غربي آسيا من حدود الأرمن شمالاً إلى البحر العربي جنوبًا ومن خليج العجم شرقًا إلى البحر الأحمر غربًا؛ مجلة «الضياء 4/ 486».

[2 مجلة «الضياء 4/ 491».

[3 راجع في هذا الصدد «C . Brockelmann - Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitichen Sprachen. Berlin, 1908-1913»، و«إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية. مصر 1929 م».

[4 (التكوين 12/ 1-11). 5] «تاريخ التمدن الإسلامي. 1/ 13».

[6 «تاريخ العصور القديمة. ص 109».

[7 (إشعيا 26/ 11)، و(دانيال 2/ 4)، و(أخبار الملوك الثاني 18/ 26)، و(عزرا 4/ 7).

[8 «تاريخ العصور القديمة. ص 163) و«اللمعة الشهية. ص 16–20 و46 و95–60»، و«تاريخ اللغات السامية. ص 118 و120 و122–123 و129–133»، و«اللؤلؤ المنثور. ص 17»، ومجلة «المشرق. 6/ 705–706»، ومجلة «الاعتدال 4. النجف، 1937 م، ص 252».

[9 مجلة «المشرق 10: 673 و11/ 51–60 و118–126 و302–310».

[10 «عصر السريان الذهبي. ص 30». 11] راجع (عزرا 41/ 7).

[12 مجلة «لغة العرب. 4/ 265».

[13 «تاريخ الموصل. 2/ 12–14»، و«اللمعة الشهية 1/ 50–98»، و«تاريخ مختصر الدول. ص 18»، ومجلة «النجم. 8/ 367–375».

[14 «Duval: La Litterature Syriaque, p. 337»، و«اللؤلؤ المنثور. ص 187»، و«اللمعة الشهية. 1/ 201–203»، و«Labourt, p 290»، و«Hourani, p. 11».

[15 كلمة (السورث) مختزلة من الكلمة الآرامية <سور يائيث> أي: بحسب اللغة السريانية، وهذه الصيغة مستعملة عن المتكلمين بهذه اللغة فيقولون: قردث وتركث ومغاث، أي: بحسب اللغة الكردية والتركية والمغولية.

[16 الزقاف: حركة من حركات اللغة الآرامية «الأصول الجلية. ص 8».

[17 راجع عن اللغة الكلدانية والسريانية «اللمعة الشهية 1/ 60–66»، و«معجم دليل الراغبين. ص 12–13»، و«ذخيرة الأذهان. 1/ 31»، و«تاريخ اللغات السامية. ص 146»، ومجلة «المشرق 1/ 101– 103»، ومجلة «النجم. 2/ 23».

[18 ‹الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية. ص 11–17 و161–199›، و‹اللمعة الشهية. 2/ 13–55›.

[19 مجلة ‹الضياء. 4/ 583›. [20 (إنجيل مرقس 7/ 26).

[21 ‹اللمعة الشهية 1/ 99›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 6›.

[22 كان اليهود يكتبون بهذا القلم قبل جلائهم إلى بابل في عهد بختنصر [604–561 ق م].

[23 ‹العرب قبل الإسلام. 1/ 80–81 و219–220›.

[24 مجلة ‹لغة العرب. 2/ 425–434›.

[25 ‹كتاب التمرنة. 2/ 29–32›، و‹رحلة بنيامين. ص 97 و189›.

[26 ‹كتاب التمرنة. 2/ 32›.

[27 أشهر من أجاد صناعة الخط الإسطرنجيلي بولس بن عِرقا الرهاوي (في أوائل القرن الثالث الميلادي). قال الحسن بن بهلول في معجمه نقلاً عن حنا ليشوع بن سروشون أسقف الحيرة (القرن التاسع الميلادي): إن الله خول بولس أحكام هذا القلم إجلالاً للإنجيل لكي يتبسط الفكر فيجد في قراءته بهذه الخطوط الفسيحة الجميلة ‹1/ عمود 225–226›.

[28 أول من نقل الكتب الطقسية الملكية من اللغة الآرامية إلى العربية البطريرك أفتيموس الثاني (المتوفى سنة 1637 م)؛ راجع ‹السلاسل التاريخية. ص 89›.

[29 الريش والدلث من الحروف الأبجدية الآرامية.

[30 ‹اللؤلؤ المنثور. ص 26–31›، و‹اللمعة الشهية. 1/ 98–173›، و‹تاريخ اللغات السامية. ص 144–160›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 77–92›.

[31 ‹تاريخ كلدو وأثور. 1/ 113–114›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 17›.

[32 ‹اللؤلؤ المنثور. ص 190–191›.

[33 ‹تاريخ الموصل. ص 2/ 17›، و‹تاريخ كلدو وأثور. 2/ 40›، و‹Duval, p. 241f›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 154›.

[34 انظر الفصل الأول (الشؤون الاقتصادية والعلمية).

[35 مجلة ‹المشرق. 18/ 980›، و‹Duval, p. 235-241›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 125›، و‹التاريخ الكنسي. ص 1/ 45›، و‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 20–23›، و‹الدرر النفيسة. ص 415›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 57›.

[36 ‹المكتبة الشرقية 3/ 1. ص 85›، و‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 45›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 195›، و‹الدرر النفيسة. ص 468›، و‹Duval, p. 123-5›، ومجلة ‹النجم. 8/ 299–304›.

[37 ‹تاريخ كلدو وأثور. ص 1/ 113–114 و2/ 39–41›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 16 –18›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 17›.

[38 ‹اللمعة الشهية. 1/ 172– 292›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 14–16›، و‹تاريخ اللغات السامية. ص 148›.

[39 ‹الدرر النفيسة. ص 251›، ومجلة ‹المشرق. ص 18/ 180›.

[40 كان في الرها كنيسة عظيمة وفيها أكثر من ثلاثمئة دير للنصارى ‹تقويم البلدان. ص 277›.

[41 ‹تاريخ كلدو وأثور. المقدمة، وص 8›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 10›.

[42 ‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 41–43›، و‹أعمال القديسين والشهداء. ص 4/ 262›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 87–89›، و‹المكتبة الشرقية. ص 1/ 17–24›، ومجلة ‹النجم. ص 4/ 10 و10/ 178–179›، و‹الدرر النفيسة. ص 457›.

[43 انظر الفصل الثاني (الشعراء والأديان).

[44 ‹Duval, p. 474ff›، و‹التاريخ الكنسي. ص 1/ 289›، و‹المكتبة الشرقية. ص 1/ 476–494›، و‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 303–304›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 351 و366–371›، ومجلة ‹النجم. ص 9/ 12›.

[45 ‹اللؤلؤ المنثور. ص 350›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 419–420›، و‹المكتبة الشرقية. ص 2/ 127–131 و508›، و‹Duval, p. 391f›.

[46 ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 61–71›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص ؟›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 5›.

[47 ‹Duval, p. 329-333›، و‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 46–50›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 201›، و‹الدرر النفيسة. ص 523›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 97–100›، و‹A. Scher, I:293ff›،ومجلة ‹المشرق. ص 18/ 721–732›، ومقالنا في ‹نشرة الأحد. ص 1/ 393›.

[48 راجع الفصل الثاني (الشعراء والأديان).

[49 السروجي: نسبة إلى سروج. مدينة بنواحي حران من بلاد الجزيرة، وبينها وبين حران نحو مسيرة يوم ‹تقويم البلدان. ص 277›.

[50 ‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 164 و300›، و‹المكتبة الشرقية. ص 1/ 283 و340›، و‹Duval, p. 353ff›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 221›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 131›.

[51 ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 278–279›، و‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 277›.

[52 هرمزد أرداشير، أو هرمشير وتدعى اليوم: الأهواز، أو سوق أهواز؛ تقع على نهر نارون وسماها اليونان ديوسبوليس ‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ نج؟›.

[53 ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 279›، و‹تاريخ كلدو وآثور. ص 2/ ح›، و‹ Duval, p. 348›، و‹كتاب الرؤساء. ص 42›.

[54 ‹تاريخ التمدن الإسلامي. ص 3/ 128–132›.

[55 ‹اللؤلؤ المنثور. ص 190–191›، و‹الدرر النفيسة. ص 25›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 62–63›.

[56 مجلة ‹المشرق. ص 18/ 730›.

[57 انظر الهامش رقم [47] في هذا الفصل الثالث.

[58 ‹اللؤلؤ المنثور. ص 209–210›، و‹Duval, p. 335›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 128›.

[59 راجع قسمي (الشعراء والأديان) و(آداب اللغة الآرامية).

4] نصارى العراق في عهد الخلفاء . .

[1 ‹النصرانية وآدابها. ص 1/ 27–123›.

[2 ‹شعراء النصرانية. ص 141›، و‹الأغاني. ص 3/ 14 و5/ 179–185›.

[3 راجع عن المعلمين: ‹المعارف. ص 185›، و‹الأعلاف النفيسة. ص 216– 217›، و‹الأغاني 18/ 78›، و‹كتاب البيان والتبيين. مصر 1351 هـ، 1/ 208–211›.

[4 ‹القاموس المحيط. مصر 1353 هـ، 1/ 311›.

[5 ‹تاريخ اليعقوبي. 1/ 298–299›.

[6 ‹المعارف. ص 266›.

[7 ‹الأعلاف النفيسة. ص 217›، و‹المعارف. ص 249 و278›، ومجلة ‹النجم. 2/ 234›، ومجلة ‹لغة العرب. ص 3/ 141–143›، و‹معجم ما استعجم. ص 48›، و‹النصرانية وآدابها. ص 1/ 124–142 و2/ 452–456›.

[8 ‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 34›، و‹المكتبة الشرقية. ص 1/ 265›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 16›، و‹النصرانية وآدابها. 1/ 26 و2/ 414›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 303 و325›.

[9 ‹تاريخ الأمم والملوك. ص 1/ 291›.

[10 ‹تاريخ سني الملوك. ص 67›، و‹تاريخ الأمم والملوك. ص 2/ 28–29›.

[11 ‹الحيرة. ص 10›.

[12 ‹تاريخ الكامل. ص 1/ 118›، و‹ضحى الإسلام. ص 1/ 174›.

[13 «الأغاني. ص 2/ 35»، و«تاريخ الأمم والملوك. ص 2/ 62 و67»، و«تاريخ الكامل. ص 1/ 139»، و«تاريخ العراق بين احتلالين. ص 1/ 190–191»، و«تاريخ الموصل. ص 1/ 28–30 و51–52»، و«الأخبار الطوال. ص 56».

[14 «معجم البلدان. ص 2/ 378–379».

[15 كانت الجزية أو ضريبة الإعتاق معروفة لدى الروم والساسانيين. وكان النصارى في المشرق يؤدون الجزية إلى ملوك الفرس «A. Scher, II/609». وقد وضع لها المسلمون نظامًا عادلاً مراعين طبقات الناس وغناهم يدفعها الرجال فقط لا النساء. وتدفع نقدًا أو متاعًا كثياب ونحوه. ومن لا يدفع الجزية يحبس. أما الضريبة على الأرض فقد تسمى الخراج. وكان أول من دفع الجزية من أهل الكتاب أهل نجران «مختصر تاريخ العراق. ص 55»، ومجلة «لغة العرب. 3/ 11»، و«فتوح البلدان. ص 68»، و«فجر الإسلام. ص 26، 180»، و«مجموعة الوثائق السياسية. ص 92».

[16 «فجر الإسلام. ص 86».

[17 «تاريخ الأمم والملوك. ص 4/ 12»، و«تاريخ الكامل. ص 2/ 147–150»، و«تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 252»، و«A. Scher, II/627».

[18 (المائدة 82).

[19 «A. Scher, II/627»، و«تـــاريخ الأمم والملـــوك. ص 4/ 73–74 و76»، و«الحيرة. ص 234».

[20 الأبرشية: كلمة يونانية يراد بها ولاية الأسقف الكنسية.

[21 «النصرانية وآدابها. ص 1/ 101 و2/ 328»، و«اللؤلؤ المنثور. ص 309–313».

[22 «الجدل. ص 62»، و«ذخيرة الأذهان. ص 1/ 336».

[23 «الأخبار الطوال. ص 228».

[24 «شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 175–176». و«الأغاني. ص 7/ 161».

[25 الجدالي: نسبة إلى جدال إحدى قرى بلد الموصل.

[26 «A. Scher, II/618f».

[27 «أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 62».

[28 راجع عن يشوعياب الجدالي «الجدل. ص 54»، و«أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 61–62»، و«ذخيرة الأذهـــان. ص 1/ 249–253»، ومجلـــة «النجم. ص 1/ 51–58 و249–253 و10/ 310–311»، و«أثر قديم في العراق. ص 77»، و«A. Scher, II/554-625»، و«تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 251–255، 285»، و«تاريخ الموصل. ص 2/ 20–21»، و«المكتبة الشرقية. ص 3/ 1–5»، و«Duval, p. 369f»، و«التاريخ الكنسي. ص 2/ 113–115».

29] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 331›.

30] كان مار أمه من بلد أرزن وتلقى علومه في مدرسة نصيبين في عهد رئاسة حنانا الحديابي [572– 612 م]. وترهب في دير مار أبراهام الكبير ثم سقف على نينوى. وفي سنة [646 م] اختير جاثليقا ‹A. Scher, II/629›.

31] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 62›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 259–260›، ومجلة ‹النجم. ص 1/ 117–118، 6/ 244، 10/ 308–311›.

32] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 262–265›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 62›، ومجلة ‹النجم 1/ 264–268، 297، 303، و10/ 311›.

33] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 66›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 335›، ومجلة ‹النجم 10/ 338›.

34] مجلة ‹النجم. ص 6/ 244–245؟، 10/ 383›، و‹أخبـــار فطاركة كرسي المشرق. ص 66›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 336›.

35] ‹مختصر تاريخ العرب. ص 165›.

36] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 251›، و‹مجموعة الوثائق السياسية. ص 84–96، 101، 103، 218–220، 290–293›، و‹A. Scher, II/601-18, 620-4›.

37] انظر حاشية [75] من الفصل الثاني.

38] ‹معجم ما استعجم. ص 362›.

39] راجع عن شروط جزية أهل الكتاب ‹ أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: سفر الأحكام السلطانية. مصر [1327 هـ]، ص 127–128›.

40] ‹نزهة المشتاق. ص 102›، و‹فجر الإسلام. ص 86–87›، و‹ضحى الإسلام. ص 1/ 393›.

41] ‹الحوادث الجامعة. ص 7–8›.

42] (مرقس 12/ 13)، و(متى 17/ 23)، و(رسالة مار بطرس الأولى 4/ 13)، و(رسالة قولسايس 4/ 5)، و(رسالة أفسس 5/ 16).

43] ‹A. Scher, II/628›.

44] ‹ذخيرة الأذهان 1/ 265، 326، 361›، و‹نضارة الإسلام. ص 34›، و‹عصر المأمون 1/ 21›.

45] ‹فجر الإسلام. ص 132›.

46] مجلة ‹النجم. ص 1/ 442›.

47] مجلة ‹النجم. ص 1/ 57›.

48] ‹A. Scher, II/582›.

49] ‹حضارة الإسلام. ص 36›.

50] ‹ضحى الإسلام. ص 2/ 59–60›، و‹عصر المأمون. ص 1/ 45›.

51] عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غرب الكوفة.

52] ‹معجم البلدان. ص 4/ 807–808›، و‹تاريخ الأمم والملوك. ص 2/ 151›.

53] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 261›، و‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 286›.

54] راجع قسم (المسلمون ورؤساء النصرانية).

55] أسس دير بيث عابي يعقوب اللاشومي في أواخر القرن السادس، ولا تزال آثاره وأنقاضه باقية إلى اليوم وراء جبل العقر على مسافة ساعات قليلة.

56] ‹A. Scher, I/295›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 250، 262–265›، ومجلة ‹النجم. ص 1/ 264–268، 297، 303›، و‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 247›.

57] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 279›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 21›.

58] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 280›.

59] الأسكول: كلمة دخيلة استعارها أدباء الآرامية من اليونان بمعنى المدرسة.

60] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 66›، و‹المجدل. ص 61›.

61] تقع مدينة جبيلة في الجانب الشرقي من دجلة على مسافة نحو ثمانية عشر ميلاً من سامراء في الطريق إلى الموصل.

62] مدينة بغداد قديمة جدًا وربما يرتقي عهد بنائها إلى حمورابي مجلة ‹لغة العرب. 2/ 551›، جاء في ‹الأعلاق النفيسة. ص 235›: «ولم تكن بغداد مدينة في الأيام المتقدمة أعني في أيام الأكاسر والأعاجم وإنما كانت قرية من قرى طسوج [ناحية] بادوريا»، وقال ياقوت، عن بادوريا [1/ 246]: طسوج من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد وهو اليوم محسوب من كورة نهر عيسى بن علي منها النحاسية والحارثية ونهر أرما، وفي طرفه بنيت بعض بغداد. وذكر أيضًا [1/ 681–692] أن راهبًا دل الخليفة على موقعها فاستحسنه وبنى فيه المدينة. وروى الطبري ‹تاريخ الأمم والملوك. ص 9/ 239– 240› أن البطريق صاحب الأرجاء وصف للخليفة حسن موضع المدينة كما وصفه غيره من الناس›. وورد في كتاب ‹ابن الجوزي: مناقب بغداد. بغداد [1342 هـ]، ص 12›، «وكان موضع الخلد (قصر الخلد) قديمًا ديرًا فيه راهب». طالع في هذا الصدد ‹المقدمة الخطية لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي›، ومدخل (بغداد) في ‹البستاني: دائرة المعارف›، وقد ذكر القرى المسيحية الخمس التي أدخلها المنصور في بناء الزوراء، و‹بغداد في عهد الخلافة العباسية. ص 19–21، 94–95، 128›، ومجلة ‹لغة العرب. ص 2/ 549–554›، ومجلة ‹المشرق 4/

66–69›، و‹الفخري. ص 138–140›، و‹العراق في القرن السابع عشر لتافرنييه. ص 78›، و‹رحلة بنيامين. ص 131›.

63] شيدت مدرسة كليليشوع في دير بهذا الاسم، وعرف أيضًا بدير الجاثليق أو بالدير الجديد، لأن الجاثليق طيمثاوس الأول [المتوفى سنة 823 م] قد جدد بناءه ودفن فيه ‹المجدل. ص 66›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 73–74، 76›، ووافى في ‹معجم البلدان. ص 2/ 650›: «دير الجاثليق دير قديم البناء رحب الفناء من طسوج مسكن قرب بغداد في غربي دجلة». وورد في ‹معجم ما استعجم. ص 367›: «دير الجاثليق دير قديم البناء من طسوج مسكن في غربي دجلة بين آخر السواد وأول أرض تكريت وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير».

64] ‹كتاب الرؤساء. ص 146›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 90›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 334– 335›، ومجلة ‹النجم 8/ 129›.

5] نصارى العراق في عهد الخلفاء العباسيين

1] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 337–338›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 18–21›، و‹Wigram, p. 79f›.

2] ‹تاريخ الكامل. ص 5/ 225›، و‹تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر. ص 3/ 197›، و‹حضارة الإسلام. ص 44›، و‹مراصد الاطلاع. ص 1/ 163›، و‹رحلة بنيامين. ص 131›.

3] راجع عن مجد الخلفاء في بغداد مجلة ‹النجم. ص 2/ 24– 28›، و‹حضارة الإسلام. ص 116–129›، و‹ظهر الإسلام. ص 98–102›، و‹Lloyd, Twin Rivers, Oxford 1943, p. 161›، و‹عصر المأمون 3/ 305›.

4] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 129›.

5] ‹المجدل. ص 81، 96، 103، و116›. كان كرسي الجاثليق في المدائن، فلما هُدمت رحل إلى كرخ جدان من مدن باجرمي في جنوب كركوك ومكث فيها مدة من الزمن إلى أن هدأت الأحوال فرجع إليها وأقام حينًا في دير مار ماري، وحينًا آخر في دير مار ميخائيل. ثم انتقل الكرسي إلى بغداد سنة [779 م] وبقي إلى سنة [1295 م]، راجع ‹السلاسل التاريخية. ص 11، 13، 114، 162›.

6] ‹المجدل. ص 116›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 152 و154–155›.

7] مجلة ‹النجم 6/ 245–248 و10/ 343– 344›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 156–161 و2/ 13–14›.

8] كانت دار الروم محلة للنصارى في بغداد وبقيت إلى سنة [1300 م]. وقد عين ابن سرابيون في جغرافيته موضعها على وجه التقريب وذلك على الجزء الأسفل من نهر المهدي أو نهر الفضل، أي: شرقي الصليخ اليوم. والأصل في هذا الاسم أن أسرى من الروم قدم بهم إلى الخليفة المهدي واسكنوا دارًا في هذا الموضع فسميت بهم وبنيت البيعة هناك وبقي الاسم عليها. راجع الفصل الخامس عشر من كتاب ‹بغداد في عهد الخلافة العباسية. ص 179–180›، و‹ظهر الإسلام. ص 66›، و‹معجم البلدان. ص 2/ 662، 783 و3/ 317›.

9] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 343– 344›، و‹المكتبة الشرقية. ص 2/ 433›، و‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 165›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 71–75›.

10] ‹Labourt, p. 349-51›.

11] ‹الفخري. ص 191›، و‹عصر المأمون. ص 1/ 255›.

12] ‹تاريخ الأمم والملوك. ص 10/ 170–203›، و‹مختصر تاريخ العرب. ص 223›، و‹بغداد في عهد الخلافة العباسية. ص 133 و261–264›.

13] ‹نزهة المشتاق. ص 108–109›، ومجلة ‹المقتطف. مصر 1900 م. ص 388/24›، و‹مختصر تاريخ العرب. ص 239–240›، و‹ضحى الإسلام. ص 1/ 47–48›.

14] ‹ضحى الإسلام 1/ 57›، و‹عصر المأمون. ص 1/ 353– 359›.

15] ‹فجر الإسلام. ص 132–162›، و‹ظهر الإسلام. ص 1/ 88–89›.

16] ‹أخبـــار فطاركـــة المشرق. ص 71– 76›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 343– 344، و387– 389، و403–410›، و‹التاريخ الكنسي 1/ 343–385، 2/ 165، 181–183›، و‹Duval, p. 288f›، و‹المكتبة الشرقية 2/ 101›.

17] ‹مختصر تاريخ العرب. ص 236›.

18] مجلة ‹لغة العرب 1/ 81–94، 134–146، 161–170، 339–348›، و‹خلاصة تاريخ العراق. ص 137›، و‹ما بين النهرين . ص184›.

19] ‹نزهة المشتاق. ص 113، 117 و120›، و‹مختصر تاريخ العرب. ص 236›.

20] ‹شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 264›.

21] ‹ظهر الإسلام. ص 1/ 10، 23، 34، 62، 120، 232›.

22] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 453›، و‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 283– 285›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 114– 116›.

23] ‹المكتبة الشرقية. ص 2/ 447، 3/ 1. ص 263– 264›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 455، 458›، و‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 285، 299›.

[24 ‹الحوادث الجامعة. ص 175– 177، 213، 276– 278، 304، 314–315›.

[25 قال في مختار الصحاح: واستعمل فلان على [الجالية]، أي: على جزية أهل الذمة والجمع الجوالي.

[26 ‹الحوادث الجامعة. هي 13›.

[27 ‹ذخيرة الأذهان 2/ 53›، و‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 389– 401›.

[28 ‹بغداد في عهد الخلافة العباسية. ص 183›.

[29 ‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 181–196›، و‹المكتبة الشرقية. ص 3/ 1–505–513›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 387–340›.

[30 كان الجاثليق يوحنا بن عيسى من أفضل الجثالقة وقد تربى في بغداد. ومن مآثره الجليلة تطبيقه على أبناء طائفته أحكام وقوانين الميراث بحسب شريعة المسلمين الحنيفة. وكان عنوان هذه القوانين العربية ‹جوامع مواريث الإسلام لبعض محي الشعب›.

[31 ‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 229›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 421– 423، 460–461، 494›.

[32 ‹الديارات النصرانية في الإسلام. ص 115›، و‹صبح الأعشى. ص 10/ 27– 28›.

[33 ‹ضحى الإسلام. ص 1/ 325›، و‹ظهر الإسلام. ص 82›.

[34 ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 77›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 389–390، 395››، و‹التاريخ الكنسي 2/ 187–189›، و‹المكتبة الشرقية 2/ 435– 438›، و‹خلاصة تاريخ العراق. ص 78›، و‹تاريخ مختصر العرب. ص 352›.

[35 ‹النصرانية وآدابها. ص 2/ 352›، ومجلة ‹لغة العرب. ض 1/ 167، 2/ 518›، و‹التصوير عند العرب. ص 142– 145›.

[36 ‹Labourt, p. 249ff›.

[37 ‹تاريخ الوزراء. ص 95›.

[38 ‹تاريخ الكامل 8/ 234›.

[39 يوم الشعانين عيد للنصارى قبل عيد القيامة بأسبوع. جاء في ‹ابن سيده: المخصص. مصر [1320 هـ] 13/ 102› «السباسب والسعانين من أعياد النصارى». والسباسب: أيام السعانين ‹ عبد الله البستاني: معجم البستان. بيروت [1927 م]، ص 1/ 1043›.

[40 ‹ضحى الإسلام. ص 1/ 351– 353›.

[41 ‹تاريخ الوزراء. ص 248›.

[42 ‹صبح الأعشى. ص 5/ 472›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 133–137، 147›.

[43 ‹الحوادث الجامعة. ص 13›، و‹أخبار الحكماء. ص 73، 102–103›.

[44 ‹تاريخ الأمم والملوك. ص 10/ 20›، و‹ظهر الإسلام. ص 65–66، 81›، و‹الأعلاق النفيسة. ص 213›، و‹المعارف. ص 128›.

[45 ‹الحوادث الجامعة. ص 64– 66›.

[46 ‹ثلاث رسائل للجاحظ. مصر [1344 هـ]. ص 18›.

[47 ‹بغداد في عهد الخلافة العباسية. ص 108، 180–184›.

[48 ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 76– 77›.

[49 ‹الأعلاق النفيسة. ص 235›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق 157›.

[50 ‹خلاصة الذهب المسبوك. ص 145›.

[51 ‹أخبار الحكماء. ص 192›، و‹ظهر الإسلام 1/ 231›.

[52 ‹تاريخ مختصر الدول. ص 339›، و‹أخبار الحكماء. ص 239›.

[53 ‹ذخيرة الأذهان 1/ 391›.

[54 كان درب القراطيس داخل بغداد في غربي الكرخ. وكانت للنساطرة فيه مدرسة وكنيسة واسعة الأطراف ‹المجدل. ص 119›. جاء في كتاب ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 85›، عن الجاثليق يوحنا بن عيسى المعروف بالأعرج [المتوفي سنة 905 م] ما يأتي «وتعصب على يوحنا قوم من قطيعة النصارى ودرب القراطيس كانوا يعرفون منشأة وتربي بينهم. وكانت قطيعة النصارى قريبة من درب القراطيس»، مجلة ‹المشرق. ص 10/ 446›.

[55 ‹المجدل. ص 119›.

[56 ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 131›، و‹المجدل. ص 106–107، 119›، كان درب دينار في شارع الجسر القديم، أي: في الطريق المؤدي اليوم إلى جسر الملك المأمون. أما سوق الثلاثاء فكانت تمتد من جامع الحيدر خانة إلى جامع مرجان، وكانت المركز التجاري يوم قدم ابن بطوطة بغداد [سنة 727 هـ–1321م].

[57 مجلة ‹المشرق 10: 445›.

[58 ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 391›، ومجلة ‹النجم. ص 5/ 24–29، 7/ 166–173›.

[59 ‹تاريخ الموصل. ص 1/ 93، 2/ 44›، ومجلة ‹النجم. ص 1/ 219–220، 517–519، 7/ 132–137، 258– 268›، و‹أثر قديم في العراق. ص 83›.

[60 ‹كتاب الرؤساء. ص 146›.

[61 ‹النصرانية في مملكة فارس. ص 351›، و‹كلدو وأثور. ص 2/ ز – ح›.

[62 ‹تاريخ مختصر الدول. ص 226–265›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 21›، و‹عيون الأنباء 1/ 165›، و‹تاريخ التمدن الإسلامي. ص 3/ 157–160›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 80›.

63] ‹تاريخ الأمم والملوك. ص 9/ 309›. 64] ‹أخبار الحكماء. ص 141›.

65] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 75›، و‹المجدل. ص 66›.

66] ‹الدكتور أمين أسعد خير الله: الطب العربي. بيروت [1946 م]، ص 178–179›.

67] ‹تاريخ مختصر الدول. ص 227، 239، 243›، و‹أخبار الحكماء. ص 248–256›، و‹Duval, p. 272, 386›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 399›، و‹المكتبة الشرقية. ص 3/ 1– 256›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 6›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 175›، و‹الفهرست. ص 295›.

68] بنى مدينة جنديسابور أو كونديشابور سابور الأول [241–272 م]. وقد اشتهرت فيها كلية للطب وقد قصدها الكثيرون من الأقطار المختلفة. انظر ‹duval, p. 269›: «أتى سابور بأطباء يونانيين إلى جنديسابور ونشروا علم الطب في الشرق. وبقيت هذه الكلية تؤدي أعمالها في الإسلام كما كانت في عهد الأكاسرة، وازداد اتصالها بقصور الخلفاء في العهد العباسي.

69] البيمارستانات مفردها البيمارستان؛ قال في شفاء الغليل: البيمارستان لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى لأن بيمار معناه المريض وستان هو الموضع. ويقال فيه أيضًا المارستان ذكره في شفاء الغليل وهو الذي أثبته الجواليقي والمرتضى في تاج العروس وفسراه بما ذكر. لكن المتعارف اليوم أنه موضع المجانيين بالخصوص وبهذا المعنى استعمله بديع الزمان في المقامة المارستانية وابن الجوزي في كتاب الأذكياء وكأنه من باب الغلبة مجلة ‹الضياء. ص 2/ 483›.

70] ‹تاريخ مختصر الدول. ص 255›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 46›، و‹Duval, p. 271›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 399›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 161›، و‹الفهرست. ص 397›.

71 Duval, pp. 271f, 385.

72] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 67›. 73] ‹أخبار الحكماء. ص 71–72›.

74] ‹ضحى الإسلام. ص 255–256››، و‹أخبار الحكماء. ص 99–100›.

75] ‹أخبار الحكماء. ص 73›. 76] ‹أخبار الحكماء. ص 102–103›.

77] مجلة ‹الضياء. ص 2/ 483›، و‹Duval, p. 271›.

78] راجع مجلة ‹المشرق. ص 8/ 1097›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 214، 226–228، 239، 249–250›، ومجلة ‹النجم. ص 4/ 376–378، 8/ 169–170›، و‹تاريخ التمدن الإسلامي. ص 3/ 134–135، 139 ›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 123–148، 202–203›.

79 Duval, p. 274.

[80 مجلة ‹الضياء. ص 2/ 484›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 232›، و‹تاريخ التمدن الإسلامي. ص 3/ 176– 179›.

[81 كان سبب هذا الامتحان أن غلطًا جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل فأمر الخليفة بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت. فصاروا إليه وامتحنهم وأطلق إلى كل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه.

[82 ‹أخبار الحكماء. ص 130–133›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 281›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 222›.

[83 مجلة ‹الضياء. ص 2/ 483›.

[84 ‹مختصر تاريخ العرب. ص 216–217›، و‹عصر المأمون. ص 1/ 379›.

[85 ‹أخبار الحكماء. ص 249›.

[86 مجلة ‹الضياء. ص 2/ 132›، و‹Labourt, p. 349›، و‹تاريخ التمدن الإسلامي. ص 3/ 128›، و‹ضحى الإسلام. ص 1/ 263–265 و269–274›، و‹عصر المأمون. ص 1/ 379–381›.

[87 انظر قسم (تقدم العلوم الطبية).

[88 ‹تاريخ مختصر الدول. ص 250–252›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 399›، ومجلة ‹النجم. ص 8/ 170، 9/ 15–16›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 184–200›، و‹أخبار الحكماء. ص 117–122›، و‹تاريخ التمدن الإسلامي. ص 3/ 139–140›، و‹ضحى الإسلام. ص 1/ 283–288›.

[89 ‹الفهرست. ص 285›.

[90 إسكندر الأفروديسي فيلسوف مشاء يلقب بالمفسر. ولد في أفروديسيا من كاريا في أواخر القرن الثاني للميلاد ‹البستاني: دائرة المعارف. بيروت [1878 م]. ص 570›.

[91 ‹أخبار الحكماء. ص 57›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 252›، و‹شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 248–250›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 200–202›.

[92 ‹تاريخ مختصر الدول. ص 225–253›، و‹أخبار الحكماء. ص 122›، و‹تاريخ التمدن الإسلامي 3/ 141›، و‹عيون الأنباء. 1/ 202›.

[93 ‹الديارات النصرانية في الإسلام. ص 103– 104›.

[94 ‹مسالك الأبصار. ص 254/1، 286، 289، و309›.

[95 ‹معجم البلدان. ص 2/ 694›.

[96 ‹مسالك الأبصار. ص 1/ 254، 286، 289، 309›.

[97 ‹معجم البلدان. ص 2/ 687›.

98] ‹مسالك الأبصار. ص 1/ 254، 302›، و‹معجم البلدان. ص 2/ 665›، و‹مراصد الاطلاع. ص 1/ 431›.

99] ‹معجـــم البلـــدان. ص 2/ 643، 645›. و‹مسالك الأبصار. ص 1/ 286– 287›. و‹مراصد الاطلاع. ص 1/ 423›.

100] ‹معجم البلدان. ص 2/ 678–681، 692، 709›، و‹معجم ما استعجم. ص 373›، و‹مسالك الأبصار. ص 1/ 258›؛

101] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 69›.

102] ‹مسالك الأبصار. ص 1/ 305›.

103] ‹معجم البلدان. ص 2/ 643›، و‹مسالك الأبصار. ص 1/ 274، 300، 311، 314›.

104] ‹الديارات النصرانية في الإسلام. ص 30، 44، 45›.

105] ‹معجم البلـــدان. ص 2/ 644، 651، 710›، و‹الديـــارات النصرانية في الإسلام. ص 100–102›، و‹مراصد الاطلاع. ص 1/ 423›.

106] ‹معجم البلدان. ص 2/ 644›. 107] ‹مسالك الأبصار. ص 1/ 323›.

108] ‹معجم البلدان. ص 2/ 700›، و‹مسالك الأبصار. ص 302›.

109] ‹الديارات النصرانية في الإسلام. ص 15–16›.

110] ‹المجدل. ص 105›.

111] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 102›، و‹ذخيرة الأذهان 1/ 438›.

112] ‹بغداد في عهد الخلافة العباسية. ص 108›.

113] ‹المجدل. ص 119›. 114] انظر قسم (ازدهار المدارس).

115] ‹الديورة في مملكتي الفرس والعرب. ص 9›.

116] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 89›.

117] ‹معجم البلدان. ص 2/ 663›.

118] ‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 96، 102›.

119] ‹تاريخ الموصل. ص 2/ 45–46›.

120] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 261، 399›، و‹Duval, pp. 73, 206, 388›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 45›.

121] ‹السلاسل التاريخية. ص 399›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 62–63›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 190–191›.

[122 ‹عيون الأنباء. ص 1/ 235›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 285 و296›، و‹أخبار الحكماء. ص 212›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 306›، ومجلة ‹الضياء. ص 2/ 354›، ومجلة ‹المشرق. ص 37/ 180– 198›.

[123 ‹كتاب الامتناع والمؤانسة. ص 1/ 107–124›.

[124 ‹تاريخ الموصل. ص 2/ 67›، و‹Duval, pp. 280, 393›.

[125 ‹أثر قديم في العراق. ص 8›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 68›، و‹Duval, p. 211›.

[126 ‹عصر السريان الذهبي. ص 19–20›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 221–334›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 462، 490 و500›، و‹تاريخ الموصل. ص 1/ 81›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 243›.

[127 ‹اللؤلؤ المنثور. ص 405›.

[128 مجلة ‹النجم. ص 9/ 311–316›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 27›، و‹المكتبة الشرقية. ص 3/ 1 – 309، 561›، و‹Duval, p. 343›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 111›.

[129 ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 24›، و‹تاريخ الموصل. ص 4/ 112›، و‹Duval, p. 403›.

6] اللغة العربية لدى نصارى العراق

[1 ‹النصرانية وآدابها. ص 2/ 326–332›.

[2 ‹الأغاني. ص 2/ 17–40›، و‹شعراء النصرانية. ص 439–473›، و‹فجر الإسلام. ص 48›، و‹شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 14–20›، و‹الحيرة. ص 19–25، 58 –76›، و‹حضارة الإسلام. ص 35›.

[3 ‹شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 170–191›، و‹أدباء العرب. ص 1/ 317–345›، و‹خلاصة الذهب المسبوك. ص 25›.

[4 ‹حضارة الإسلام. ص 36›.

[5 المراد بالمشوبات القصائد ذات المعاني المختلفة. راجع عن القطامي ‹شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 191–203، 390›، و‹النصرانية وآدابها. ص 2/ 263، 271›، و‹ديوان الحماسة. مصر [1346 هـ]. ص 128–129›.

[6 ‹أبو عبيد الله محمد المزباني: معجم الشعراء. مصر [1354 هـ]. ص 244›.

[7 انظر قسم (النقلة).

[8 ‹التاريخ الكنسي. ص 1/ 275–279›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 279›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 16–17›، ومجلة ‹النجم. ص 2/ 278–283، 8/ 130–132›.

9] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 297، 344–345›، و‹اللؤلؤ المنثور. ص 332›.

10] ‹ضحى الإسلام. ص 1/ 348›. 11] ‹شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 264›.

12] ‹عيون الأنباء. ص 1/ 235›.

13] ‹أخبار الحكماء. ص 212›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 297›.

14] ‹كتاب الإمتاع والمؤانسة. ص 1/ 37›.

15] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 449›، ومجلة ‹النجم. ص 9/ 10›، و‹شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 254–256›.

16] ‹كتاب الإمتاع والمؤانسة. ص 1/ 33›، و‹الفهرست. ص 264›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 235›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 315–316›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 489›، ومجلة ‹النجم. ص 9/ 17–18›، و‹عصر المأمون. ص 1/ 380›.

17] ينسب هذا البيمارستان إلى عضد الدولة، وقد أمر ببنائه في الجانب الغربي من بغداد بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع، وقد فرغ من بنائه [سنة 268هـ/ 966 م]، وفتح للاستشفاء في عام [371 هـ/ 981 م]. واحضر لحاجاته كل ما يلزم من الأدوية والآلات ورتب له أربعة وعشرون طبيًا منهم الجراحون والكحالون والمجبرون وكان يدرس فيه الطب. وقد وصفه ابن جبير الأندلسي في رحلته [مصر 1908، ص 204] حينما زار بغداد سنة [581 هـ/ 1185 م] بالقول «البيمارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة ويتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس، ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه وبين أيديهم قرمة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية، وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية، والماء يدخل إليه من دجلة».

18] ‹تاريخ مختصر الدول 330– 331›.

19] ‹ذخيرة الأذهان 1/ 463›. و‹مجلة النجم 7/ 262›. و‹عيون الأنباء 1/ 239– 241›. و‹أخبار الحكماء. ص 150›.

20] ‹عيون الأنباء 1/ 276›. و‹أخبار الحكماء. ص 238– 239›.

21] ‹تاريخ مختصر الدول. ص 364›، و‹أخبار الحكماء. ص 222–224›، ومجلة ‹الضياء. ص 2/ 484›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 500–501›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 7›، و‹عيون الأنباء. ص 1/ 259›، و‹المجدل. ص 103›، و‹أخبار فطاركة كرسي المشرق. ص 106›، و‹شعراء النصرانية بعد الإسلام. ص 315، 394›.

22] ‹تاريخ مختصر الدول. ص 415–416›، و‹أخبار الحكماء. ص 236›، ومجلة ‹المشرق. ص 3/ 591›، ومجلة ‹النجم. ص 4/ 28–31›.

23] النبلي: نسبة إلى النبل وهي بلدة على الفرات بين الكوفة وبغداد.

[24 «شعراء النصرانية بعد الإسلام». ص 260، 262، 266، 292، 298، 335، 341.

[25 «أخبار الحكماء». ص 268.

[26 ولد الجاثليق مار إيليا الثالث في ميافارقين من أعمال ديار بكر، ويعرف بأبي حليم ويلقب بابن الحديثي، وكان متضلعًا من العلوم النحوية واللغوية والحكيمة. وأغلب مصنفاته بالعربية. وقد حبر بالآرامية صلوات ورسائل طبع منها في الموصل المطران يعقوب أوجين منا سنة [1901 م]. وأحسن ما ألفه خطبه العربية المسجعة في شرح الإنجيل تتلى في الأعياد الكبيرة، ونشرها الأب يعقوب نمو في الموصل سنة [1901 م] باسم التراجم السنية للأعياد المارانية.

[27 برع عبد يشوع الصوباوي في كل العلوم الدينية، ومؤلفاته جعلته نادرة زمانه، وزعيم علماء عصره، ولاسيما سفره الموسوم بفردوس عدن. عارض في مقامات الحريري، ونحا منحاه في فنون الشعر والنثر، وقد ظهر فيه غنى اللغة الآرامية وطول باعه، ورسوخ قدمه في معرفة أوابدها وشواردها. ومن مصنفاته العربية مقالة في التثليث والتوحيد والحلول والاتحاد. وكتاب فرائد الفوائد في أصول الدين والعقائد. وترجمة مسجعة للأناجيل لأيام الآحاد.

[28 «تاريخ مختصر الدول». ص 259»، و«الفهرست». ص 295»، و«عيون الأنباء». ص 1/ 242»، ومجلة «النجم». ص 9/ 14-15»، و«تاريخ التمدن الإسلامي». س 3/ 141».

[29 «تاريخ التمدن الإسلامي». ص 3/ 142».

[30 الراسعني: نسبة إلى راس العين وهي بلدة على منابع نهر الخابور في الجزيرة.

[31 «أخبار الحكماء». ص 164»، و«تاريخ مختصر الدول». ص 149، 251»، و«مختصر تاريخ العرب». ص 239».

7] نصارى العراق في عهد المغول والتتار

[1 كانت الأقوام المغولية تسكن الأقطار الشمالية من آسية. والتتار اسم إحدى هذه القبائل. وفي القرون الوسطى أصبح اسم التتار مرادفًا لاسم المغول حتى صار يطلق على عموم الأقوام التورانية [الطورانية، ز م]. وفي القرن السادس الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) انتهى ملك المغول إلى جنكيزخان بن بهادرخان [المتوفى سنة 624 هـ/ 1126 م] بعد أن قسم مملكته الواسعة بين أولاده فكان نصيب تولي خان القسم الذي يوالي بلاد العراق. ثم حكم بعده ولده هلاكو خان. وتعني كلمة خان بلسانهم: الملك أو الأمير.

[2 سقطت بغداد بيد هولاكو عندما استطاع أن يحتل برج العجمي لأنه كان أقصر أبراج السور «الفخري». ص 294»، وكان هذا البرج واقعًا في جنوب باب الحلبة

(باب الطلسم). وقد نسف العثمانيون هذا الباب ليلة [11 آذار سنة 1917 م]؛ راجع ‹بغداد في عهد الخلافة العباسية. ص 238، 248›.

3] كان باب كلواذي واقعًا في الباب الشرقي اليوم، وكلواذي قرية مشهورة من قرى بغداد ‹تقويم البلدان. ص 303›.

4] ‹تاريخ العراق بين احتلالين. ص 1/ 37–40، 167–181›، و‹الحوادث الجامعة. ص 319–328›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 471–475›، و‹الفوز بالمراد. ص 4›.

5] ‹الفوز بالمراد. ص 6›، و‹تاريخ العراق بين احتلالين. ص 1/ 38– 40›.

6] ‹أربعة قرون. ص 14›. 7] ‹مختصر تاريخ العرب. ص 342›.

8] ‹الحوادث الجامعة. ص 329–330›.

9] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 14›، وراجع عن ملوك المغول المسيحيين مجلة ‹النجم. ص 1/ 393–399›.

10] ‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 100›، و‹Lloyd, p. 171›.

11] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 9›، و‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 401›، و‹المكتبة الشرقية. ص 3/ 2 – 455›، ‹الحوادث الجامعة. ص 333–334›.

12] مجلة ‹المشرق. ص 11/ 397›، و‹نزهة المشتاق. ص 152›.

13] ‹المجدل. ص 120–121›.

14] ‹تاريخ الموصل. ص 1/ 237–238›، و‹الحوادث الجامعة. ص 345–348›، ومجلة ‹المشرق. ص 18/ 602›.

15] ‹تاريخ مختصر الدول. ص 496›، و‹الحوادث الجامعة. ص 347›.

16] يراد بالأردو: فيلق السلطان ومركز وجوده.

17] ‹الحوادث الجامعة. ص 354›، و‹تاريخ العراق بين احتلالين. ص 1/ 259›، و‹الفوز بالمراد. ص 10–11›.

18] ‹تاريخ الموصل. ص 1/ 240– 243›، و‹الحوادث الجامعة. ص 361، 367›، و‹العراق بين احتلالين. ص 1/ 65، 462›.

19] ‹تاريخ العراق بين احتلالين. 1/ 353›، و‹الحوادث الجامعة. ص 464–467›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 15، 17–18›.

20] ‹الحوادث الجامعة. ص 447›، و‹تاريخ العراق بين احتلالين. ص 1/ 335›، ومجلة ‹المشرق 18/ 604– 606›.

21] ‹الفوز بالمراد. ص 15–16›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 17–18›.

22] ‹تاريخ العراق بين احتلالين. ص 368، 377›، و‹نزهة المشتاق. ص 148›، و‹الحوادث الجامعة. ص 483–484›.

23] ‹الحوادث الجامعة. ص 484›، و‹الفوز بالمراد. ص 16›.

24] ‹الجدل. ص 122›. 25] ‹الفوز بالمراد. ص 16›.

26] راجع بالتفصيل عن هذه الاعتداءات ‹ذخيرة الأذهان 2/ 18–20›، و‹المكتبة الشرقية 3/ 2. ص 110– 128›، و‹تاريخ مختصر الدول. ص 483–522›.

27] ‹الفوز بالمراد. ص 20–21›. 28] ‹تاريخ الموصل. ص 2/ 112–120›.

29] الطيرهاني: نسبة إلى طيرهان بلدة من إقليم بابل.

30] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 76›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 128›.

31] ‹تاريخ الموصل. ص 2/ 128–129›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 203›، ومجلة ‹النجم. ص 1/ 516›.

32] ‹تاريخ الموصل. ص 2/ 129›.

33] جلاير قبيلة كبيرة من قبائل المغول. وكان نهوض الجلايريين في العراق في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي على عهد أمير من بني أردلان، فكانوا يحكمون كردستان في القرن الثاني عشر الميلادي ‹أربعة قرون. ص 7›.

34] ‹تاريخ العراق بين احتلالين. ص 1/ 516، 530–534، 537–539، 2/ 154–155، 175، 178، 213، 233، 237›، و‹أربعة قرون. ص 16–17›.

35] ‹الفوز بالمراد. ص 23–55›، و‹تاريخ العراق بين احتلالين. ص 2/ 261، 276، 291 –293 و303–305›.

36] ‹الفوز بالمراد. ص 50›، و‹أربعة قرون. ص 15–17›، و‹تاريخ العراق بين احتلالين. ص 2/ 241›، و‹تاريخ الموصل. ص 1/ 250–254›.

37] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 112، 118–119، 168›، و‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 493–505، 515–523›، و‹المكتبة الشرقية. ص 2/ 460›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 102›، و‹أثر قديم في العراق. ص 71›.

38] قره قويونلي وآق قويونلي معناهما [الخروف الأسود والخروف الأبيض] طائفتان من بادية الترك المعروفين بالتركمان. وكانت مساكنهم القديمة بلاد تركستان ثم تحولوا عنها في أيام السلطان أرغون خان [المتوفى سنة 1291 م] إلى بلاد أذربيجان ثم ظعنت طائفة قره قويونلي إلى نواحي أرزنكان وسيواس واستفحل فيها أمرها. وأما طائفة آق قويونلي فظعنت إلى ديار بكر واستولت على الملك والسلطة.

39] ‹الفوز بالمراد. ص 69–70›.

40] جد الصفويين هو أبو إسحق الشيخ صفي الدين الذي كان يسكن في أدربيل وقد اشتهر بالزهد والورع.

41] منذ فجر القرون الوسطى أخذت ولايات تركية تمتد وتتسع حتى أقامت إمبراطورية متحدة سميت الإمبراطورية العثمانية نسبة إلى عثمان الملقب بالغازي مؤسسها في أواخر القرن الثالث عشر. وفي أوائل القرن السادس عشر وصلت أوج مجدها وبلغت مساحتها ستة ملايين من الكيلومترات المربعة، أي ما يقارب ثلثي أراضي أوربة. أما عدد سكانها فكان يزيد على الستين مليونًا.

42] ‹أربعة قرون. ص 14›. 43] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 78، 200›.

44] تأسس دير الربان في عهد يشوعياب الجدالي [المتوفى سنة 647 م]، ويقع في الشمال الشرقي من قرية القوش ويبعد عنها مسيرة خمسين دقيقة، وعن مدينة الموصل مسافة ستة وعشرين ميلاً.

45] انجبت قرية القوش النبي ناحوم كاتب أحد أسفار التوراة وهي لا تزال تحتفظ بضريحه حتى اليوم. وفيها ثلاث كنائس أثرية هي كنيسة مار ميخا النوهدري وكنيسة مار كيوركيس الشهيد وكنيسة مريم العذراء.

46] ‹أثر قديم. ص 33–44›، و‹ذخيرة الأذهان 2/ 82، 84›.

47] ‹نزهة المشتاق. ص 151– 152›. 48] ‹خلاصة تاريخ العراق. ص 195›.

49] ‹أربعة قرون. ص 4–5، 9–10، 12، 20›.

8] نصارى العراق في عهد العثمانيين

1] ‹تاريخ الدولة العلية العثمانية. ص 90›.

2] ‹أربعة قرون. ص 23–28، و62›. 3] ‹تاريخ الدولة العثمانية. ص 126–127›.

4] نالت القديسة الشهيدة مسكنتا إكليل الاسشهاد في زمن يزدجرد الأول عام (400–421 م).

5] ‹تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق. ص 4–5›.

6] ‹أربعة قرون. ص 1–2، 5، 43، 92›، ومجلة ‹لغة العرب. ص 3/ 11–12›.

7] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 169–175، 195›، و‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 42›.

8] مجلة ‹النجم 1/ 119–121، 176، 181، 10/ 7›، و‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 26›، و‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ 296–297›، ومجلة ‹المشرق. ص 3/ 820›.

9] دخلت النصرانية الصين عام [626 م] على عهد يشوعياب الجدالي كما يؤخذ من الأثر الحجري المشهور الذي نصبه النساطرة سنة [781 م] في زمن حنا نيشوع في مدينة سنغان. ووجد هذا الأثر عام [1625 م]، راجع ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 284، 340–341›، ومجلة ‹النجم. ص 1/ 202–222، 287–293›.

10] ‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 26›، ومجلة ‹المشرق. ص 3/ 822›، و‹[الأب شموئيل جميل: علاقات الكلدان والكرسي الرسولي]/ S. Giamil. Gen. Rel inter Sedem Apostolicam et Chaldeorum Ecclesiam, p. 1-15›.

11] ‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ د›، و‹المكتبة الشرقية. ص 3/ 2 –434›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 78، 374›، و‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 26–27›، و‹[الأب يوسف تفنكجي: الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية قديمًا وحديثًا]/ J. Tfinkdji, L'Eglise Chaldeenne Catholique Antrefois et Aujourd'hui, p 7›.

12] الباصيدي: نسبة إلى باصيدا إحدى قرى آشور في جوار إربيل.

13] انتهت سلسلة هذه البطريركية الوراثية عندما تبع البطريرك يوحنا هرمزد الكنيسة الكاثوليكية. وفي سنة [1830 م] أيده البابا بيوس الثامن باسم بطريرك بابل على الكلدان.

14] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 81–86، 89–90، 137–143›، و‹المكتبة الشرقية. ص 1/ 523، 2/ 457›، ومجلة ‹النجم. ص 3/ 351–361›، و‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 27–30›، ومجلة ‹المشرق. ص 3/ 822–823›، و‹J. Tfinkdji, p. 8f›.

15] ‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 41–60›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 280–285›.

16] ‹أربعة قرون. ص 115، 119، 272–273›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 192–195، 240–241، 244›، و‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 50›.

17] ‹أربعة قرون. ص 136›.

18] ‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 61–62›، ومجلة ‹لغة العرب. ص 3/ 249›.

19] كان قوم من الأرمن قد دخلوا بغداد منذ نحو ثلاثة قرون [1586–1606 م] وسكنوا في محلات النصارى الوطنيين. وكان معظمهم من أقطار إيران وقد لحق بهم غيرهم من بلاد شتى ولاسيما من ديار بكر والأستانة. وعلى الرغم من قلة عددهم، فقد عظم أمرهم يومئذ في دار السلام وفي البصرة، ونالوا من الثروة والنفوذ ما لم ينلها سواهم من مسيحيي العراق (مجلة ‹لغة العرب. ص 3/ 540–541›).

20] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 198–199، 321، 401–402، 444›، و‹تاريخ الأرمن الكاثوليك. ص 11– 21›.

21] ‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 51›، و‹تاريخ الأرمن الكاثوليك. ص 7–9 و11›، و‹العراق في القرن السابع عشر. ص 81›، ومجلة ‹لغة العرب. ص 2/ 575›، و‹نشرة الأحد. ص 4/ 617›.

22] ‹تاريخ الأرمن الكاثوليك. ص 7–9 و11›، و‹نشرة الأحد. ص 4/ 618›.

23] مجلة المشرق. ص 13/ 518›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 318–321، 429›، و‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 64›.

24] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 261–262›، و‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 62، 66›.

25] ‹نشرة الأحد. ص 1/ 200›.

26] نشر هذا التقويم المطران بطرس عزيز في بيروت سنة [1919 م]. وهو مؤلف نسطوري مجهول الاسم عاش في أواخر القرن الثامن عشر لأن أكثر أخباره تقع بين عامي [1000–1700 م].

27] الميطربوليط: كلمة يونانية معناها: رئيس المدينة، وأطلقت على رئيس الأساقفة، ويستعمل عوضها اليوم كلمة مطران.

28] ‹تقويم قديم. ص 14، 17– 19، 22›.

29] ‹Scher, p. 2/545›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 218، 314 و324–325›.

30] نعني بالمشرق هنا البلاد الواقعة في شرقي نهر الفرات.

31] ‹ذخيرة الأذهان. ص 1/ 325–328›، و‹التاريخ الكنسي. ص 2/ 118–123›.

32] انظر قسم (الكنائس والديارات). 33] ‹تاريخ كلدو وأثور. ص 2/ و›.

34] وهم الرحالة تافرنييه في ذكر الفرق المسيحية، لأن الروم والموارنة لم يستوطنوا الموصل قط، بل سكنها النساطرة واليعاقبة. وأما الأرمن فكان عددهم إذ ذاك ضئيلاً.

35] ليس اليوم في بغداد بيعة بهذا الاسم، فقد كان في الجانب الغربي منها جامع يعرف بجامع خضر إلياس يطل على نهر دجلة ‹محمود شكري الألوسي: تاريخ مساجد بغداد وآثارها. بغداد [1346 هـ]. ص 133، 145›.

36] ‹العراق في القرن السابع عشر. ص 59، 74، 84–85›.

37] ‹أربعة قرون. ص 94›.

38] ‹تاريخ الأرمن الكاثوليك. ص 16–17 و27، 33›، و‹A. Hourani, p. 21›.

39] ‹أربعة قرون. ص 88–101، 173، 288›. 40] ‹ذخيرة الأذهان 2/ 240›.

41] شاد هذا الدير مار إيليا الحيري في أواخر القرن السادس الميلادي وهو واقع في جنوبي الموصل على مسافة خمسة كيلو مترات.

[42 بنى هذا الدير مار أورهام في أواخر المئة السادسة للميلاد ويقع في جوار قرية باطنايا.

[43 ‹تاريخ الموصل. ص 1/ 273–290›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 316–317›، و‹أربعة قرون. ص 144–162›، و‹عصر السريان الذهبي. ص 102›، و‹أثر قديم في العراق. ص 82–84›، و‹تاريخ الدولة العلية العثمانية. ص 147›.

[44 ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 361–362، 365، 368، 391›، و‹تاريخ الأرمن الكاثوليك. ص 5، 44–49›.›.

[45 ‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 25›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 391›.

[46 مجلة ‹لغة العرب. ص 2/ 21، 3/ 247–252، 360–365، 424–428، 625–632›، ومجلة ‹نشرة الأحد. ص 1/ 120–127، 200–208›.

[47 ‹النصارى في الشرق. ص 12–18›، و‹تركيا بين جبارين. ص 8–9›.

[48 ‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 34، 56›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 228، 284، 352، 367›.

[49 ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 208–209›، ومجلة ‹النجم. ص 2/ 154–167›.

[50 ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 400–401›. [51 مجلة ‹لغة العرب. ص 4/ 80›.

[52 ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 402–404›.

[53 معنى ميركور بالكردية: الأمير الأعور، لإصابته بعلة في إحدى عينيه.

[54 ‹أربعة قرون. ص 308›، ومجلة ‹النجم. ص 3/ 455–457›، و‹تاريخ الموصل. ص 1 / 306–307›، و‹أثر قديم في العراق. ص 88›.

[55 ‹تاريخ الأرمن الكاثوليك. ص 27›.

[56 ‹أثر قديم في العراق. ص 28، 89›، ومجلة ‹المشرق. ص 3/ 886–887›، و‹تاريخ الموصل. ص 1/ 312– 313›.

[57 ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 380، 389–390، 392›.

[58 انظر قسم (تقلبات الأحوال).

[59 كان العرب أول من رفعوا لواء العصيان على الحكم العثماني ونالوا استقلالهم الداخلي سنة [1717 م].

[60 ‹تركيا بين جبارين. ص 7–8›.

[61 ‹تاريخ الدولة العليا العثمانية. ص 253–254›.

[62 ‹نزهة المشتاق. ص 176–177›، و‹تركيا بين جبارين. ص 12–13›.

[63 ‹مدحت باشا. ص 7›. [64 ‹تاريخ الدولة العليا العثمانية. ص 331›.

65] ‹تركيا بين جبارين. ص 19–20›. 66] ‹تاريخ الدولة العلية العثمانية. ص 267›.

67] راجع عن هذه المذابح كتاب › J . Naayen: Les Assyro-Chaldeens et les Armeniens massacres par les Turcs, (Paris; 1920)‹.

68] ‹آداب العربية في القرن التاسع عشر. ص 1/ 2–3، 44 و47، 71–73، 2/ 60–62›.

69] راجع ترجمة حياته في مجلة ‹النجم. ص 2/ 29–28›، ومجلة ‹المشرق. ص 5/ 271›.

70] ‹ذخيرة الأذهـــان. ص 2/ 76–79›، و‹المكتبة الشرقية. ص 3/ 2 –131، 432–433›، و‹تاريخ الكنائس الشرقية. ص 26–27، 50–55، 60–62، 79–80›.

71. A. Hourani, p. 25f.

72] ‹الآداب العربية في القرن التاسع عشر. ص 1/ 5–6، 74–75، 2/ 62–63›، ومجلة ‹المشرق. ص 3/ 913›، ومجلة ‹النجم. ص 2/ 29–38، 99–112، 145–153›، و‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 418›، و‹أثر قديم في العراق. ص 84–88›.

73] ‹تاريخ الأرمن الكاثوليك. ص 34›. 74] مجلة ‹المشرق. ص 15/ 165–173›.

75] ‹السلاسل التاريخية. ص 170–173›.

76] ‹ذخيرة الأذهان 2/ 235–239›، ومجلة ‹المشرق. ص 3/ 880–881››، و‹ J. Tfinkdji, p. 11›، و‹علاقات الكلدان والكرسي الرسولي. ص 213›.

77] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 294–296›، و‹السلاسل التاريخية. ص 120–131›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 158–159›، ومجلة ‹المشرق. ص 11/ 286›.

78] ‹ذخيرة الأذهان. ص 315–316›، ومجلة ‹النجم. ص 258–264، 294–298، 340–344›، ومجلة المشرق. 3/ 882›.

79] ‹ذخيرة الأذهان. ص 2/ 176–187›، و‹تاريخ الموصل. ص 2/ 128›، ومجلة ‹النجم. ص 8/ 222–223›، و‹أثر قديم في العراق. ص 68، 82›، و‹J. Tfinkdji, p. 12f›.

80] ‹تاريخ الموصل 2/ 138›. و‹ذخيرة الأذهان 2/ 186›.

81] ‹تاريخ الموصل 2/ 138 و159›. 82] ‹ذخيرة الأذهان 2/ 397›.

83] ‹السلاسل التاريخية. ص 290– 309›. و‹كتاب القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة بيروت [1891 م]. ‹تاريخ الموصل 2/ 170– 171›. و‹الآداب العربية في القرن التاسع عشر 2/ 107– 108›.

84] ‹تاريخ الموصل 2/ 272›. و‹الآداب العربية في القرن التاسع عشر 2/ 109›. و‹مجلة المشــرق 3/ 889›. و‹الكنيســة الكاثوليكيــة قديمًا وحديثــا لتفنكجي. ص 17›. و‹علاقات الكلدان والكرسي الرسولي ص 455›.

85] ‹تاريخ الموصل 2/ 272– 274›، و‹مجلة المشرق 4/ 277›.

86] عشر المنقبون في قصر آشور بانيبال على المكتبة الملكية التي كانت تتألف من [30000] كتاب تبحث في الأديان والعلوم والآداب، وقد نقلت إلى المتحف البريطاني وهي ذات قيمة لا تثمن بمال.

87] ‹تاريخ الموصل 2/ 274–276›. و‹أثر قديم في العراق. ص 2›.

88] ‹تاريخ الموصل 2/ 276›. و‹مجلة النجم 2/ 307– 318›. و‹مجلة المشرق 4/ 591›.

89] ‹مجلة النجم 1/ 167–176›.

90] ‹تاريخ الموصل 2/ 277– 278› ومجلة ‹النجم 3/ 10– 18›. و‹أثر قديم في العراق. ص 91– 92›.

9] الفصل التاسع: نصارى العراق في عهد الحكم الوطني

1] ‹منشور بطركي لغبطة مار يوسف السابع غنيمة بطريرك بابل على الكلدان [المطبعة الكلدانية سنة 1948 م]، ص 10–11›.

2] مجلة ‹النجم. ص 1/ 433–436›، و‹أثر قديم في العراق. ص 93–94›.

3] مجلة ‹النجم 7/ 201–214، 10: 33–38›.

4] ‹السلاسل التاريخية. ص 392–400›.

5] ‹جورج جبوري: الكرملي الخالد. بغداد [1947 م] ص ب – ي›، و‹ روكس بن زائد العزيزي: سدنة الفرات القومي. القدس [1947 م]، ص 7–75›.

هوامش الملاحق

* المجلة البطريركية السريانية، مجلة أدبية تاريخية إخبارية العدد السابع والثامن سنة [1936] السنة الثالثة.

** بقلم مار أغناطيوس أفرام الأول بطريرك إنطاكية وسائر المشرق.

*** من تاريخ أغناطيوس أفرام برصوم بطريرك إنطاكية.

المراجع

الكتب العربية

* أثر قديم في العراق: دير الربان هرمزد لكوركيس حنا عواد [الموصل 1934 م]
* أخبار الحكماء لجمال الدين القفطي [مصر 1326 هـ]
* الأخبار الطوال لأحمد بن داود الدنيوري [ليدن 1888 م]
* أخبار فطاركة كرسي المشرق لماري بن سليمان [رومة 1899م]
* الآداب العربية في القرن التاسع عشر للأب لويس شيخو [بيروت 1908–1910 م]
* أدباء العرب لبطرس البستاني [بيروت 1931 م]
* أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لستيفن لانكريك، تعريب جعفر خياط [بغداد 1941 م]
* الأصول الجليلة في نحو اللغة الآرامية للمطران يعقوب أوجين منا [الموصل 1896 م]
* الأعلاق النفيسة لابن رستة [ليدن 1891 م]
* الأغاني لأبي فرج الأصفهاني [مصر 1285 هـ]
* بغداد في عهد الخلافة العباسية لسترنج تعريب بشير يوسف فرنسيس [بغداد 1936 م]
* تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق لدير نرسيس صائغيان [بيروت 1944 م]
* تاريخ الأمم والملوك للطبري الطبعة الأولى–المطبعة الحسينية الأولى
* تاريخ بابل وآشور لجميل لخلة المدور [بيروت 1893 م]
* تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان [مصر 1914 –1920 م]

* تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك [مصر 1896 م]
* تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني [ليبسيك 1848 م]
* تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون [باريس 1290 م]
* تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي [بغداد 1935 م]
* تاريخ الكامل لأبي الحسن علي بن الأثير [مصر 1290 هـ]
* تاريخ كلدو وأثور للمطران أدي شير [بيروت 1912–1913 م]
* تاريخ الكنائس الشرقية للمنسنيور عبد الأحد جرجي [بغداد 1922 م]
* تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون [مصر 1929 م]
* تاريخ مختصر الدول لابن العبري [بيروت 1890 م]
* تاريخ الموصل للأب سليمان صائغ [مصر 1923 وبيروت 1928 م]
* تاريخ اليعقوبي [ليدن 1883 م]
* تركيا بين جبارين لباسيل دقاق [بيروت 1947 م]
* التصوير عند العرب لأحمد تيمور باشا [مصر 1942 م]
* تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية نشره المطران بطرس عزيز [بيروت 1909 م]
* حضارة الإسلام في دار السلام لجميل نخلة المدور [مصر 1888 م]
* الحوادث الجامعة لابن الغوطي [بغداد 1351 هـ]
* الحيرة: المدينة والمملكة العربية لصاحب المعالي يوسف غنيمة [بغداد 936]
* خلاصة تاريخ العراق للأب انستانس ماري الكرملي [البصرة 1919 م]
* خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن سنبط قنيتو الإربلي [بيروت 1885 م]
* الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريرك أغناطيوس أفرام الأول برصوم [حمص 1940 م]
* دليل الراغبين في لغة الآراميين للمطران يعقوب أوجين منا [الموصل 1900 م]
* الديارات النصرانية في الإسلام لحبيب زيات [بيروت 1938 م]
* الديورة في مملكتي الفرس والعرب ليشو عدناح تعريب المطران بولس شيخو [الموصل 1939 م]
* رحلة بنيامين ترجمة عزرا حداد [بغداد 1945 م]
* ذخيرة الأذهان للأب بطرس نصري [الموصل 1905–1913 م]
* السلاسل التاريخية لفيليب دي طرازي [بيروت 1910 م]
* شعراء النصرانية بعد الإسلام للأب لويس شيخو [بيروت 1890–1892 م]
* شعراء النصرانية قبل الإسلام للأب لويس شيخو [بيروت 1934 م]
* شهداء المشرق للمطران أدي شير [الموصل 1900 م]

* صبح الأعشى للقلقشندي [مصر 1333 هـ]
* ضحى الإسلام لأحمد أمين [مصر 1938 م]
* ظهر الإسلام لأحمد أمين [مصر 1945 م]
* العراق في القرن السابع عشر لتافرنييه تعريب بشير فرنسيس وكيوركيس عواد [بغداد 1944 م]
* العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان [مصر 1922]
* عصر السريان الذهبي لفيليب دي طرازي [بيروت 1946 م]
* عصر المأمون لأحمد فريد رفاعي [مصر 1346 م]
* العصور القديمة لبراستد تعريب داود قربان [بيروت 1926 م]
* عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة [مصر 1299 هـ]
* فتوح البلدان للبلاذري [ليدن 1866]
* فجر الإسلام لأحمد أمين [مصر 1945 م]
* الفخري لأبن الطقطقي الطبعة الثانية – مطبعة المعارف بمصر
* الفهرست لابن النديم [ليبسيك 1871 م]
* الفوز بالمراد في تاريخ بغداد للأب انستاس ماري الكرملي [بغداد 1329 هـ]
* قاموس الكتاب المقدس ترجمة وتأليف جورج بوست [بيروت 1894 م]
* كتاب الامتناع والموانسة لأبي حيان التوحيدي [مصر 1939]
* كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي [ليدن 1893 م]
* كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء[باريس 1840]
* كتاب التمرنة في الأصول النحوية للمطران إقليميس يوسف داود [الموصل 1876 م]
* الكشاف للزمخشري [مصر 1354 هـ]
* اللمعة الشهية للمطران إقليميس يوسف داود [1896 م]
* اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك أغناطيوس أفرام الأول برصوم [حمص 1943 م]
* المجدل لعمرو بن متي [رومة 1896 م]
* مجلة سومر لمديرية الآثار القديمة العامة في بغداد
* مجلة الضياء للشيخ إبراهيم اليازجي في مصر
* مجلة لغة العرب للأب انستاس ماري الكرملي في بغداد
* مجلة المشرق للآباء اليسوعيين في بيروت
* مجلة النجم للبطركية الكلدانية في الموصل
* مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله الحيدر آبادي [مصر 1941 م]

* مختصر تاريخ العرب لسيد الأمير علي تعريب رياض رأفت [مصر 1938 م]
* مدرسة نصيبين للمطران أدي شير [بيروت 1905 م]
* مراصد الإطلاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق [ليدن 1852 م]
* مروج الذهب للمسعودي [باريس 1861–1877 م]
* مدحت باشا لقدري قلعجي [بيروت 1947 م]
* مسالك الأمصار لابن فضل الله العمري [مصر 1924 م]
* المعارف لابن قتيبة [مصر 1300 هـ]
* معجم البلدان لياقوت الحموي [ليبسيك 1866–1873 م]
* معجم ما استعجم للبكري [غوتنجن 1877 م]
* نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق لصاحب المعالي يوسف غنيمة [بغداد 1924 م]
* نشرة الأحد للمنسنيور عبد الأحد جرجي في بغداد
* النصارى في الشرق لبيير روندو تعريب دار المكشوف [بيروت 1947 م]
* النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للأب لويس شيخو [بيروت 1912–1919 م]

الكتب الكلدانية والسريانية

* التاريخ الكنسي لابن العبري [لوفان 1872–1877 م].
* سير الشهداء والقديسين طبعة بيجان [ليبسيك 1890–1895 م].
* كتاب الرؤساء لتوما المرجي طبعة [بيجان 1901 م].
* مشيحزخا طبعة الأب الفونس [الموصل 1907 م].

الكتب الإفرنجية

Assemani: Bibliotheca Orientalis. Roma, 1719-1728.
Chabot: Synodicon Orientale ou Recueil des Synodes Nestoriens. Paris, 1902.
Clay: Light on the Old Testament from Babel. London, 1907.
Duval: La Litterature Syriaque. Paris, 1907.
Giamil:Genuinae Relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientalium seu Caldaeorum Ecclesiam. Roma, 1911.
Hourani: Minorities in the Arab World. Oxford, 1947.
Johns: Ancient Babylonia. Cambridge, 1913.
King: A History of Babylon. London, 1919.
Labourt: Le Christianisme dans l'Empire Perse. Paris, 1904.
Lloyd: Twin Rivers. Oxford, 1943.
Marmardji: Diatessaron de Tatien. Beyrouth, 1935.
Maspero: Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient. Paris, 1899.
Naayem: Les Assyro-Chaldeens et les Armeniens massacres par les Turcs. Paris, 1920.
Rawlimson: Five Great Monarchies. London, 1871.
Scher: Histoire Nestorienne (Chronique de Seert) Paris, 1907.
Tfinkdji: L'Eglise Chaldeenne Catholique Autrefois et Aujourd'hui. Paris, 1913.
Wigram: the Assyrians and their Neighbours. London, 1929.

الفهارس

ثبت الأعلام

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

س

ش

ص

ط


ع

ثبت عام

ب

خ

د


رانيه
جوارته
جمجمال
كركوك
داقوقا
"داقوق"
لاهيرو
كفري
خانقين
جلولاء